

الباب الثالث

مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مظاهر التأثر في تأليف الأسفار وتدوين الكتب.

الفصل الثاني: مظاهر التأثر في القصص الديني والأساطير.

الفصل الثالث: مظاهر التأثر في عقيدة الألوهية.

obeikandi.com

الفصل الأول

مظاهر التأثر في تأليف الأسفار وتروين الكتب

ويتضمن دراسة هذه المباحث:

المبحث الأول: نقد مدونات أسفار العهد القديم في ضوء الكشوفات العلمية الحديثة.

المبحث الثاني: الكشف عن صلة الديانة اليهودية بالأديان الوثنية القديمة.

المبحث الثالث: مظاهر تأثر بعض الأسفار بالأديان الوثنية وهى:

١- سفر المزامير.

٢- سفر الأمثال.

٣- سفر نشيد الإنشاد.

٤- سفر الجامعة.

٥- سفر أيوب.

٦- سفر دانيال.

obeikandi.com

المبحث الأول: مظاهر التأثير في تأليف الأسفار وتدوين الكتب

نقد مدونات العهد القديم في ضوء الكشوفات العلمية الحديثة:

لقد كانت التوراة أو العهد القديم قبل الكشوفات الأثرية الحديثة قبل قرن أو يزيد - باستثناء الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة - المصدر الأساسي أو الوحيد تقريباً الذي يرجع إليه الباحثون في تاريخ اليهود القديم، بل كان العهد القديم يعتبر المرجع الأول والأساسي لتاريخ الشرق الأدنى القديم كله^(١).

فبينما كان المرء طوال عدة قرون حتى عهد قريب لا يعرف عن حضارة الشرق الأدنى القديم عامة سوى ما يقصه علينا العهد القديم أو يعرف غيره إلا القليل، كان التاريخ العبري معروفاً على نطاق واسع وكان مادة من مواد التربية والثقافة الدينية في العالم الأوربي^(٢).

كان الجهد الأساسي للعبريين جيلاً بعد جيل موجهاً إلى تسجيل وحفظ الأسفار التي تضم تاريخهم القومي ودينهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة فاختيرت الكتب التي تشتمل على التعاليم الدينية والتاريخ الديني وأدرجت في تاريخ الشعب اليهودي من حيث هو تاريخ للعهد بين يهوه وإسرائيل.

(١) راجع موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٣٩، د. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي ص ٩، د. أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٨٣، ٤٠٧، ويذكر شاهين مكاربوس أنه لا يخفى أن معظم تاريخ اليهود حتى خراب أورشليم مأخوذ عن التوراة (العهد القديم) فهي خزانة تاريخهم وحكاية ما حل بهم من العبودية والظلم وما أصابوه من الغزو والفوز، كما أنها كتاب وحيهم ومجموعة معتقداتهم وشرائعهم الدينية والأدبية والمدنية فالناظر في تاريخهم لابد له أن يعتمد على التوراة لاستخلاص أخبارهم (تاريخ الإسرائيليين ص ٣ - ٤).

(٢) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٣٩.

وأدى هذا إلى أن تعرض تعاليم التوراة في صورة قصصية وليست على نحو منهجي فالتعاليم القانونية الخلقية والتعليمات العلمية ودعوات الأنبياء عرضت في الغالب حسب ورودها في وضعها التاريخي^(١).

هذا وقد اعتبر العهد القديم المرجع الأساسى على أساس أنه يعد أقدم كتابة في تاريخ البشرية فضلاً عن قدسيته (لدى اليهود والمسيحيين) فكان كل ما ورد فيه من عرض للأحداث والوقائع لا بد من تقبله كحقائق دون نقاش أو جدال لكونه من المسائل المقدسة من جهة، ولعدم وجود أى ثبت قديم ينافسه في هذا الميدان من جهة أخرى.

فكان من الصعب التحقيق في بدايات التاريخ اليهودى حيث إن اليهود يكادون أن يكونوا هم الأمة الوحيدة التى كتبت تاريخها بيدها، ووضعت في إطاره الإنسانى حسب هواها، بل وضعته في إطار من المقدسات والغيبيات وجعلته كله وحيا من السماء نازلاً بإرادة الله وبألفاظ فمه بحيث يعلوا فوق الجدل والنقاش^(٢).

وهم حينما كتبوا تاريخهم هذا - كما يقول الدكتور حسن ظاظا - أغاروا على المأثورات الشعبية لأمم قديمة كثيرة فأخذوا وأضافوا إليها من بقايا الحكايات الفولكلورية التى حفظتها ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى، فنسجوا من ذلك كله ملحمة، تبدأ - مثل ملاحم السومريين والأكاديين في العراق القديم وأساطير المصريين في فجر تاريخهم، بالحديث عن خلق العالم وخلق الإنسان.

ثم ما يزال القارئ يتدرج مع القصة وهى تحاول إبراز فكرة أساسية هى أن كل عملية الخلق، وكل التدبير المحكم الذى دبره الخالق، وكل الحوادث الأولى للقصة على مسرح يشمل السماوات والأرض جميعاً كانت لهدف واحد هو اختيار بنى إسرائيل واصطفائهم وتسليمهم دور البطولة الأبدى على مسرح الإنسانية.

(١) المصدر السابق: ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) د. أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٤٠٧ - ٤٠٨، د. حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦٧، إسرائيل ركيزة الاستعمار ضمن كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ١٢.

أما الأمم الأخرى فهي ليست إلا شخوصاً مكملّة للرواية على هذا المسرح الكبير، ولا أهمية لهم إلا بقدر ما يسهمون في إبراز مجد اليهود^(١).

وروايتهم هذه منسوجة من عناصر متضاربة اختلطت فيها شرائع الأنبياء وحكمة الحكماء بحكايات الأبطال الخرافيين وأساطير الأحداث المعجزة الخارقة، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم^(٢).

ويذكر غوستاف لوبون أن قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التي لا تكاد تميز من طور الوحشية، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارة ودعارتها وخرافاتا فقربوا لجميع آلهة آسية، قربوا لعشوت ولبعل ولمولك من القرابين ما هو أكثر جداً مما قربوه لإله قبيلتهم (يهوه) الذى لم يثقوا به إلا قليلاً لطول زمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبيأؤهم.

وكانوا يعبدون عجولاً معدنية وكانوا يضعون أبناءهم في ذرعان محمرة من نار مولك وكانوا يحملون نساءهم على البغاء المقدس في المشارف^(٣).

(١) راجع د. حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦٧ - ٦٨ الصهيونية العالمية ج ١٢، د. صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٢١ د. أحمد شلبى: اليهودية ص ٢٦٩.

(٢) د. حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ص ٦٨، الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ١٢ - ١٣، ويعترف الأب ديل بأن الذين كتبوا تاريخ الشعب اليهودى، عاجلوه بمثل ما كان عليه الشرق القديم في معالجة التاريخ فلا مانع لديه من أن تكون الرواية اليهودية تحتوى بجانب الوثائق الرسمية على عناصر خيالية أو رمزية، ولا عيب عنده في أن يعمد المؤلف اليهودى إلى استعارة أقوال لغيره يدخلها في سياق روايته دون أن ينبهنا إلى أصلها دون أن يحمل تبعاتها، ويذكر أن النوع التاريخى الصرف لا يأبى أن يتخلله أحياناً بعض القطع الشعرية وأن التاريخ اليهودى أحياناً يأتي على شكل سيرة شخص (طوبيا، استير) وقد ينقل الكتاب الشخص الذى يروى سيرته إلى محيط غير محيطه ويضعه في إطار كله أو بعضه مختلق (تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٤ - ٣٥).

(٣) تفصيل ذلك نراه مبسوطاً في فصول هذا الباب.

وعلى الجملة فإن اليهود قد أثبتوا عجزهم التام العجيب عن الإتيان بأدنى تقدم في الحضارة التي اقتبسوا أحط عناصرها^(١).

هذا وقد ظل العهد القديم هو المرجع الأساسى فى تاريخ الشرق الأدنى القديم حتى كانت الطفرة الهائلة التى تمت فى ميدان الحفائر والمكتشفات الأثرية فى منطقة الشرق الأدنى القديم.

فتوفرت مصادر تاريخية جديدة بفضل النجاح فى قراءة كتابات قديمة كانت طلاسـم وألغازاً حتى هذا الوقت (القرن التاسع عشر الميلادى) كالهـيروغليـفية فى الكتابات المصرية الفرعونية وكالكتابات المسماوية فى العراق وما جاورها: السومرية والبابلية، والأشورية، والفارسية والحـيشية، والكنعانية.

وتمتاز هذه الكتابات فى كونها عاصرت الأزمنة التى تعود إليها بخلاف العهد القديم الذى ينقل أحداثاً ترجع إلى عهود بعيدة وأزمنة سبقت بعشرات القرون^(٢).

بالإضافة إلى ذلك فإن حركة نقد العهد القديم كانت قد ازدهرت فى القرن التاسع عشر وتواكبت مع هذه الكشوفات الأثرية الحديثة.

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٠.

(٢) راجع د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٩، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٨٣، ويذكر الدكتور أحمد سوسة أنه لحسن الحظ قد توافرت لدينا الآن ثروة من المعلومات الأصلية التى تركها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة وهم السومريون والكنعانيون الفينيقيون والبابليون والحثيون والأشوريون والمصريون وقد عثر المنقبون على بعضها خلال القرن ونصف القرن الأخير وترجموها إلى اللغات الحديثة وأصبحت فى متناول أيدي القراء والباحثين، ويذكر أن هذه المعلومات وصلت إلى أيدي المنقبين كما هى فى الأصل ولغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه فى توراة اليهود من تباعد فى اللغة وفى العصر، ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التى تناولت مختلف شئون الحياة فى تلك الأزمان أكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق الأدنى القديمة بمختلف اللغات والحروف، ويعد العلماء هذه الاكتشافات أعظم إنجازات الإنسان فى العصر الحديث فقد كشفت لنا هذه المدونات عن كثير من الأمور الغامضة، إذ أمكن فى ضوءها التمييز بين الحقائق الواقعة والأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة فى التوراة، كذلك فقد تمكن علماء الآثار من تعيين تواريخ الحوادث من هذه المدونات بصورة مضبوطة خاصة ما يتعلق بالأدوار المتأخرة، وكذلك تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التى ورد ذكرها فى هذه المدونات وفى التوراة مما جعل إمكانية عرض الأحداث التاريخية القديمة بحسب تسلسلها الزمنى وتوزيع علاقة الأقوام بعضها ببعض وتعيين أدوارها وشكلها الحقيقى بمقارنة الحوادث التى وردت فى كل من المصدرين (مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٤١٢ - ٤١٣).

يذكر الدكتور فؤاد حسنين على أنه حوالى منتصف القرن الثامن عشر تكونت جماعة لنقد العهد القديم لا للقضاء عليه أو الخط من شأنه بل كان هدفها إخضاعه للبحث العلمى الذى يقره العقل البشرى وما كاد يطلع القرن التاسع عشر وتتسع أعمال الحفر الأثرى فى بلاد ما بين النهرين ومصر حتى ظهرت إلى الوجود وثائق غاية فى الأهمية سواء فى الكتابات الأكادية أو المصرية وفيها شيء الكثير عن العهد القديم، وقد أخرجت هذه الاكتشافات الحديثة العهد القديم من جموده وعزلته وأقحمتة فى تاريخ الشرق القديم حيث الصلات الثقافية والعقائدية قوية جداً حتى أصبحنا اليوم نرجع فى شيء من اليسر العهد القديم إلى أصوله الشرقية^(١).

فلم يجز علماء العهد القديم اتخاذ نصوصه كأنها محقة فيما تقوله من الأنبياء إلا بالإثبات العلمى وهنا جاء علم الآثار يقدم دليله: فآثار فلسطين ورأس شمرا وتل الحريرى فى ديار الشام وشم آثار العمارة وغيرها فى مصر وآثار بابل وأشور فى شمال العراق وجنوبه، كل هذه كان لها علاقة مسيسة بالتوراة والتاريخ اليهودى القديم^(٢).

ومن هؤلاء العلماء الذين استخدموا علم الآثار فى دراسة العهد القديم أذكر منهم على سبيل المثال العالم الأكادى فريدريش ديليتش الذى أصدر سلسلة من المؤلفات حول بابل والكتاب المقدس، كما ألقى فى جامعة برلين وغيرها سلسلة من

(١) التوراة الهيروغليفية ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) د. إسماعيل الفاروقى: أصول الصهيونية فى الدين اليهودى، ويذكر مؤلف هذا الكتاب أن نقاد العهد القديم ومنهم فون جراف وكوهنن وويلهاوزن، قد دفعهم جهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم بحثاً وراء ما يلقى الضوء على العهد القديم الذى كان يدرسونه بقصد تفهمه علمياً نقدياً تحليلياً، وفى دراستهم للقرآن الكريم تشبعوا بالمبدأ القرآنى القائل بأن بنى إسرائيل تلاعبوا فى كتابهم المقدس وأنهم حرفوه حاذفين منه ما حذفوا ومضيفين إليه ما أضافوا لطمع غير خلقى فى نفوسهم، فزعزع هذا المبدأ ما نشأوا عليه من إيمان بالتوراة هى نفسها فى كل حرف من حروفها وأخذوا عندئذ فى تفسير النزعات المختلفة التى تتم عنها نصوص التوراة يبينون مختلف الأيدى وراء هذه النصوص فراحوا يبحثون عن أصولها وعن الأحوال التاريخية التى أدخلت هذه المواد فى التوراة تحت ظروفها فكانت علوم التوراة النقدية التى عرفها القرن الأخير، ويذكر أنه لخدمة هذه العلوم نشأ علم الآثار القديمة (أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ص ٧).

المحاضرات العامة التى أثبت فيها اعتماد العهد القديم والدين اليهودى على العقائد العربية البابلية^(١).

وكننت قد أشرت إلى أن العلماء قد اتفقوا على أن النصوص التوراتية إنما تعود إلى توليفات مستقاة من أربعة مصادر رئيسية أو كما يسميها أحد الباحثين "الخيوط التوراتية الأربعة"^(٢).

وبينت أن نظرية المصادر الأربعة هذه والتى تعرف بنظرية فلهوزن قد استقر عليها العلماء، وسادت ميدان الدراسات فترة طويلة دون أن يطرأ عليها تغيير.

إلا أنه لابد من القول هنا بأن الكشوفات الأثرية الحديثة قد عدلت هذه النظرية من بعض الوجوه وأضافت إلى تلك المصادر الأربعة - عديداً من الروافد الفروع - كما يقول حسين ذو الفقار صبرى: ربما امتد بعضها إلى مآثورات لم تكن تمت إلى اليهود أصلاً إلا أنها صارت بمرور الزمن شائعة مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً، فقد مضى الوقت الذى كانت تعالج فيه الأصول الإسرائيلية بعزلة عما كان يحوطها من مؤثرات فإنما تداخلت مع غيرها نهياً لتفاعلات اجتاحت المنطقة كلها، فرسمت مسار التاريخ في الشرق القديم جميعاً^(٣).

(١) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ٥٥.

(٢) صاحب هذا التعبير هو الدكتور إساعيل الفاروقى وقد شبه هذه الخيوط تشبيهاً بارعاً حيث يذكر أن التوراة ليس كتاباً واحداً ذا مؤلف واحد بل هو مجموعة نصوص من عدة أقلام على مدى العصور الكثيرة، وهو أشبه بالنهر الذى يجري من رأس العين إلى المصب بيد أنه يستقبل عدداً من الأنهار الفرعية أثناء الطريق فتمتزج مياهه هذه الأنهار فماء النهر عند المصب هو التوراة التى بين أيدينا الآن فيها القديم جداً أى مياه رأى العين أى ما لم يتبخر من مياه رأس العين ولم يرفع للسقاية ولم يضع في الطريق من مياه رأى العين. وفيها المتوسط "أى المياه التى دخلت النهر في الطريق وفيها. الحديث ففى كل صفحة من صفحاتها تلتقى عناصر متفاوتة في القدم نسجت على هذا القالب الذى تقرأه في النص الذى وصل إلينا إلا أن الخيوط نفسها وكذلك عمليات النسيج والتقميش متفاوتة الأعمار، ولكن لحسن الحظ ليس الأمر تماماً كما في النهر، فالخيوط التوراتية احتفظت بمميزات اللغوية وغير اللغوية الخاصة، فإن امتزجت مع بعضها البعض فأغلبيتها لم يصهر بعضها البعض فتضيع هويتها وذلك سهل على الباحثين أمر اكتشافها وعزلها عن بعضها (أصول الصهيونية في الدين اليهودى ص ٥ - ٦).

(٣) توراة اليهود بين أصول متشعبة وسعى إلى انعقاد ص ١١ المجلة العدد ١٥٧ يناير ١٩٧٠م ناقلاً عن مصادر أجنبية.

فحينما نشأ علم الآثار القديمة وقام الباحثون بجولون الأقطار العربية بحثاً عن هذه الآثار نشأ عن ذلك علم التاريخ القديم، وأخذ المؤرخون يتتبعون ما يكتشفه علماء الآثار وينون نظرياتهم في ذلك التاريخ على ضوء هذه المكتشفات.

ومنذ فلهاوزن وعلماء العهد القديم يقيمون النظرية تلو النظرية والتفسير التوراتي تلو التفسير تبعاً لمكتشفات الآثار التي أخذت تتزايد بشكل عظيم سنة بعد سنة وتماشياً مع ما كانت تجلو عنه هذه المكتشفات من حقائق تاريخية^(١).

يقول موسكاتي: لقد سادت نظرية فلوزن الميدان سنين عدة دون معارضة تذكر، ولكن بتقدم العلم وبفضل الأدلة الأثرية الجديدة خاصة أعيد النظر فيها مرة بعد أخرى.

فمقارنة مادة العهد القديم بمصادر أرض الرافدين – ولا سيما القانونية منها – والمصادر الأوجارية وغيرها، تبين فيما يبدو أن الأسفار الخمسة أو على الأقل جزءاً كبيراً من المصادر التي جمعت منها، أقدم مما ظن فلهوزن^(٢).

ومن هنا نجد أن الدراسات الحديثة للعهد القديم قد عدلت نظام فلهوزن من عدة وجوه وإن لم تستبدل له نظاماً يقارن به^(٣).

(١) د. إساعيل الفاروقى: أصول الصهيونية في الدين اليهودى ص ٧ - ٨.

(٢) سبق أن أشرنا إلى الأزمنة المتفق عليها لكل مصدر في الفصل الخاص بدراسة فقدان اليهود للتوراة المنزلة.

(٣) الحضارات السامية القديمة ص ١٥٧ - ١٥٨ وبشرح هذا بقوله "ف نجد أولاً أنه بفضل أبحاث المدرسة السويدية خاصة (انجل وغيره) اتجه النظر إلى أن وسائل النقد الأدبي لا تكفى دون سند آخر، وإلى أنه من الضروري أن ندخل في اعتبارنا آثار الرواية الشفوية التي قد تتناقل القصص في كثير من الأحيان زمناً طويلاً قبل تدوينها وأن ننظر إلى المصنف الناشئ عن ذلك على أنه مكون من طبقات مختلفة ومجموع من مصادر متباينة (رأى بتسن)، ونجد ثانياً أن عناصر النظام قد عدلت فقسم المصدر اليهودى قسمين، وسمى المصدر الجديد منهما (غير الكهنوتي) لخلوه من الأفكار الكهنوتية (رأى اسفلت)، واقترح أيضاً أساس مشترك للمصدر اليهودى والألوهيمى (وهو اقتراح نوث) واقترحت تقسيمات أخرى للمصادر كالتقسيم الذى اقترحه فون راد للمصدر الكهنوتى، وقدم تاريخاً لمصدر التثنية والمصدر الكهنوتى (الحضارات السامية القديمة ص ١٥٨).

وانطلاقاً من هذا فإن دراسة تاريخ اليهود بما يحتوى عليه من عقائدهم وشرائعهم اتخذت نمطاً جديداً وخضعت خضوعاً كاملاً للبحوث النقدية.

يقول بروف سايس "لئن أردنا تفهم تاريخ العبريين على حقيقته فإن علينا أن نعالجه كما يعالج تاريخ أى شعب قديم، إن من كتبوا التوراة كانوا بشراً مثلنا - وهم كمؤرخين لا يختلفون عن نظائريهم من معاصريهم في الشرق، فليس هناك تاريخ لا يحتمل المناقشة بل لا يحتمل أن نخطئه".

إن الكاتب في العصر الحديث يجب أن يفهم أن يتحدث كما يتحدث عالم الآثار أو المؤرخ، أنه يتقبل من الناحية الدينية بغير تحفظ ما وضعته قوانين الكنيسة كأسس للإيمان والعقيدة، وليس من بينها على أية حال ما يمنعه من أن يناقش التوراة مناقشة حرة دون تمييز^(١).

فالتوراة تستمد قيمتها ككتاب تاريخ وكتاب أخلاق أساساً من أنها في نظر من يؤمنون بها كتاب "مقدس".

وللقداسة شروط كثيرة: منها على سبيل المثال لا الحصر، أولاً: الصدق، ومعنى هذا أن يكون كل ما يحتويه الكتاب المقدس صادقاً مع النظر بعين التقدير والإكبار إلى المعانى التى لا ترد فيه مباشرة وإنما ترد من خلال المجاز التشبيه والاستعارة والرمز، وإذن فينبغى أن يكون كل مقدس في المقام الأول صادقاً، وأن العكس غير صحيح إذ ليس كل ما هو صادق بطبيعة الحال مقدساً^(٢).

لكن توراة اليهود كانت ولا تزال - إلى أن يمن علينا الله بمزيد من كشف حفرية عن أحقاب مافتئنا نجل الوجه الذى كانت عليه - كما من متناقضات أو ربما عقداً منظوماً من حلقات متباينات^(٣).

(١) نقلاً عن د. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٣٥.

(٢) د. صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٠.

(٣) صحيح أنه قد توصل عدد من باحثين إلى التحقق من وقائع عديدة ولكن الوقائع في حد ذاتها ليست هى التاريخ، إلا أن تتداخل وتترابط فتطرد (توراة اليهود ص ١٢ - ١٣).

فهى - ولو كره المفتنون - ليست من التاريخ بشيء وإن سلمنا أنها اشتملت على وقائع لها سند من التاريخ.

ولا يسعنا - فيما يقول حسين ذو الفقار صبرى - حتى كما فعل علماء القرن الماضى، وكما يزال دائباً على ذلك المتحايلون - أن نأخذ بتلك المعطية من أن الوثيقة التاريخية إنما تنطوى أساساً على ما ظن صاحبها أن قد حدث، أو ما ورد أن يكون قد حدث، أو أحياناً ما كان يريد لغيره أن يظنوا أن قد حدث، فإننا لو فعلنا هذا لما وجدنا تفسيراً منطقياً لما اشتملت عليه التوراة من متناقضات^(١).

وكما يقول الدكتور صبرى جرجس فإنه لا يهمننا فى هذا الصدد أن تكون التوراة بعد ذلك كتاباً مقدساً أو لا تكون، ذلك شأن من يريدون أن يروها فى نصها الراهن على هذا النحو أو ذاك، ولكن الذى يهمننا ألا تكون كتاب تاريخ يحاول فرض مضمونه على الحاضر والمستقبل كما حول فرضه على الماضى.

وإذا كان ما يعزى للتوراة من قيمة تاريخية لا يجد سنداً له إلا فيما يزعم لها من قداسة فالذى لا شك فيه أن هناك ثمة علاقة بين قيمة التوراة ككتاب تاريخ وقيمتها ككتاب مقدس.

ذلك أنه كلما تدعمت قيمتها ككتاب مقدس تضاءلت الريبة فى صدق ما تضمنته من وقائع وسهل وصول هذه الوقائع إلى يقين الناس على أنها من حقائق التاريخ التى لا ينبغى الشك فيها ولا مناص من التسليم بها^(٢).

ولكن أية قيمة موضوعية تبقى لتاريخ لا يجد سنداً له إلا فيما يزعم ككتاب واحد من قداسة توجه إليها سهام الريب من أكثر مجانب وليس بالوسع القول بأنها ترقى إلى ما فوق مظان الشبهات^(٣).

(١) المصدر السابق ص ١٣.

(٢) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٨ - ٥٩.

ويقول "لقد أدركت اليهودية الصهيونية هذه الحقيقة فأحسنست استغلالها إعلامياً فى الغرب المسيحى لدعم ما زعمت أنه حقها فى إنشاء دولة إسرائيل (المصدر السابق ص ٥٩)

(٣) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٩.

فليست التوراة وثائق تاريخية، إنما هي في صلبها تشكلت من واقع تدوينات متعاقبة لأصول من مآثورات قديمة، وأن المآثور بوصفه أصلاً قصة محكية تناقلتها ذاكرة الإنسان جيلاً إثر جيل ليخضع لقوانين غير تلك التي تهيمن على الكلمة إذ تكتب سجلاً لتاريخ.

فصحيح أن التوراة قد استقرت آخر الأمر في صورة من وثيقة مكتوبة، ولكنها أصلاً مجموعة من قصص محكى لم يتهياً لحرف منها أن يدون فيسجل إلا بعد أحقاب طوال^(١).

ولذلك فإن الانطباع العام الأول الذى يبقى فى نفس القارئ للتوراة ككتاب تاريخ - كما يقول الدكتور صبرى جرجس - أنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى جو أسطورى حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق غاص بالمتناقضات مشبع بالسخف مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء.

وهذا الانطباع الذى يصطدم على الفور بما كان القارئ يتوقع أن يجد فيها ككتاب تاريخ يصبح مفهوماً ومعقولاً إذا نحى عنها هذه الصفة ونظر إليها فى ضوء العصر الذى روت أخباره والحضارات التى اتصلت بها من ناحية والأفراد الذين

(١) توراة اليهود ص ١٤، ويضرب حسين ذو الفقار على ذلك مثلاً بقصص الآباء الأولين فيقول إنها دونت أو ما دونت فيها نعلم فى القرن العاشر ق. م عن أقوام تحوطهم ظروف معيشية دالت عما كانت عليه قبل ذلك بخمسة قرون.

فلو دققنا النظر لوجدناها ما تزال وفيه للطابع المآثورى - إن صح لنا الالتجاء إلى هذا الاصطلاح - مجموعة من قصص لكل طابعها الخاص ومغزاها المتفرد، تجد إلى وعظ أو تبصير (وقد تنحو إلى سخرية أو ترفيه لا تحفل بالتزام دقة ولا تسعى إلى تحقيق بقدر ما يجنبها التأثير على السامعين، لا روابط بين بعضها البعض إلا ما ابتدع من بعد خيوطاً واهية من أنساب واضحة الافتعال.

ومن ثم فلا يعول عليها علمياً لتحديد لمواقعها من حيث زمانها أو تنسيقاً فيما بينها من حيث تتابع، فهى أساطير شائعة فى تناول الأقوام جميعها ينتحلها هذا أو ذلك فيصوغها الرواة كل على هواه، تمجيداً لذكرى أسلاف فإذا بعناصر القصة الواحدة منسوبة إلى عدة أشخاص.

(راجع تفاصيل التدليل على ذلك ص ١٣ توراة اليهود مجلة المجلة ١٩٧٠م).

قاموا على كتابتها والأهداف التي قصدوا إليها من ذلك من ناحية أخرى، فإنها في هذا الضوء تعكس تفكيراً بشرياً محضاً من اللون الذي كان سائداً في الشرق الأدنى القديم في ذلك الحين مرادفاً لأمثاله من الأساطير والطقوس، والاتجاهات الفكرية والعقائدية المميزة لحضارات ذلك العصر^(١).

(١) التراث اليهودي الصهيوني ص ٥١، ويذكر أنها تعكس كل ذلك في إطار سمات نفسية تغذيها نزعات الجشع والغرور والاستعلاء وتحركها دوافع الجنس والعدوان الذي لا يهدأ حتى مع الدم المراق.

المبحث الثانى: الكشف عن صلة اليهود بالأديان الوثنية القديمة

بناء على ما ذكرناه فى المبحث السابق فإن الشعور الذى يسود الآن بين الكتاب المحدثين هو أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة.

فيقول الأستاذ هوك فى مقدمة كتابه (أصول الديانات السامية القديمة) إننا الآن فى وضع أكثر ملاءمة من أى وقت مضى لتوضيح العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التى كانت سائدة فى البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة^(١).

ومن أجل هذا فقد شغلت الديانة اليهودية حيزاً كبيراً من مقارنات الأديان وصارت موضوع مقابلة مستفيضة بينها وبين عقائد البابليين والمصريين والكنعانيين، وأخذ العلماء يبحثون عن صلتها بعقائد اليونان والرومان قبل عصر الفلسفة وبعدها إلى عصر السيد المسيح^(٢).

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن علماء اليهود أنفسهم قد ساهموا فى تشريح الديانة اليهودية وتجريدها من صفة الدين المنزل، فالذى يرغب فى التعمق فى

(١) نقلاً عن د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٤١٦.

(٢) عباس محمود العقاد: الله ص ١١١، راجع أيضاً د. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٠١، ويرجع العقاد أهمية الديانة اليهودية فى مقارنات الأديان إلى أنها:

١ - نقطة التحول بين العبادات القديمة والعبادات فى الديانة الكتابية

٢ - صحبت التطور فى فكرة المسيح المنتظر وما صاحبها فى مبدئها فكانت تمهيداً للدعوة الكتابية انتشاراً بين الأمم التى عنت بالدراسات العلمية الحديثة فى مقارنات الأديان (المصدر السابق ص ١١).

الدراسات التوراتية يدهش ولا شك للعدد الضخم من النظريات والمؤلفات ومعظمها لعلماء اليهود وكيفية وضعها.

وسيتبين له أن اليهود هم أكثر الشعوب تشريحاً لدينهم وعقيدتهم تشريحاً لا رحمة فيه ولا شفقة وبلا هوادة، لقد فضحوا أساطيره وأسراره ورموزه، وجردوه من صفته الدينية إلى درجة تجعلنا نتساءل:

هل اليهود بعد كل هذا باقون على عقيدتهم وأخلاقهم وانتمائهم اليهودي أو هم قد كفروا به وبها؟.

الواقع أن اليهود بالرغم من أنهم كشفوا ما في دينهم - إلى درجة التعرية التامة من المظاهر الخرافية والأساطير، إلا أنهم لم يفقدوا إيمانهم بل نراهم بأمر أعيننا وقد زاد تعلقهم به وبقي اليهود يهوداً بل زاد تمسكهم بدينهم على الرغم من قرون عديدة من التشتت والاضطهاد وعلى الرغم من هذه الحروب الشعواء التي أعلنوها هم أنفسهم على دينهم^(١).

وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكلها النهائي في بابل، جعل من الطبيعي أن تتأثر بالديانات والمعتقدات التي كانت مسيطرة هناك في ذلك الزمان.

ويقول أحد المراجع اليهودية الصميعة في هذا الموضوع:

"إن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار وبشكل مستمر، الديانات والثقافات الأخرى التي نمت وترعرعت في وادي الفرات.

(١) راجع في ذلك: سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٦، ١١٥ - ١٢٠، وقد ذكر المؤلف أساء بعض اليهود الذين شرحوا الدين اليهودي منهم الدكتور رافائيل باتاي مؤلف كتاب "الآلهة العبرية" والأستاذ غيرثوم شوليم الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس والبروفسور اليبس صاحب النظرية في الأسباب السياسية والاقتصادية لتأسيس الدين اليهودي وغيرهم، وذلك المؤلف أن الدكتور أنيس فريجة قد عالج هذا الموضوع بكثير من الموضوعية والرصانة في كتابه "دراسات في التاريخ دار النهار للنشر بيروت ١٩٨٠، وللأسف لم أتمكن من العثور عليه (راجع أيضاً التوراة تاريخها وغايتها ص ٣٩ - ٤١).

أن الأصول القضائية البابلية وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة للتأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس - الدينية^(١).

وعلى ذلك فإن التراث اليهودي - المتمثل في كتبهم وأسفارهم المقدسة - لا يمثل العقلية اليهودية فحسب بل يحمل في ثناياه ثقافات وحضارات ومعتقدات وعادات وطقوس الأمم التي عاش اليهود بينها عبر تاريخهم الطويل.

واستوعب اليهود هذه الحضارات المختلفة وصبغوها بصبغة يهودية حتى بدت وكأنها من نتاج العقلية اليهودية.

ويستطيع الباحث المدقق أن يتتبع خيوط هذه الثقافات في نسيج التراث اليهودي.

فاليهودية إذن تأثرت بمعتقدات وطقوس أمم مختلفة وساهمت أجيال عديدة في تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة^(٢).

تذكر الباحثة كاترين هنرى أن اليهود الأولين كانوا يعيشون وسط شعوب كثيرة

(١) راجع أيضاً حول هذا الموضوع: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات ص ٦٣ - ٦٤، قاموس التوراة منشورات نيويورك ١٩٠٩ نقلاً عن كتاب التوراة تاريخها وغايتها لمؤلف أمريكي الجنسية ترجمة وتعليق سهيل ديب ص ٢٧ - ٢٨، ويقول هوك في كتابه "مصادر الطقوس والملكية" إن عبادات جميع الديانات الشرقية القديمة كان يسودها مجموعة مترابطة من الأفكار التي يعود موطنها الأصل إلى بابل، كما أن معظم الطقوس والعبادات البابلية والكنعانية والإسرائيلية وباقي الأنظمة ما هي إلا أنماط فرعية عن ذلك النمط البابلي الأصل وقد أثبت كل من - جنكل وجرسان وغيرهما من باحثي العهد القديم أن الأفكار الدينية والأساطير وكثيراً من الصيغ الأدبية لم تكن إسرائيلية الأصل وغالباً ما كانت من أصل بابل ذلك لأنها تفهم بسهولة عند تفسيرها على ضوء الأفكار والمعتقدات والطقوس البابلية (منى ناظم: فكرة الخلاص عند اليهود ص ١٥، ١٦، الميخ اليهودي ص ٣٧، ٣٨. ويذكر الدكتور نجيب ميخايل أن دراسة عزرا للتفكير الديني في بابل وهضمه للثقافة البابلية قد انعكس على التوراة التي بأيدينا الآن (مصر والشرق الأدنى ج ٣ ص ١٨٢).

(٢) د/ محمد بحر عبد الحميد: اليهودية ص ١٨٠.

ذات - ثقافات مختلفة ولغات وعقائد وعادات مختلفة ولا شك أن دينهم استمد أصوله من هذه التراتب المختلفة^(١).

ويرى الأب ديل أن التمازج والاختلاط اللذين حدثا بين اليهود وبين الشعوب - وهذا الاحتكاك الطويل بمدينة زاهرة عامرة كل ذلك كان له أثره العميق في حياة إسرائيل العقلية والأدبية والدينية.

فحينما انتقل اليهود من حياة البدو إلى حياة الحضر واتصلوا بالكنعانيين أخذوا - يتكلمون لغتهم ويتصاهرون معهم، ونستطيع أن ندرك بسهولة ما يحجره عليهم مثل هذا التقرب إلى شعب وثني من الأخطار.

فقد كانت اختبارات اليهود الأولى مؤلمة، مع أنهم كانوا لا يزالون على بداوتهم الأولى فكان أول التقاء لهم بالكنعانيين التقاء جر عليهم الوبال.

وها هم الآن مع ذلك على اتصال دائم مع الكنعانيين وهم مثلهم ساميون يتصفون بصفات متقاربة وميول متشابهة مما يجعل الخطر على ديانة التوحيد أشد وأقرب.

فكان الخطر إذا مداهما والخطب جليلا ولا سيما أن اليهود كانوا حديثي عهد بالتوحيد ميالين إلى المادة وكانت عبادة الأوثان الكنعانية مغرية فهي تتصف بالسهولة والدعارة وهي آلهة تمثلها أوثان وأنصاب تقع تحت الحواص فيتركز عليها الفكر وتقدم إليه القرابين فهي قريبة القصد سهلة المنال، وهي على ذلك آلهة الحب والحياة والخصب وبذلك تبعث الشهوات الحسية وتثير الأهواء البشرية^(٢).

ومن أجل ذلك فإن د/ إسرائيل ولفنسون يرى أن ديانة الكنعانيين كانت أرقى

(١) التاريخ في الكتاب: ترجمة حبيب سعيد ص ٤٥.

(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٦ - ١٨٧.

ديانات الأمم السامية الوثنية ولهذا تأثرت بها ديانات بابل وورث الآراميون والإسرائيليون هذا التأثير^(١).

وإذا كان للدين الكنعاني واللغة الكنعانية أثر ظاهر في دين اليهود ولغتهم فمن الطبيعي أن يتناول هذا الأثر الأدب اليهودي أيضاً، فإننا نعلم مثلاً أن العبرانيين أخذوا عن الكنعانيين كثيراً من فروض عباداتهم وطقوسهم الدينية فكان من الطبيعي أن - يأخذوا عنهم ترانيم وأشعار دينية، وطبيعي أن يتأثر الأسلوب العبراني بالأسلوب الكنعاني فإن في الأدب العبري كثيراً من التشابه والمصطلحات الكنعانية حتى إننا لنجد أحياناً اقتباسات من الأدب الكنعاني مباشرة^(٢).

فعلى سبيل المثال نجد أن أسفار الكنعانيين الفينيقيين القديمة فيها ما يشبه تماماً آيات أسفار العهد القديم، والأولى نتحدث عن البعل اله الفينيقيين والثانية نتحدث عن "يهوه" اله اليهود، وقد كتبت الأشعار الفينيقية حوالى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق. م. أى في زمن دخول اليهود أرض كنعان بعد خروجهم من أرض مصر.

ولابد أن هذه القصائد كانت سماعية ويرجع تاريخها إلى عصر مبكر وكان الشعب ينشدها ويرددها وتناقلتها الأجيال عن طريق السماع.

أما آيات أسفار العهد القديم فقد كتبت بعد هذا التاريخ بزمان طويل ولكنها تتضمن بعض الآيات التي ترجع إلى تاريخ مبكر وبديهي أن أدب الدين العبراني تأثر بالشعر القصصي الفينيقي وإليك بعض هذه المقتطفات^(٣).

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٥٣.

(٢) د/ فليب حتى: تاريخ لبنان ص ١٧٠.

(٣) كاترين هنرى: التاريخ في الكتاب ص ٤٥ - ٤٦، والمقتطفات ذكرتها الباحثة ص ٤٦ - ٤٧، راجع أيضاً تاريخ سورية ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥.

مقتطفات من أسفار العهد القديم	مقتطفات من الشعر القصصى الفينيقي
١- لأنه هوذا أعداؤك يا رب لأنه هوذا أعداؤك يبيدون، يتبدد كل فاعلى الإثم (مزمو ٩٢: ٩)	هو ذا أعداؤك يا بعل، هوذا أعداؤك ليتك تضربهم هوذا أنت تقهر كل أعدائك
٢- إذا أعطى قولاً، تكون كثرة مياه فى السماوات، منح بروجاً للمطر (أرميا ١٠: ١٣).	(بعل يعطى صوته فى السحب، يرسل بروجاً إلى الأرض.
٣- اطلع من مسكن قدسك من السماء بارك الأرض التى أعطيتنا أرضاً تفيض لبناً وعسلاً (تثنية ٢٦: ١٥).	السماء تمطر زيتاً، الأودية تفيض بالعسل.
٤- رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك. (مزمو ١١٩: ١٦٠).	كلامك حق حكمتك إلى الدهر
٥- حين كنت أخرج إلى الباب فى القرية وأهيم فى الساحة مجلس رآنى الغلمان فاختبأوا، والأشباح قاموا ووقفوا لأنى أنقذت المسكين المستغيث واليتيم، وجعلت قلب الأرملة يسر (أيوب ٢٩: ٧-١٣).	(دانيال) ينهض ويجلس عند البوابة بين العظماء، والشرفاء، يحكم فى قضية الأرملة ويدافع عن اليتيم.
٦- كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضضت رؤس لوياناثان (مزمو ٧٤: ١٣-١٤).	أهلك الحية الملتوية أهلك الحية الملتوية الملعونة ذات الرؤوس السبع

وقد كشفت المدونات الكنعانية التى عثر عليها فى مدينة أوغاريت (رأس الشمرة) - شمال مدينة اللاذقية بكل جلاء أن أكثر ما دونه اليهود فى التوراة (العقد القديم) من القطع الأدبية من مزامير وأشعار وتراويل ترجع إلى أصل كنعانى فهناك تعابير وردت إلى الأسفار والمزامير والأمثال ونشيد الأنشاد يظهر فيها التشابه واضحاً مع التعابير الأوغاريتية الكنعانية^(١).

(١) راجع تفاصيل ذلك كونتنو: الحضارة الفينيقية ص ١١١ وما بعدها، أنيس فريجة: ملاحم وأساطير من أوغاريت ص ٩٢ وما بعدها، د/ فيليب حتى: تاريخ لبنان ص ١٥٣، ١٦٩، ١٧٠ تاريخ سورية ج ١ ص ١٢٣ د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

المبحث الثالث

مظاهر تأثر بعض الأسفار بالأديان الوثنية

وفيما يأتي أبين بشئ من التفصيل مظاهر تأثر اليهود بالأديان الوثنية فيما يتعلق بنصوص ومدونات بعض أسفار العهد القديم وهي:

١- سفر المزامير

٢- سفر الأمثال

٣- سفر نشيد الإنشاد

٤- سفر الجامعة

٥- سفر أيوب

٦- سفر دانيال

١- سفر المزامير:

من بين الأسفار التي ظهر للعلماء أنها قد اعتمدت على مصادر الديانات سفر المزامير فكثير من المؤرخين والباحثين توصلوا بعد دراسات نقدية للمزامير إلى أن أكثر منها يرجع إلى أصول بابلية وأشورية ومصرية وغيرها.

وأحب قبل أن اعرض لهذه الدراسات أن أقول: انه يجب أن نفرق دائماً بين المزامير المذكورة في أسفار العهد القديم وبين الزبور الذي ذكره القرآن الكريم على انه الكتاب السماوي الذي آتاه الله لدواد "وآتينا داود زبوراً"^(١)

(١) النساء ١٦٣.

بل انه سيتبين لنا أن كثيراً من هذه المزامير المذكورة غير منسوبة إلى داود عليه السلام وذلك باعتراف اليهود أنفسهم.

وأبدأ أولاً بدراسة موجزة حول المزامير من حيث موضوعها وتقسيمها ومعرفة مؤلفيها وزمن تدوينها.

تعرف المزامير في العبرية باسم (تهليم) وهى تأتى في العهد القديم على رأس- الكتب المختلفة الموضوعات والأساليب فهى شعر ونثر وهى ترانيم دينية وحكم فلسفة، وهى شعر تعليمى وأغان غزلية وقصص وأساطير وتاريخ وهى كل ما لم يرد ضمن أسفار التوراة أو- أسفار الأنبياء^(١).

ويحتوى سفر المزامير على مائة وخمسين مزموراً وتنقسم فى وضعها الحالى إلى خمسة كتب أو أقسام وتفصل بين القسم والآخر عبارات مرنمة وهذه الأقسام هى:

القسم الأول: من المزمور ١-٤١

القسم الثانى: مزمور ٤٢-٧٢

القسم الثالث: مزمور ٧٣-٨٩

القسم الرابع: مزمور ٩٠-١٠٦

القسم الخامس: مزمور ١٠٧-١٥٠^(٢)

(١) يذكر العلماء أن المزامير ضرب من الشعر سمي بهذا الاسم نسبة إلى الآلة الموسيقية التى تصحب انشاده وباسم الآلة سمي السفر ايضاً، والمزمور هو قصيدة من الشعر الوجدانى الغنائى ذات صور متنوعة وتعبير جزئية، يأتى سفر المزامير فى الطليعة من بين الأسفار الشعرية فى العهد القديم أعنى الأمثال وأيوب والى التى تحتوى على مجموعة- كبيرة من الترانيم الدينية لذلك يرجع أن لفظ "هليم" العبرى ومعناه مدائح كان- يطلق ايضاً على سائر الكتب التى تحتوى على المدائح والأشعار وقد استعاضت الترجمة السبعينية عن لفظ "تهليم" بالكلمة اليونانية وترجمتها "مزامير" وتعنى العزف على آلة وترية (راجع الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٦٥، د/ فؤاد حسنين التوراة الهيروغليفية ص ١٣٠-١٣١، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٠..

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٣١-١٣٢، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٢ وورد فى القاموس أن المزامير تنقسم إلى خمسة كتب تنتهى كل منها بتسبيحة وتكرار لفظة آمين مرتين أضافها جامعو الكتاب لا مؤلفو المزامير، ولعل هذه التقسيم الخماسى يرمز إلى الأسفار الموسوية الخمسة وهو تقسيم يرى بوضوح فى الترجمة السبعينية كما فى الأصول- العبرانية القديمة (راجع تفاصيل هذه الأقسام الخمسة قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٠-٤٣١).

ويبدو أن هذا القسم قد وضع في عهد متأخر تمشيًا مع أسفار التوراة الخمسة، على أن بعض علماء الكتاب المقدس يرون أن هناك تقسيماً مبكراً يضع المزامير في ثلاثة أجزاء فقط:

الجزء الأول كما هو من (١-٤١)

الجزء الثاني من (٤٢-٨٩)

الجزء الثالث من (٩٠-١٥٠)^(١)

معرفة مؤلفي المزامير:

أما فيما يتعلق بمعرفة مؤلفي هذه المزامير أو التحقق من نسبتها إلى أشخاص معروفين فإن علماء الكتاب المقدس يذكرون أن مزامير العهد القديم قد انتهت إلينا من حقبة مختلفة في تاريخ إسرائيل حيث استمر تأليفها مدة نحو ألف سنة من أيام موسى عليه السلام إلى العودة من السبي البابلي أو حتى بعد هذه العودة من السبي البابلي أو حتى بعد هذه العودة بقليل في أيام عزرا.

ويذكرون أيضاً أنه ليس لدينا إلا النزر اليسير من المعلومات عن أسماء كتاب هذه المزامير ويبدو أن بعضاً منها يرجع إلى تاريخ متقدم ثم أدخل عليها بعض التعديل في اللفظ^(٢).

وانتهى العلماء إلى أن ثلثي المزامير وعددها (مائة زمور) تنسب إلى مؤلفين مختلفين وأن الثلث الباقي وعدده (خمسون زموراً) كتابه مجهولون.

فنسبوا ثلاثة وسبعين زموراً إلى داود، واثنى عشر زموراً إلى آساف وعشرة مزامير إلى نبي قورح، ومزمورين إلى سليمان، ومزموراً واحداً إلى كل من موسى وايتان وهيمان.

(١) راجع تفاصيل هذا التقسيم الثلاثي: حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٢-١٤٣.

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤١ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٢، ويدافع حبيب سعيد عن ذلك ويقول "على أن هذا السفر لا تقوم أهمية على كاتبة أو تاريخ كتابته وذلك لأن قيمته الروحية إنما تستند إلى الخصب الروحي الذي تستمده النفوس الخاشعة وهي تردد هذه المزامير في مناسبات مختلفة فاليهودي في القديم وهو في هيكله والمسيحي في العصر الحديث في بيعته كلاهما ألّفى مدداً روحياً غزيراً في حياته الحاضرة وآماله المستقبلية (ص ١٤١-١٤٢).

فالمزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام هي: ٣- ٩ و ١١- ٣٢ و ٣٤- ٤١ و ٥١- ٦٥ و ٦٨- ٧٠ و ٨٦ و ١٠١ و ١٠٣ و ١٠٨- ١١٠ و ١١٢ و ١٢٤ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٣٨- ١٤٥

والمزامير المنسوبة إلى آساف^(١) هي: (٣٧.٥٠-٨٣)

والمزامير المنسوبة إلى بنى قورح^(٢) هي: (٤٥.٤٢-٨٤.٤٩-٨٧)

والمزموران المنسوبان إلى سليمان هما: ١٢٧، ٧٢

والمزمور المنسوب إلى موسى هو رقم ٩٠

والمزمور المنسوب إلى شخص اسمه ايتان رقم: ٨٨.

وأما الأسفار الخمسون التي هي مجهولة المؤلف فهي مزامير:

(١-٢، ١٠، ٣٣، ٤٣، ٦٦-٦٧، ٧١، ٩١-١٠٠، ١٠٢، ١٠٤-١٠٧، ١١١، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥-١٢٦، ١٢٨-١٣٠، ١٣٤-١٣٧، ١٤٦-١٥٠)^(٣)

وهكذا قد تبين لنا أن أكثر من نصف المزامير ليست منسوبة إلى سيدنا داود عليه السلام وإنما هي منسوبة إلى غيره أو مجهولة النسبة ليست يقينية وإنما قيل بها حسب ما هو مسجل في عناوينها^(٤)

يقول الدكتور فؤاد حسنين "أما نسبة هذه المزامير لأفراد بعينهم فيجب أن لا نقبله دون بحث أو تحقيق، فالترجمة السبعينية مثلاً تذهب إلى نسبة أربعة ترانيم إلى

(١) كان آساف هذا لاوياً وأحد رؤساء آلات الطرب والترتيب لداود (قاموس ص ٤٣٢).

(٢) بنو قروح هم عائلة من الشعراء - كانوا يمارسون وظيفة الكهنوت في أيام داود وخالفاته (المصدر السابق ص ٤٣٢).

(٣) راجع التفاصيل حول نسبة هذه الأسفار إلى أصحابها: د/ حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي ص ٥٧-٥٨ ناقلا عن بنيامين جرين التوراة الهيروغليفية ص ١٣٢-١٣٤، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٢، صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم ص ٣٨٤.

(٤) وقد تسمى المزامير كمجموع "مزامير داود" ويعلل القاموس ذلك بأن داود كان أشهر المؤلفين ورئيس المرنمين (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٢).

النبيين: حجي، وزكريا كما أضافت إلى داود أكثر من اثني عشر مزموراً من بينها ما يتصل بالأسر ومنها ما يتصل بإعادة بناء المعبد

والنتيجة أن هذه المزامير يجب ألا نحكم عليها أو ننسبها إلى ما جاءنا فيها وذلك أن هذه النسبة ثبت بطلانها وعلى الباحث أن يدرس كل مزموّر على حدة ليتبين على ضوء نصه الزمن الذي يرجع إليه^(١)

تاريخ تدوين المزامير:

وأما تاريخ كتابة المزامير فإن حبيب سعيد يذكر انه لا يمكننا أن نحدد الزمن الذي كتبت فيه، وأنه كان من الواضح أن بعضها يرجع إلى عصر الملكية لأن للملك ذكراً فيها، وبعضها الآخر يرجع إلى زمن السبي والبعض الثالث يرجع إلى ما بعد السبي^(٢).

ويرى أن كل مزموّر يحتاج إلى دراسة خاصة لإمكان تحديد زمنه والظروف التي وضع فيها^(٣).

وتذكر الباحثة كاترين هنري أن العلماء في العصر الحديث قد عكفوا على دراسة المزامير من حيث تاريخ كتابتها وأصلها والغرض منها، وترى أن بعض المزامير ذات صبغة شخصية تعبر عن أحساس إنسان فرد ونطق بلسانه، وبعضها الآخر ذات صبغة عامة ينطق بلسان جماعة أو أمة، وقليلاً منها ينطق بلسان ملك من الملوك.

وتنتهي إلى أننا لا نستطيع الآن الجزم بقول عن تاريخ كتابة المزامير والباعث على

(١) التوراة الهيروغليفية ص ١٣٤.

(٢) يذكر سينيوز أن المزامير قد جمعت وقسمت إلى خمسة أسفار بعد إعادة بناء المعبد، ويشهد فيلون الاسكندري بأن المزمور ٨٩ كتب بعد إطلاق سراحه وما كان فيلون يقول هذا- فيما يعتقد سينيوز- لو لم تكن هذه الفكرة متواترة في عصره أو ما لم يكن قد تلقاها من الثقات. رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٠٩، ويرى د/ المسلي أن سفر المزامير في صورته الحالية هو في جوهره أثر من الآثار اليهودية في العصر التالي للسبي (سقوط أورشليم وأهمية العالمية ص ٦٤٨).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٥.

كتابتها، فالعلماء ما فتنوا يبحثون وينقبون ولم يصلوا بعد إلى نتائج حاسمة وما يزال الاتفاق في الرأى بعيداً.

على أنه في وسعنا - كما تقول - إلى حد ما أن نلجأ إلى أحكامنا الخاصة وتقدير عقولنا عند دراسة آرائهم التي اجتهدوا فيها، وقد يكون ما يديه العلماء في بعض مشاكل هذا البحث صواباً أو قريباً من الصواب، والذي يمعن النظر في بعض المزامير يرى أنها كتبت أو جمعت في تواريخ متفاوتة متباعدة^(١).

ويذهب صموئيل شولتز إلى أن الآراء تتضارب بشأن الزمن الذي جمعت فيه المزامير ويرجح أن المجموعات القديمة منها ترتبط باسم داود كملك ثم أسهم من بعده ملوك يهوذا في تنظيم وتوسيع استخدام هذه المزامير على التوالي.

ويرى أن يكون عزرا في عصر ما بعد السبي هو آخر المؤلفين الذي أسهموا في كتابة سفر المزامير^(٢).

وعلى أى حال فإن أسلوب تدوين المزامير يدل على أنها دونت بعد المنسوبة اليهم بمدة طويلة^(٣).

ويرى ول ديورانت أن المزامير ليست كلها من وضع داود وحده بل من وضع طائفة من الشعراء كتبوها بعد الأسر اليهودى بزمان طويل، ويغلب أن يكون ذلك في القرن الثالث ق.م^(٤).

وهكذا فإن سفر المزامير لم يثبت بالسند الكامل أن مصنفه فلان ولم يعلم زمان جميع تلك المزامير في مجلد واحد ولم يتحقق أن أسماءها الهامية أو غير الهامية^(٥).

(١) التاريخ في الكتاب ص ١١٣-١١٤.

(٢) العهد القديم يتكلم ص ٣٨٤.

(٣) محمد عزة دروزة: تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ١٥٩.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٨٦.

(٥) الشيخ رحمت الله الهندس: اظهار الحق ص ٩٤-٩٥.

ولذلك فإن كثيراً من العلماء والنقاد المحدثين يشكون في المصدر الإلهي لسفر المزامير^(١).

ويرون أن المزامير كما وصلتنا في العهد القديم هي صورة صادقة للآثار البعيدة التي اقتبسها العبريون مستقرين أو مسببين من مصر أولاً وبابل وأشور ثانياً^(٢).

ويذهبون إلى أن بعض هذه المزامير قد تأثرت بتراتيل الشعوب التي احتك بها اليهود مثل البابليين والمصريين^(٣).

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين على أن الاسرائيليين لم ينفردوا بالمزامير فنحن نجد لها عند غيرهم أمثال البابليين وقدماء المصريين والشبه بين الفنين كبير جداً، بل إن معظم المزامير العبرية ترجع في الواقع إلى الأدب البابلي^(٤).

حيث كان أثر البابليين شائعاً جداً في فلسطين قبل السبي منذ عهد (آحاز) (ومنسى) وحيث انتقلت الديانة البابلية وقتذاك بمزاميرها وترانيمها الخاصة وكانت تغنى في الأعياد إلى أورشليم^(٥).

(١) د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٩٢، ويذكر أن على رأسهم دوم كالمية، نويل الاسكندر، فران.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٣٩.

(٣) د/ بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٩٥.

(٤) راجع بعض النماذج من المزامير البابلية والمقارنة بينها وبين المزامير اليهودية: بريستيد: فجو الضمير ص ٣٦٣-٣٦٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج٦ حضارات العراق وفارس ص ١٦٠-١٦٣.

(٥) التوراة الهيروغليفية ص ١٣١، ويذكر بريستيد أن الثقافة البابلية كان لها أثر هام وخالد على العبرانيين وأنه عن طريق الكنعانيين بوجه خاص وصل أثر البابليين في الفن والأدب والدين إلى العبرانيين لأنهم حين دخلوا فلسطين صاروا على اتصال مباشر بالحضارة الكنعانية المركبة التي انشئ معظمها من العناصر البابلية والمصرية القديمة معاً (فجر الضمير ص ٣٧٢).

هذا بالإضافة إلى أن اليهود قد اطلعوا على المزامير البابلية أثناء السبي البابلي ونقلوا كثيراً منها ويؤيد ذلك أن عدداً من المزامير قد وضعت بعد السبي كما سبق

ويذهب أحد الباحثين إلى أن كتاب المزامير المتأخرين قد أطلعوا على قصة
احيقار^(١) واقتبسوا منه بعض الحكم والأفكار^(٢).

أثر الأدب المصرى على المزامير:

أما الأثر المصرى فى المزامير فإن العلماء قد توصلوا إلى نتائج هامة فى هذا الشأن،
ونظراً لخطورة هذا الأمر أحب أن أشير إلى الملابس التاريخية التى توضحه فإن
حضارة مصر وثقافتها قد شاعت فى فلسطين ووقر فى النفوس علمها وحكمتها:

يذكر بريستيد أن اليهود أخذوا الكثير من قوانينهم وأساطيرهم عن المدينة
البابلية أما فى الأخلاق والدين والتفكير الاجتماعى بوجه عام فإننا نجدهم قد بنوا
حياتهم على الأسس المصرية القديمة.

فالإسرائيليون بعد استيطانهم فلسطين كانوا فى الواقع يسكنون أرضاً من
الأملاك المصرية مضت عليها فى هذه الحالة قرون بأكملها، فقد بدأ المصريون
يسيطرون سيطرتهم على الساحل الفينيقي قبل أن يطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من
ألفى سنة إذ اقتحمت الجيوش المصرية فلسطين سنة ٢٥٠٠ ق. م ولما فتح الفراعنة
المصريون آسيا الغربية، ووصلوا فى فتحهم إلى نهر الفرات فى خلال القرن السادس
عشر ق. م بقيت فلسطين مستعمرة فى أيديهم أكثر من أربعة قرون.

والواقع أنهم حكموا فلسطين مدة قرنين بعد دخول العبرانيين فيها، وبذلك
بلغت المدينة الكنعانية مرتبة سامية فى القرون التى احتلتها فيها مصر، فلما غزاها
العبرانيون كانت قد صبغت مراراً وتكراراً بالعناصر المصرية^(٣).

(١) عرفت قصة احيقار فى كثير من الآداب القديمة وترجمت إلى عدد من اللغات القديمة والحديثة
ويقص المؤلف أن احيقار كان وزيراً حكيمًا لملك آشور سنحاريب بن اسرحدون وكان ذا مال كثير
ومعرفة ورأى وتدبير وقد كتب حكمته فى شكل نصائح وجهها إلى ابن اخته) راجع تفاصيل ذلك:
سهيل فاشا: الحكمة فى وادى الرافدين ص ٨٣- ١٠٢ مطبعة شفيق بغداد (١٩٨٣).

(٢) المصدر السابق ص ١٠٨- ١٠٩.

(٣) فجر الضمير ص ٣٧٢، ١١٤، ٤١٢.

ومن قبل أن يدخل الإسرائيليون فلسطين كانوا قد أقاموا في مصر مدة طويلة قدرت - بأربعمائة عام أو أكثر ظلوا فيها يعلمون للمصريين ويتكلمون لغتهم ويتداولون فكرهم، ثم خرجوا يحملون، مع ما سلبوا من ثياب وحلى من ثقافة مصر وحضارتهم وآدابها الكثير، وذهبت الحقائق بما أورثتهم مصر في نظمهم وآدابهم وعقائدهم - كما يقول د/ أحمد يوسف - مذهب البدائية التى لا تقبل الجدل ولا تفتقر إلى دليل^(١).

وقد تبين لنا فيما سبق أن الصلات التاريخية ظلت قائمة في عصرى المملكة الموحدة - والانقسام وعاش اليهود في العصر الأخير يتنقلون بين الخضوع للمصريين وللأشوريين والبابليين حتى السبى البابلى وسقوط مملكة يهوذا في عام ٥٨٦ ق.م^(٢).

وهكذا يبدو واضحاً أن الإسرائيليين منذ دخولهم مصر على أيام الهكسوس مروراً بإقامتهم في فلسطين وحتى السبى البابلى وكتابة توراتهم إبانهم لم يتعدوا عن التأثير المصرى في كل المجالات الفكرية والمادية.

ومن هنا كان التأثير المصرى في التوراة وفي العبادات وفي مجالات الحياة الإسرائيلية الأخرى والتى كان الأدب واحداً من أبرزها، حيث أقبل علماء الساميات على دراسة هذا الأدب وظهرت نتائج أبحاثهم وكلها تقدير للأدب المصرى وأثره على الأدب العبراني^(٣).

فقد سبقت مصر الفراعنة الإسرائيليين في النشاط الأدبى بما لا يقل عن ألفى

(١) مصر في القرآن والسنة ص ١٨٠، راجع قنوات الاتصال التاريخية بين مصر واليهود في البابين الأول والثانى من هذا البحث.

(٢) راجع علاقة اليهود بمصر في البابين الأول والثانى من هذا الكتاب.

(٣) ويكفى أن نشير هنا في هذا الشأن إلى أبحاث "جرسمان" و"أوستري" و"هوميير" و"يهودا" (راجع د/ محمد بيومى مهران ج ٩ ص ٣٤٩ - ٣٥٠).

سنة، وأدى ذلك إلى أن ينقل الإسرائيليون في شعرهم كل خصائص الشعر المصري والتي يمكن القول أنها مشابهة تماماً لمثيلاتها في الشعر العبري^(١).

وعندما نحاول أن نعرف أهم ما يدين به الكتاب اليهود لمصر، فهناك مجالات رئيسية ثلاث هي: الشعر الديني، وكتابات الحكمة، والشعر غير الديني.

هذا ووجد شعر ديني كثير في التوراة - أو العهد القديم - ولكن المزامير بطبيعة الحال أهم هذا الشعر الديني، ولعل من اللافت للنظر ذلك التقارب المدهش بين الشعر المصري في مديح الاله "آمون رع" وبين فقرات متنوعة من سفر المزامير.

ولاشك أن الموازنة بين المزامير وقصائد المديح المصرية لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة البحتة وقد تظهر الأمثلة من كل منهما ذلك بوضوح لا لبس فيه ولا غموض^(٢).

(١) لقد أورد أوسترلي في فصل "مصر وإسرائيل" الذي جاء بكتاب "تراث مصر" عن إيرمان خصائص الشعر المصري القديم التي نلقها الإسرائيليون في شعرهم وتنحصر هذه الخصائص فيما يأتي:

١- تقسيم القصائد إلى مقاطع - فقرات وأبيات) ليس من الضروري أن تكون متساوية في الطول من حيث عدد سطورها، ولكنها تبين بوضوح انها مقسمة إلى أقسام وتدل دلالة قاطعة على هذا التقسيم.

٢- تكرار استخدام التناثر، كمظهر من مظاهر هذا التشابه فتأخذ الفكرة الوحدة - تعبيراً مزدوجاً، حتى أن السطر يتكون فيها من جملتين قصيرتين، توجد في كل منهما نفس الفكرة بصيغة مختلفة عن الأخرى.

٣- يتمثل التشابه كذلك فيما يبدو، من أن السطور الشعرية إنما تحتوي على عدد محدد ومنتظم من الأنغام أو الضربات الإيقاعية.

٤- وضوح استخدام اللعب بالألفاظ مما أدى إلى ورود ألفاظ كثيرة في القصيدة لها نفس النطق.

٥- الولع بالتبتيغ أن تكرار الحرف الواحد في أوائل الكلمات من الجملة وأحياناً تكراراً - الحرف الواحد في الكلمة الأولى من كل سطر.

٦- الإكثار من استخدام المحسنات اللفظية كالمجاز والاستعارة والكناية.

وكل هذه الخصائص ترى أيضاً في الشعر العبراني مما يدل على مدى دين الشعر - العبراني للأنماط المصرية واعتماد الشعراء اليهود على النماذج المصرية في التركيب البنائي لأدهم الشعرى.

(راجع د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٧٥-٧٦، د/ مهران ج ٩ ص ٣٥٠-٣٥١)

(٢) راجع تفاصيل هذه الموازنة: د/ محمد بيومى مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٩ ص ٣٥١-٣٥٣.

ومن أبرز الأمثلة على تأثر المزامير بالأدب المصرية تلك المقارنة التي قام بها العلماء بين المزمور رقم (١٠٤)^(١) وبين أنشودة أخناتون^(٢).

وقد كان المؤرخ الأمريكي جيمس هنرى بريستيد (١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) هو أول من أشار إلى المطابقة بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) من سفر المزامير.

ثم قام بعمل مقارنة بين النصين - المصرى والعبرانى - فخرج من بحثه - أو أبحاثه - بأن ذلك لا يمكن أن يكون بسبب توارد الخواطر بحال من الأحوال وإنما

(١) المزمور (١٠٤) كما سبق أن ذكرت ضمن الخمسين مزموراً التي هي مجهولة المؤلف وبالتالي فهو بعيد تماماً عن سيدنا داود عليه السلام حتى باعتراف اليهود أنفسهم وبالتالي فلا حرج علينا في بحثه والتعرف لدراسات العلماء حوله.

(٢) كان اخناتون من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة - (١٥٧٠ - ١٣٢٠ ق.م، في عصر الدولة الحديثة، وكان يسمى امنحوتب الرابع (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م وقد تولى الملك شريكا لأبيه امنحوتب الثالث وأقام معه في طيبة ولكن منذ أن أصبح له شئ من الأمر بدأ يفكر في الدعوة إلى عبادة الشمس واختار أحد مظاهرها وهو "أتون" الذى عبر به عن القوة الكامنة في قرص الشمس الهاله وأقام له معبداً على مقربة من معبد الكرنك. وفي العام السادس من حكمه جهر اخناتون أو امنحوتب الرابع بعقيدته وأعلن التوحيد خالصاً فنادى باله واحد لا شريك له، ولا محل لتعدد الأرباب والرباب إلى جانبه، ليس هو آمون ولكنه أتون - وليس هو ممن تقوم عبادته خلف أستار وأسرار ولكنه اله شهد الناس آياته دون حجاب، وبدأ امنحوتب بنفسه متبرئاً من لفظ آمون في اسمه وسمى نفسه اخناتون) ربما بمعنى المخلص لآتون أو المجد لآتون) وهجر العاصمة التي ساد فيها الإله آمون إلى عاصمة أخرى في أواسط الصعيد وهبها لربه الواحد الأحد وسماها "أخت أتون".

ولم تكن ديانة أتون التي دعا إليها اخناتون لمصر وحدها بل كانت للعالم كله وتعتبر محاولة للتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة في وقت واحد ولكنها لم تصل إلى الكمال الذى يوجد في الدين السماوى، ويذكر الدكتور رءوف شلبى أن - دعوة اخناتون لم تكن من منطلق الصراع السياسى بين الملوك والكهنة، وإنما كانت من منطلق دعوة الأنبياء السالفين سيدنا إبراهيم وسيدنا يوسف عليهما السلام.

(راجع تفاصيل الحديث عن اخناتون وديانته: ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩، د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق ص ٢٠٤ - ٢٠٥، و ٣٣٢ - ٣٣٨، د/ أحمد فخرى: مصر الفرعونية ص ٣٠٢ - ٣٠٨، عباس محمود العقاد: الله ص ٢٩١ - ١٩٢ مكتبة الأزهر ١٩٨٠ م)

المرجح أن العبرانيين إنما كانوا على علم بأنشودة اخناتون التى وضعها لاله الشمس^(١).

يقول بريستيد: "لقد لاحظنا أن مؤلفى المزامير العبرانيين قد رسموا صورة تدل على الحماية الآلهية المستمدة من تحت جناحي اله الشمس المصرى الظليلين ولا بد أنهم كانوا على علم بأنشودة اخناتون التى وضعها لإله الشمس.

ويرجح بريستيد أن يكون الأصل المصرى القديم لتلك الأنشودة قد انتشر فى فلسطين أو فينيقية قبل ظهور المزامير بزمان طويل، إذ انتهى اخناتون من اخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر ق.م.

ومن البدهى أن أعداءه الحانقين عليه ما كانوا يتركونها تنتشر فى مصر مدة ستة أو سبعة قرون (أى إلى ما بعد سنة ١٠٠٠ ق.م بكثير) وهو الوقت الذى ابتدأ فيه العبرانيون يبدون اهتمامهم بها.

وعلى ذلك يجب التسليم بأن تلك الأنشودة قد انتقلت إلى آسيا فى عهد اخناتون - نفسه وأنها بذلك أفلتت هناك من الدمار المحقق على يد أعدائه^(٢).

ويذكر بريستيد أن هذه الأنشودة قد حدث فيها تغيير تعظيم، بعد أن ترجمت إلى بعض اللهجات السامية من لهجات آسيا الغربية كاللغات الفينيقية أو الآرامية أو - العبرية على الأرجح.

على أنه بفحص محتويات الفقرات المشابهة لها (من المزمور ١٠٤) يظهر لنا مدى - الشبه المدهش بين الصورتين لا من حيث مضمون أنشودة أخناتون فحسب بل أننا كذلك نجده فى تتابع الأفكار وترتيبها الظاهرى فإن ذلك بقى فى الرواية الآسيوية كما كان فى أنشودة اخناتون.

(١) د/ أحمد فخرى: مصر الفرعونية ص ٣٢٨ - ٣٢٩، د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى ج ٩ ص ٣٥٣.

(٢) فجر الضمير ص ٣٩٣ ترجمة سليم حسن نشر مكتبة مصر من سلسلة الألف كتاب رقم (١٠٨).

ويقرر بريستيد أنه لا يمكن أن تكون تلك المشابهات من قبيل الصدفة بل أنها على العكس دليل على وجود جزء عظيم من الأنشودة المصرية الدينية القديمة منشوراً بشكل معدل في المزامير العبرانية^(١).

هذا وكان بريستيد قد لفت الأنظار إلى هذا التشابه المدهش الموجود بين المزمور - ١٠٤ وبين الأنشودة الاختاتونية في كتابه "تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي"^(٢) وسرعان ما تقدمت الأبحاث وتطورت الدراسات فعضدت إشارة بريستيد وأضافت إليها براهين جديدة:

يقول بريستيد "وقد مضى الآن ما يقرب من جيل منذ ذلك الحين ولم يكن في استطاعتى في ذلك الوقت أن أتعرض لأكثر من بيان وجه الشبه فقط، إذ كان من الحكمة ألا تبني أية نتيجة على مجرد وجود تلك الحقيقة.

ولكن الأبحاث والكشوف التى تلت ذلك العهد قد غيرت موقفنا تغييراً جوهرياً حيث صار لدينا الآن الأصل الهيروغليفى المصرى الذى ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة برمتها في "العهد القديم العبراني"

فقد تعرف الأستاذ المأسوف عليه "هوجو جرسمان": الباحثة الضليع وصاحب رأى - الثاقب فى الأدب العبرانى بلا تردد على المنهل المصرى الذى استقى منه المزمور (١٠٤) المذكور الذى انحدر إلى فلسطين على ما يعتقد عن طريق فينيقية^(٣).

هذا وقد أخذ كثير من الباحثين - غير العالميين الكباريين: بريستيد وجرسمان - يعضدون اتجاه تأثير نشيد اختاتون فى أفكار العبرانيين الدينية وخاصة فى المزمور رقم (١٠٤) ومنه آرثر ويجال، وهـ. ر. هول. وسيرألن جادرن، وفرانسوا دوما، وجان بويت، والكسندر شارف^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) تمت ترجمة هذا الكتاب إلى العربية وقام - بالترجمة الدكتور حسن كمال وراجعه وصححه محمد حسنين الغمراوى بك ونشرت وزارة - المعارف العمومية الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٩ م.

(٣) بريستيد: فجر الضمير ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) راجع عباس محمود العقاد: الله ص ٦٩-٧٢، د/ محمد بيومى مهران ج٩ ص ٣٥٩.

ومنهم أيضا الدكتور فيليب حتى الذى يذكر أن المزمور ١٠٤ يعتبر اقتباساً عبرياً لترنيمة اخناتون^(١).

ومنهم أيضا ول ديورانت الذى ينقل أنشودة اخناتون ويذكر أن ما بين هذه الأنشودة - وبين المزمور (١٠٤) من تشابه يغفل عنه الناس لا يترك مجالاً للشك فيما كان لمصر من أثر فى الشاعر العبراني^(٢).

ومن الذين يذهبون إلى تأثير نشيد اخناتون على المزامير خبير الآثار المصرية جون ويلسون، وديفز، إذ ينقل عنهما الدكتور سامى سعيد الأحمد قولهما "إن التشابه الكبير بين الترتيلة المعروفة لأخناتون إلى قرص الشمس (آتون) والمزمور (١٠٤) من سفر المزامير من العهد القديم أمر مهم فى هذا الاتجاه"^(٣).

وقد أيد هذا رأى عدد كبير من علماء المصريات العرب منهم على سبيل المثال الدكتور أحمد فخرى الذى يقول:

"ليس هناك شك فى أن أناشيد اخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير، فإن المزمور (١٠٤) يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير، وليس من قبيل توارد الخواطر، أما كيفية وصول هذا النشيد إلى العبرانيين فمن المحتمل أن يكون قد حفظ فى آسيا وبقي فى آدابها تتناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون بكتابة التوراة فى القرن الثامن ق.م^(٤).

ويذكر الدكتور أحمد فخرى أنه لاشك أن مثل هذا رأى لا يمكن أن يطيب قبوله لمن امتلأت نفوسهم تعصباً للكتاب المقدس فأخذوا يتشككون فى ذلك ويقولون أن بدوا جهلاء مثل العبرانيين كانوا يعملون فى أشق الأعمال ويدوقون العذاب على أيدي المصريين لا يمكن أن يفهموا مثل هذا النشيد وأن يعجبوا به أو

(١) موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٦١-٦٢.

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ١٦٩-١٧٥.

(٣) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ١٥، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٥٤١.

(٤) مصر الفرعونية ص ٣٠٨، راجع أيضاً: د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٣٣٦، د/ أحمد عبد الحميد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ١٨٢.

بغيره ولكن حجج هذا الفريق غير مقنعة ويمكن لأى باحث أن يضع كلا من النشيد والمزمور إلى جوار بعضهما ليتأكد من أن نشيد اخناتون هو دون شك أصل المزمور^(١).

نشيد اخناتون	مزمور (١٠٤)
وعندما تغرب في الأفق الغربى تصبح الأرض سوداء كما لو كان حل بها الموت ينام (الناس) في حجرة وقد لفوارؤوسهم. ويخرج كل أسد من عرينه وجميع الزواحف (تخرج) لتلد ويلف الظلام كل شئ. وفي الصباح، إذا أشرقت في الأفق، انكشف الظلام وإذا الناس يقومون على اقدمهم في العالم كله يؤدون أعمالهم ما أعظم أعمالك التى عملت (يارب) أنها خفية على الناس خلقت الأرض كما تشاء. والسفن تبحر شمالاً وجنوباً وتعج الطرق بالناس، الأسماك في النهر أمامك، وأشعتك تنفذ إلى أعمال الأخضر العظيم (البحر).	تجعل ظلمة فيصير ليل، فيه يدب كل حيوان واعر. مزمور ١٠٤: ٣٠ الأشبال تزجر لتخطف ولتلمتس من الله طعامها. ١٠٤: ٢١ تشرق الشمس فتجتمع وفي مآربها تربض، الإنسان يخرج إلى شغله إلى الماء. مزمور ١٠٤: ٢٢-٢٣ ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت ملائكة الأرض من غناك. مزمور ١٠٤: ٢٤ هذا البحر الكبير الواسع الأطراف، هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار، - هناك تجرى السفن "لوياتان" هذا خلقتة ليلعب فيه.

(١) مصر الفرعونية ص ٣٢٩ وقد تناسى أصحاب هذا الاعتراض أن الإسرائيليين قد اطلعوا على هذا النشيد وهم في كنعان أو في بابل حيث كان شائعاً ومنتشراً.

راجع الردود الكاملة على هذا الفريق بالتفصيل: د/ محمد بيومى مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٩ ص ٣٦٠-٣٦٥.

(٢) راجع في هذه المقارنة: د/ أحمد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ١٨٤، د/ أحمد فخرى: مصر الفرعونية ص ٣٠٩-٣١٤، د/ بيومى مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٩ ص ٣٦٦-٣٦٧، سهيل ديب: التوراة: العقل. العلم - التاريخ ص ١٨١-١٨٣ فؤاد محمد شبل: اخناتون ص ٩٩-١٠٠ دور مصر في تكوين الحضارة ص ١٠٠-١٠١.

الناس يرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك. انك أنت الذى يمدهم بكل ما يحتاجون، ويحصل كل شخص على طعامه عندما تبزغ فى الأفق الشرقى تملأ الأرض بجمالك.	كلها إياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه تعطيها فتلتقط، تفتح يدك فتشيع خيراً. ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض ^(٢) . مزمور ١٠٤: ٢٥-٣٠
--	--

هذان النصان وكأن ثانيهما تحريف ركيك متفكك عن الأول، يكفیان بالواقع لتأكيد الرباط الوثيق بين مؤلفيهما: الأول اخناتون والثانى مجهول الهوية، لكن قصيدته أشهر من نار على علم، وهى المزمور (١٠٤) ولم تستطع بلاغة الشيخ ابراهيم اليازجى أن تحسن فيه شيئاً عند الترجمة، والظاهر هو أن شخصاً ما حفظ النشيد الأخناتونى لفترة من الزمن ثم حاول إعادة كتابته لإعجابه بلغة جديدة وبشروط دينية جديدة لها طقوسها واستعارتها الخاصة فلم تسعفه شاعريته كثيراً^(١).

٢- سفر الأمثال:

يعد سفر الأمثال^(٢) من أسفار القسم الثالث. الكتابات) من أقسام العهد القديم ويحتوى على مجموعة كبيرة من الأمثال ويبلغ عدد اصحاباته واحداً وثلاثين اصحاباً.

ويحتل هذا السفر مكاناً بارزاً على المستوى الشعبى وفى أوساط العلماء والباحثين.

وبالرغم من أنه ينسب إلى سليمان فإنه فى نظر العلماء المحدثين من نقاد الكتاب المقدس يعتبر مجموعة من الأقوال المأثورة مروية عن أكثر من مصدر واحد^(٣).

فقد اتفقوا على أن هذا السفر ليس كله تراثاً عبرياً فأسقطوا الحجة القائلة بأن

(١) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٥٩.

(٢) تعنى كلمة الأمثال بالعبرية "مشاليم" جمع مشل ويسمى السفر باللاتينية سفر الحكم (مقدمة رسالة اللاهوت - للدكتور حسن حنفى ص ٣٠.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الاسرائيلى: أطواره ومذاهبه ص ٥٩.

سليمان هو مؤلفه، وإن كنا لسنا في حاجة إلى عناء كبير لسرد كثير من الأدلة المقتبسة من السفر نفسه والتي تنفى نسبته إلى سليمان بن داود عليهما السلام.

فسفر الأمثال عبارة عن مجموعة متفرقة من الحكم والأمثال التي لا ترتبط بينها رابطة ولا نلمس في أسلوبها وحدة أو تناسقا فهو ليس من وضع مؤلف بعينه نتاج قريحة عصر بمفرده، ومتى كانت أمثال أمة من الأمم من وضع فرد أو عصارة عصر من عصور تاريخها المختلفة؟

أليست الأمثال أدبًا شعبيًا تتناقله الألسنة وتتوارثه الأجيال فتغيره العصور وتبدله الأذواق حتى يأتي عصر التدوين فيقدر لها من يثبتها، وهذا ما حدث فعلا لسفر الأمثال فهو مجموعة من الوحدات التي لكل واحدة منها لونها الخاص ومذهبها الخاص فهي أما دينية وأما دنيوية، ومنها الخاص بالنصح والخاص بالتحذير والإنذار ومنها الألغاز ومنها الهجاء ومنها ما سبق في أسلوب قصصي لطيف ومنها ما عبر عنه باللفظ الوجيز.

كما أننا إذا قارنا مجموعة الأمثال العبرية بالترجمة السبعينية وجدنا بينهما فرقا كبيرا ومرجع هذا أن الترجمة اليونانية اعتمدت على نسخة تغاير هذه التي بأيدينا وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن سفر الأمثال ليس من وضع رجل واحد وليس نتاج عصر واحد^(١).

تقسيم سفر الأمثال:

قام العلماء بتقسيم سفر الأمثال إلى أقسام مختلفة تتلخص فيما يلي:

١- اصحاح ١-٩ (أمثال سليمان)

٢- اصحاح ١٠: ١- ٢٢: ١٥٦ (أمثال سليمان)

اصحاح ٢٢: ١٧- ٢٤: ٢٢ (كلام الحكماء)

(١) راجع حول ذلك: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٨٠-٨١، د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية ص ١٤٧، د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ٥١.

- ٣- اصحاح ٢٤: ٢٣-٣٤ (هذه أيضا الحكماء)
- ٤- اصحاح ٢٥-٢٩ (هذه أيضا أمثال سليمان التي نقلها حزقيا)
- ٥- اصحاح ٣٠ (كلام اجورين متقية)
- ٦- اصحاح ٣١: ١-٩ (كلام موئيل ملك مسا)
- ٧- اصحاح ٣١: ١٠-٣١ (قصيد شعري عن المرأة الفاضلة)^(١).

ويبدو من هذا التقسيم أن هناك أجزاء تنسب فعلا إلى سليمان على حين تبقى أجزاء أخرى متعددة المصادر مجهولة المؤلف، فمن هم هؤلاء الحكماء؟ ومن هو موئيل؟ ومن هو أجور بن ياقة؟

كل هذه أسئلة اختلف عليها الباحثون ولم يصلوا بعد إلى حل واضح فيها^(٢).

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن ادعاء البعض بأن سفر الأمثال كله من تصنيف سليمان عليه السلام ادعاء باطل يرده اختلاف المحاوراة وتكرار الفقرات. ولو فرض أن بعض اصحاحات هذا السفر من تصنيفه فحسب الظاهر فإنها لم تجمع في عهده.

ويذكر الشيخ رحمت الله أيضا اختلاف العلماء وتضاربهم في تحديد مؤلف هذا السفر وينتهى إلى انه لا يمكن أن يكون هذا السفر كله من تصنيف سليمان ولا يمكن أن يكون هو جامعة.

ولذلك اعترف الجمهور أن أناسا كثيرين مثل حزقيا واشعيا ولعل عزرا أيضا جمعه^(٣).

(١) راجع تفاصيل هذه الأقسام: د/ حسن ظاظا: الفكر الديني الاسرائيلي ص ٥٩-٦٢ د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفية ص ١٤٧-١٥٠، قاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٦، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٦، د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٩٤.

(٢) د/ حسن ظاظا: الفكر الديني الاسرائيلي ص ٦٢.

(٣) راجع تفاصيل ذلك: إظهار الحق ص ٩٥-٩٦.

ولنا أن نتساءل الآن بعد أن رأينا كثيرا من هذه الأمثال ليست لسليمان كيف نسب هذا السفر إليه؟

الواقع أن السفر قد نسب إليه كما نسبت المزامير إلى داود ولا يستبعد أن ينسب إليه المتأخرون من اليهود معظم ما يتصل بالفلسفة والحكمة في كتابهم المقدس كالأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد حيث اشتهر بالحكمة وعرف بينهم بالحكيم^(١). أما فيما يتعلق بتاريخ تدوين هذا السفر فإن حبيب سعد يذكر أنه من المتفق عليه إجماعاً بين علماء الكتاب أن هذا السفر في وضعه النهائي يرجع تاريخه إلى ما بعد عصر عزرا وهو العصر الذى ازدهرت فيه مدارس الحكمة ولكن سفر الأمثال - مثل أسفار التوراة الخمسة الأولى - يمثل الطور النهائي لأحاديث متواترة ترجع في بدايتها على الأقل إلى عصر سليمان الذى ربما يكون قد وضع أو جمع نواتها الأصلية الأولى.

ثم يقول: والذى يمكن الجزم به في يقين أن سفر الأمثال يشمل مجموعة من الأقوال والأحاديث يمتد تاريخاً إلى كل فترات التاريخ تقريباً في العهد القديم^(٢). ويعتقد سبينوزا أن الأمثال قد جمعت في عصر السبى البابلى أو على الأقل في زمان الملك يوشيا (٦٤١ - ٦١١) ق.م وذلك لما جاء في الآية الأخيرة من الاصحاح الخامس والعشرين ما يلي: هذه هى أمثال سليمان التى نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا^(٣).

ويرجع الدكتور فؤاد حسنين على أن هذا السفر قد تم جمعه حوالى القرن الثالث ق.م^(٤).

وعلى أى حال فإن نسبة سفر الأمثال كله إلى سليمان عليه السلام نسبة خاطئة

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٧، التوراة الهيروغليفية ص ١٥٠-١٥١ .

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٥-١٤٦ .

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٠٩ .

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١٥١ .

وباطلة حيث أن نصوص السفر نفسها تنسب كثيراً من اصحاحاته إلى غيره، وأيضاً فإن نسبة الأجزاء المنسوبة إليه تعتبر غير يقينية وغير مؤكده حيث أنها جمعت ودونت بعده كما رأينا بزم من طويل ففقدت تواترها وانقطع سندها بسيدنا سليمان عليه السلام.

ولذلك فإن عدد من الباحثين المحدثين قد انكروا المصدر الإلهي لهذا السفر واعتبروه تعبيراً عن الحكمة الإنسانية^(١).

ويذهب العلماء إلى أن هذا السفر قد جمع أمثال شعوب المنطقة، أى أن هذه الأمثال التى ذكرت فيه ليست من نتاج العقلية الاسرائيلية وحدها وإنما فيها أمثال وحكم اقتبست من الأدب الكنعانى والمصرى والبابلى وآداب شعوب الشرق الأدنى القديم^(٢).

فهذا السفر يتصل اتصالاً وثيقاً بكل من سفرى أيوب والجامعة وثلاثتهما تكون فيما بينها ما يعرف فى العهد القديم باسم أدب الحكم والأمثال التى شاعت فى الشرق القديم وبخاصة عن البابليين وقدماء المصريين حيث جاءتنا مجموعات غنية من حكم وأمثال الشعبين العريقين البابلى والمصرى^(٣).

(١) د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٠.

(٢) د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٩٤ ناقلاً عن مصدر أجنبى، ويذكر حبيب سعيد أن أربعة أقسام الأمثال تنتمى إلى أحاديث سليمان وأقواله وأن الأقسام - الباقية مأخوذة عن أصول أجنبية غربية ومن بين هذه الأصول الأجنبية توجد عناصر كنعانية داخل الأمثال (المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٦).

ويذكر أرنولد توينبى أنه ظهر من اكتشاف النصوص الأدبية الفينيقية المدونة بالكتابة الأوغاريتية التى تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م أن الفصول (الاصحاحات الثامن والتاسع من سفر الأمثال أنها هى ذات أصل كنعانى (تاريخ البشرية ج ١ ص ١٧٦)

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٥٠، وحكم وادى النيل وبلاد الرافدين لا تنتمى إلى عصر بعينه بل إلى عصور مختلفة ففى مصر وصلتنا حكم ترجع إلى الحكيم المصرى (تيج - حويت) حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م، ثم حكم الملك (مريكرى) حوالى ٢٣٠٠ ق.م وغيرها حتى تعاليم الحكيم (أمين - ام - اوبه) حوالى عام ٩٠٠ ق.م وأمثال (أنى) حوالى ٨٥٠ ق.م) هذا وكثيراً ما يشير العهد القديم إلى حكمة

وقد ركز علماء المصريون على إبراز المصدر المصرى لسفر الأمثال على وجه الخصوص.

يذكر بريستيد قصة ذلك فيقول أن العبارة الشائعة "أمثال سليمان" قد أدت إلى اعتقاد القارئ المعتاد أن أمثال ذلك الكتاب هى من عمل "الملك سليمان الحكيم"

وفى الحق - فيما يقول بريستيد - أنه يتبدى بنسبة الكتاب إلى سليمان فى مطلع الفصل الأول ثم تكررت تلك التسمية فى بداية الفصل العاشر فى شكل عنوان لمجموعة أخرى من أمثال سليمان.

كما أنه توجد به مجموعة ثالثة تحمل اسم سليمان وتبتدى بالفصل الخامس والعشرين فى حين أن الفصلين النهائيين من الكتاب ينسبان إلى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم وأحدهما منسوب إلى امرأة، فيتضح من ذلك ومما شهد به كتاب العهد القديم نفسه أن كتاب الأمثال هو مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة ويوجد بالكتاب فضلا عن هذه المجاميع الخمس التى كانت يوما متفرقة مجموعة سادسة، لأننا نجد فى صلب الفصل الرابع والعشرين (حتى فى الترجمة الإنجليزية) ما يكشف لنا عن عنوان جديد بهذا - النص "هذه أيضا كلمات "الحكماء" ويلى ذلك مباشرة جزء قصير يجوز أنه ملحق وضعه مؤلف مجهول.

كما نجد مدفونا فى قلب الفصل الثانى والعشرين دون أى إشارة تعليلية من جانب المترجمين حتى فى النسخة المنقحة، ما هو بالتأكيد بداية جزء آخر إن لم يكن عنوانا له (٢٢-١٧) يسمى "كلمات الحكماء" مثل ما وجدناه فى الفصل الرابع والعشرين سواء بسواء.

ويتساءل بريستيد فيقول: فمن هم يا ترى (هؤلاء الحكماء) المعلمون الاجتماعيون؟^(١) الذين قاموا بكتابة هذا الجزء الذى يبلغ نحو فصل ونصف فصل؟.

المصريين، هكذا نقرأ فى اشعيا ١٩: ١١ وأرميا الذى ذكر حكمة بابل ٥٠-٣٥ - ٣٦ / ٥١: ٥٧ - (المصدر السابق ص ١٥٠).

(١) لأن كلمة "حكاهيم" العبرية يدل معناها على صيغة الجمع.

والواقع أن هذا السؤال - كما يقول بريستيد -^(١) قد عجز عن الإجابة عنه كل الباحثين إلى وقت قريب جداً، غير أنه قد طبعت ورقة بردية كانت قد مكثت مدة طويلة في المتحف البريطاني فكشفت لنا عن أن مؤلف ذلك الجزء لم يكن سوى صديقنا المصرى القديم أمينموي!

وجميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يعتد بأرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصل "كتاب الأمثال" قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصرى القديم أمينموي^(٢).

أى أن النسخة العبرانية هى تقريبا ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفى العتيق^(٣).

(١) جيمس هنرى بريستيد: فجر الضمير ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) ويذكر الدكتور أحمد فخرى أن بردية أمينموي محفوظة في المتحف البريطاني وقد اشترت هذه البردية من أحمد التجار في الأقصر ولهذا كثيرا ما نقرأ أنه عثر عليها في جبانة طيبة ولكن لو وضعنا في أذهاننا أن صاحبها وهو أمينموي كان من أقل أخميم، وأن - قبره كان فيجب لها الغربى لرجحنا العثور عليها هناك وشراء تجار الأقصر لها من تجار أخميم كما يحدث دائما وخير ترجمة ظهرت لها في اللغة الإنجليزية هى ترجمة جريفت وقام الدكتور سليم حسن بترجمتها كاملة مع مقارنة بعض أجزائها بسفر الأمثال في كتابه الأدب المصرى القديم الجزء الأول القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٣١-٢٨٠.

(راجع د/ أحمد فخرى: الأدب المصرى القديم: بحث في تاريخ الحضارة المصرية: العصر الفرعونى ص ٤٤٥-٤٤٦ المجلد الأول: ملتمزم الطبع والنشر مكتبة النهضة - المصرية القاهرة بإشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومى: الإدارة العامة للثقافة)

(٣) فجر الضمير ص ٣٩٧.

ويذكر بريستيد أنه كذلك صار من الواضح أن حكم أمينموي شائعة في مواضع عدة من كتاب العهد القديم حيث نراها مصدراً لا في كتاب الأمثال فحسب بل في القوانين العبرية وفي سفر أيوب وأرميا. المصدر السابق) ص ٣٩٧.

وقد اختلف الباحثون في الفترة التى كتبت فيها تعاليم "أمينوي" فذهب البعض إلى إنها ألقت فيما بين القرنين العاشر والتاسع ق.م، وذهب آخرون إلى أنها كتبت فيما بين عامى ١٠٠٠ ق.م و٦٠٠ ق.م، وذهب فريق ثالث إلى أنها كتبت في القرن - السابع ق.م.

وأغلب الأمر أن هذه التعاليم ترجع إلى ما بين الاسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين أى من نفس العصر الذى عاش فيه سليمان.

وأما عن تاريخ انتقالها إلى العبرانيين فربما كان بعد فترة قصيرة من تأليفها وربما بعد ذلك لأن السفر الأمثال إنها ترجع في بدايتها إلى عصر سليمان الذى ربما يكون هو الذى وضع نواتها الأصلية.

وكان عالم البصريات الألماني (ادولف ارمان) هو أول من أشار إلى أن تعاليم أمينموبى^(١) (امن - ام - بت) هى الأساس الذى اعتمدت عليه الحكم الموجودة فى سفر الأمثال من العهد القديم (التوراة).

فقد تقدم فى ١٢ يونية ١٩٢٤ إلى المجمع العلمى البروسى ببحثه القيم "مصدر مصر لأمثال سليمان" فسجل - فيما يقول د/ فؤاد حسنين - حسنة جديدة من حسنات العقلية المصرية القديمة على الكتاب المقدس^(٢).

وكان مما قاله أرمان أنه فى وقت ما قد ترجمت هذه التعاليم إلى العبرية أو إلى الآرامية وأن الذى جمع سفر الأمثال فى التوراة قد استعمل الترجمة غير أنه أفسد المعنى عند الاستعارة^(٣).

وقد وجه هذا البحث - الذى تقدم به أرمان - الكثير من العلماء والباحثين إلى تتبع نتائج عقلية قدماء المصريين ومدى تغلغله فى تراث الشعوب الأخرى ففاضت القرائح - بالأبحاث الكثيرة التى تناولت الكتاب المقدس نقداً وتحليلاً حتى وفق الكثيرون من الباحثين إلى إرجاع كل قطرة إلى نبعها الأصلي^(٤).

(د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٤ ص ٥١٥، د/ محمد بيومى - مهران ناقلا عن مصدر أجنبى دراسات فى تاريخ الشرق ج ٩ ٣٧١-٣٧٢).

(١) دون أمينوبى حكمه وتعاليمه التى وجهها إلى ابنه فى ثلاثين فصلاً خص كل فصل منها بموضوع، وتناولت وصاياه فيما تناولت تحذير ابنه من ألوان الأغراء التى يتعرض لها ذوو السلطان استغلالهم لسلطانهم فى سبيل الكسب وحثه على تجنب الخضوع لذلك الأغراء، كما أكد أن النزاهة ينبغى أن تشمل المسائل الكبيرة والصغيرة على حد سواء، وأنه على المرء أن يلتزم بالأمانة بدقة فى معاملاته القضائية، وفى رأيه أن الفطنة فى الحديث والاعتدال فى السلوك من أُلزم الأمور للإنسان، أما التهديدات الصاخبة الفارغة فلا حساب لها عند الله فيما يدبر للناس وقد حذر من الانطلاق فى الحديث بغير حيلة إلى غير ذلك من الأمور الهامة (راجع تفاصيل هذه التعاليم: د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٤ ص ٥١٥-٥١٧، د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٧٧-٧٨).

(٢) د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفية ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) سليم حسن: الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٢٧٠ نقلا عن د/ بدران محمد بدران: التوراة: العقل. العلم. التاريخ ص ١٨٤ دار الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٤) د/ فؤاد حسنين: التوراة - اليهروغليفية ص ١٤٦ التوراة عرض وتحليل ص ٦٨.

ففى عام ١٩٢٥ قام "لانىج" بنشر البردية كذلك، ثم قام فى عام ١٩٢٦ العالمان - فرنسيس اللولين جريفت (١٨٦٢-١٩٣٤م) ود.س سمبسون بترجمة الوثيقة التى تحوى هذه التعليقات من جديد، ثم قاما بعمل مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الأمثال، أثبتا فيه أن سفر الأمثال إنما قد اعتمد على تعاليم امينوموى إلى حد كبير نظرا لما وجداه بينهما من مشابهة قوية فى الأفكار والأساليب.

وهناك ترجمة أخرى للوثيقة نشرت أيضاً فى عام ١٩٢٩م الا أن البحث المستفيض فى هذا الموضوع إنما قام به العالمان الكبيران هوجوجرسمان، وجيمس هنرى بريستيد^(١).

ويرى د/ جرسمان أنه عندما أخذ العبرانيون بأسباب المدنية فى حكم سليمان وخلفائه كانوا يتطلعون إلى مصر وبابل لتعلم فنون الحياة ولا غرابة إذا كان الكاتب الملكى - مثل حزقيال شبننا "عبداً أجنبياً ذا تربية عالية.

وكان فى قدرته أن ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم وكان فى وصعة كذلك أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة السياسة التى كانت فى هذا العصر (اللغة الآرامية) على أن ذكر "رجال حزقيال" الذين نقلوا القسم الخامس من الأمثال (من اصحاح ٢٥-٢٦ يدلنا على العصر الذى كان فيه إنشاء محتويات سفر الأمثال قائما على قدم وساق^(٢).

أما أبحاث بريستيد (تلميذ أدولف ارمان) فقد ذكرها فى كتابه "فجر الضمير" الذى يعتبر - فيما يرى الدكتور فؤاد حسنين - أنضج كتاب ظهر فى مثل هذا الموضوع^(٣).

يذكر بريستيد أن الأبحاث العلمية لم تكشف لنا من قبل عن مؤلف شرقى قديم

(١) د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج٩ ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) سليم حسن: الأدب المصرى القديم ص ٢٧٠ نقلا عن د/ بدران: التوراة: العقل. العلم. التاريخ ص ١٨٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج٤ ص ٥١٧.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٤٦.

بلغة عبر فلسطينية ترجم عنه بالتحقيق جزء بأكمله من "كتاب العهد القديم كما نرى في هذه الحالة:

فقد اشتمل اصحاب ونصف من سفر الأمثال (١٧: ٢٢ - ٢٧: ١٨) على ترجمة تكاد تكون حرفية لحكم آمينموبى.

ويرى بريستد أن لهذا الكشف أهمية بعيدة لدرجة أننا مع أسفاقنا من ملل القارئ - نرى أنه لا بد من إيراد بعض الأمثلة للمقابلة بين الأصل المصرى والترجمة العبرانية في سفر الأمثال.

سفر الأمثال العبراني

أمينموبى المصرى

أمل اذنك لتسمع أقوالى واعكف قلبك أمل اذنك واسمع كلام الحكماء ووجه على فهمها لأنه خير أو "شئ مفيد" أن قلبك إلى معرفتى لأنه حسن أن حفظتها تحفظها في قلبك ولكن الويل لمن في جوفك أن ثبتت جميعا على شفقتك. يتعدها.

(سفر الأمثال ١٧: ٢٢-١٨)

(أمينموبى جزء ٣: ٩-١٢)

والمقصود من مثل تلك النصائح قد عرفته "الأمثال" (وهو ما أشار إليه "أمينموبى" من أن المهارة العملية أصل جوهرى في المعاملات الرسمية، كما نرى في نص كل منهما:-

لأجل أن ترد على تقرير لمن قد أرسله لأعلمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك. أمينموبى جزء ١: ٦

أمثال ٢٢: ٢١

غير أن العبارة "كلام الحق" الوارد في سفر الأمثال "هى بالطبع تحريف لما يقابل كلمة "تقرير" الواردة في الأصل المصرى القديم.

وعلى أية حال فإننا نجد في كل من سفر الأمثال "وحكم أمينموبى أن الغرض

الخلقى من تلك النصائح ظاهر فى كافة ثناياهما، ولذلك أن إيراد بعض أمثلة هنا مفيد جداً فمن ذلك:

لا ترحزنَّ علامات الحقول، ولا لا تنقل التخم القديم ولا تدخل حقول
تكونن شرها من أجل ذراع أرض، ولا الأيتام.
تتعدين على - حدود أرملة.
أمثال ٣٢: ١٠^(١)

(أمينموبى ٧: ١٢-١٥)

وقد يكون من أهم المشابهات العديدة البارزة التى يمكننا ايرادها هناك تلك
التحذيرات الخاصة بالثراء وهى:

أمينموبى المصرى سفر الأمثال العبرانى

لا تتعبن نفسك فى طلب المزيد حينما لا تتعب لكى تصير غنيا
تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك
وإذا جلب اليك المال بالسرقة فإنه لا
يمكث معك سواد الليل وعندما يأتى
الصباح لا يكون فى منزلك بل يكون قد
صنع لنفسه أجنحة كالأوز وطار إلى
السماء.

لأنه إنما يصنع لنفسه أجنحة كالنسر
يطير نحوه السماء.
(أمينموبى ٩، ١٤-١٥، ٥)

أمثال ٢٣: ٤-٥^(٢)

(١) راجع فجر الضمير ص ٣٩٨-٣٩٩، د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٧٩، ومن المهم أن نلاحظ انه قبل انكشاف النقاب عن حكم "أمينموبى" هذه أبدى نقاد العهد القديم "أن كلمة" "قديم" التى تشبه فى اللغة العبرانية كلمة أرملة هى بلاشك غلطة فى النسخة الخطية صحتها "أرملة" وعلى ذلك اتفقوا على جعل تلك الفقرات كالآتى "لا ترحزن حدود الأرملة، ولا تدخلن فى حقول اليتامى" وجاء هذا الانكشاف مؤيداً لذلك الصحيح ومثبتاً له.

(٢) بريستيد: فجر الضمير ص ٣٩٩-٤٠٠.

ويهتم (أمينموبى) كثيرًا بتحذير الشباب من الحماقة أو مخالطة رجال ذلك الطراز، كما ترى المصنف العبرانى أيضا يحذر من ذلك حيث قال:

لا تصاحبن رجلا حاد الطبع ولا تلحن لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط
في محادثته لا تجئ^(١)

(أمينموبى ١١: ١٣-١٤) أمثال ٢٢: ٢٤

وتتفق نصائح "أمينموبى" فيما يختص بالسلوك في حضرة أصحاب المقامات العالية مع الحياة المصرية القديمة أكثر بكثير مما تتفق مع الحياة العبرانية.

ذلك لأن مراعاة السلوك اللائق في مصر من جانب الموظف المصرى الشاب كل لا مناص منه لمن كان يريد مستقبلا ناجحا.

كذلك كانت تلك الآداب العالية ورسميات القصور في المعاملات الرسمية المستحدثة في أخلاق شعب في أصوله خشونة الصحراء البدوية، في عهد الملكية العبرانية متأثرة أيما تأثر بآداب اللياقة التليدة المرعية في بلاط الفرعون الذى قبض موظفوه على زمام الحكم في فلسطين مدة قرون عديدة.

ومن أجل ذلك لم يتردد مصنف "سفر الأمثال" العبرانى في توصية الإسرائيليين المعاصرين له باتباع آداب اللياقة المصرية الرسمية وإليك ما ذكر في ذلك في كل من النص المصرى والنص العبرانى:

أمينموبى المصرى سفر الأمثال العبرانى

لا تأكل الخبز في حضرة رجل عظيم ولا إذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو تعرف فمك في حضرته وإذا أشبعت أمامك تأملاً وضع سكيناً لخنجرتك أن

(١) المصدر السابق ص ٤٠٢ ونجد أن الكلمة العادية التى تعبر عن الرجل الطائش صاحب الطبع الحاد في حكم أمينموبى "هى بكل بساطة" الشخص الحاد"، ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الأصل العبرانى لتلك الفقرة إذا ترجم حرفياً يكون معناه "الرجل ذو - الحرارة" وهى عبارة لا توجد قط في أية جهة أخرى من كتاب "العهد القديم" وهى بالبداية محاولة من المصنف لنقل التعبير المصرى القديم إلى العبرانية (المصدر السابق ص ٤٠٢).

نفسك من طعام محرم فإن ذلك ليس الا كنت شرها لا تشته أطايبه لأنها خبز
لذة ريقك وانظر فقط (أنت على المائدة) أكاذيب.
إلى الوعاء الذى أمامك وكن مكتفيا بما سفر الأمثال: ٢٣: ١-٣
فيه.

أمينموبى ٢٣: ١٨

وكان المترجمون للرواية المنقحة من "كتاب العهد القديم" غير متأكدين مما إذا -
كانوا يترجمون النص العبرى بقولهم "ما هو أمامك أو يرتجمونها بالشخص الذى
أمامك" وقد حل تلك المسألة ما جاء عن الحكيم المصرى "أمينموبى" حيث قال ما
ترجمته "الوعاء الذى أمامك".

وقد غير المصنف العبرانى ترتيب الأفكار فنقل العبارة "خبز أكاذيب" التى
توازى فى الأصل المصرى القديم "طعام محرم وحرفيا" طعام خطأ إلى السطر
الآخر^(١).

وقد لا يوجد فى كتاب "العهد القديم" مثل من الأمثال كثر اقتباسه فى عصرنا
الحالى الذى ساد فيه الاهتمام بالمعاملات أكثر من ذلك المثل الذى يطرى من يحسن
عمله وهو "هل ترى رجلا ماهراً فى عمله انه سيقف أمام الملوك"

والترجمة السبعينية (وهى الترجمة الإغريقية القديمة) لكتاب العهد القديم لا
تحتوى على الفعل "ترى" بل كانت تبتدئ بكلمة "رجل" وقد أوضح الأستاذ
"جرم" أن - الفعل الذى تبتدئ به الجملة تابع للفقرة السابقة من الأصل العبرانى.

ولذلك نجد أنه بعد إصلاح ذلك الخطأ تصير الموازنة هكذا:

الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه أرايت رجلا مجتهداً فى عمله أمام الملوك
كفوّاً لأن يكون من رجال البلاط يقف

أمينموبى المصرى ٢٧: ١٦-١٧ سفر الأمثال ٢٢: ٢٩^(٢)

(١) راجع بريستيد: فجر الضمير ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٢) فجر الضمير ص ٤٠٥.

ثم يقول بريستيد بعد أن أورد تلك الأمثلة "لا حصر لما نستطيع إيراد من أمثال تلك المماثلات المتشابهة ولكن ما أوردناه من الأمثلة التي ذكرت يكفى بلاشك للدلالة على أن "سفر الأمثال" العبراني يحمل في ثناياه جزءا جوهريا من كتاب حكم لمصرى قديم سابق له.

وقد جرى ذلك النقل عن حكم المصريين القدماء دون ذكر المصدر المنقول عنه، وهذا أمر طبيعي في مثل ذلك الأوان.

غير أنه من الأمور الهامة أننا عثرنا - فيما يذكر بريستيد - في كتابه "سفر الأمثال" على إشارة تدل بلاشك على الاقتباس من كتاب "امينموبي" المصرى القديم، ولو أن - هذه الإشارة لم تكن بطبيعة الحال على شكل عنوان أو بذكر اسم ذلك الحكيم المصرى الذى عاش في مثل ذلك العصر البعيد.

ذلك بأننا نجد في المقدمة "لكلمات الحكماء" السؤال الغريب الآتى وهو الذى حار في ترجمته مصنفو الترجمة المنقحة لكتاب العهد القديم وهاك نص السؤال:

"ألم أكتب لك أمورا شريفة من جهة مؤامرة ومعرفة؟"^(١).

وقد وضعت لجنة التنقيح ملاحظة في الهامش خاصة بعبارة "أمورا شريفة" لفتوا بها النظر إلى أن "تلك العبارة مشكوك فيها" والواقع أن المصنفين العبرانيين الأقدمين كانوا أنفسهم يشكون فيها بعض الشك أيضا.

وذلك لأنهم وضعوا هجاء آخر لتلك الكلمة على هامش النسخة العبرانية فصارت الكلمة بحسب هجاء المصنفين العبرانيين القدامى تعنى "ثلاثين".

فإذا ارتضينا هذه الكلمة يصير السؤال هكذا "ألم أكتب لك أمورا ثلاثين من جهة مؤامرة ومعرفة؟"^(٢).

ويذكر بريستيد أنه يبدو لنا لأول وهلة أن صيرورة السؤال بهذه الصيغة يحدثنا

(١) سفر الأمثال ٢٢: ٢٠.

(٢) فجر الضمير ص ٤٠٥-٤٠٦.

بشيء لا معنى له، ولكننا عندما نلاحظ كما لاحظ الأستاذ "أرمان" أن "أمينموبى" قد قسم كتابه المذكور إلى ثلاثين فصلاً ورقمها، إن كل شيء بعد ذلك يصير واضحاً. ولا بد أن لفافة البردى المصرية الحاوية لهذا الكتاب كانت تسمى في فلسطين باسم "ثلاثون فصلاً في الحكمة" أو ما يشبه ذلك، ثم اختصر الاسم بعد ذلك على ما يظهر إلى عنوان بسيط أطلق عليها وهو "الثلاثون".

وعلى ذلك تعطينا تلك الترجمة الحقيقية التى وصلنا إليها عن طريق اقتراح العالم "جرم" وبدون أى تغيير فى أصل المتن العبرانى الموازنة التالية:

أمينموبى المصري سفر الأمثال العبرانى

تبصر لنفسك فى هذه الفصول الثلاثين ألم أكتب لك ثلاثين فصلاً من جهة حتى تكون مسرة (لك) وتعلينا مؤامرة ومعرفة.

أمينوبى ٢٧: ٧-٨ سفر الأمثال (٢٢: ٢٠)

وان ذكر أحد مؤلفى "العهد القديم" على غير المؤلف - لكتاب أجنبى عن العبرانية كان ينقل عنه من غير تحفظ، يؤكد لنا أنه كان تحت يده ترجمة عبرانية كاملة للكتاب الذى - وضعه "أمينموبى" المصرى، بمعنى أن تلك الترجمة كانت تحتوى على جميع الثلاثين فصلاً التى حواها الأصل المصرى الهيروغلىفى، والا كانت كلمة "ثلاثين" بعد وضعها فى كتاب الأمثال لا تدل على أى معنى.

ولكى يحافظ الناقل العبرانى على هذا المعنى نراه، مع عدم نقله للثلاثين فصلاً التى تحتويها الأصل المصرى القديم برمتها، قد استعمل بالضبط "ثلاثين" مثلاً فى نسخته العبرانية المختصرة^(١).

ولاشك أن القارئ قد كون لنفسه ملاحظة ذات أهمية بارزة بعد أن تأمل تلك الفقرات - من كتاب الحكمة العبرية ووضعتها جنباً لجنب من الأصل المصرى القديم الذى اقتبست منه.

(١) الأمثال ٢٢: ١٧ - ٢٤: ٢٢) بريستيد: فجر الضمير ص ٤٠٦-٤٠٧.

على أنه يتضح لنا - فيما يرى بريستيد - خلافاً للأجزاء التي ترجمت ترجمة حقيقية أن مصنف كتاب "الأمثال" لم يكن مستسلماً ولا آلة جامدة في نقل تلك الحكم المصرية القديمة عن الترجمة الفلسطينية...

ومهما يكن من الأمر فإن الحقيقة الناصعة هي أن الصورة التي ظهرت بها حكم "أمينموي" مراراً في سفر الأمثال توضح لنا بجلاء أن المترجم أو المصنف العبراني قد اقتبس في الغالب مجرد الأفكار المصرية القديمة ونشرها بتصرف لماله من نظر ثاقب إلى الحياة، وبما له من المهارة الأدبية السامية والدراسة باللغة التي ينقل إليها وهي عادة لغته^(١).

هذا ولا يحسن أحد أن بريستيد - في استنتاجاته هذه التي عرضتها - كان متحيزاً لمصر القديمة على حساب اليهودية، فإنه في الواقع قدم هذا الرأي بما يشبه الاعتذار - لليهود وفي محاولة صريحة لنفي تهمة معاداة السامية عنه قائلاً: إنه إذا كان في نشأته أثناء الطفولة ما يجعله ينحاز إلى جانب معين فقد كان هذا الجانب هو اليهودية، ولكن ذلك لا ينبغي أن يحول بينه وبين إبداء رأى استند فيه إلى دراسة محايدة للوثائق القديمة.

فهو يقول في مقدمة كتابه فجر الضمير:

لقد اعتمدنا في تدوين الآراء الخاصة بمكانة الحضارة العبرانية في التاريخ على استنباطات سليمة استنبطت من الوثائق القديمة، ولذلك نرى من الحكمة أن نشير هنا وبخاصة في عصر لا يزال يوجد فيه بكل أسف شيء من التعصب ضد الجنس السامي، إلى أن هذا الكتاب قد ألف بروح خالية من كل شعور مضاد للساميين.

(١) ويتضح ذلك تماماً من إيراد بعض الأمثلة الواضحة القاطعة، فنجد مثلاً أن "الغني" يتخذ له أجنحة في كل من مصر وفلسطين، غير أن الأجنحة المصرية كانت أجنحة "أوز" وأما الأجنحة في فلسطين حيث لم تكن هناك مستنقعات زاهرة بالأوز البري، فقد أبدل المترجم بها أجنحة النسر. وكذلك نجد في مصر أن رجل الأعمال الناجح كان في العادة "كاتباً" أما في فلسطين حيث لم تكن الأحوال كذلك فإن المترجم العبراني قد سمّاه "جلاً" فقط أردف - ذلك بوصفه "بالمهارة في عمله" ليتم تحديد صفته. (بريستيد: فجر الضمير ص ٤٠٧-٤٠٨).

بل على العكس من ذلك قد كان إيجاب المؤلف بالأدب اليهودى الذى أخذ في دراسته منذ صغره عاملاً مؤثراً في نفسه لدرجة أن حكمه عليه كان دائماً تحت تأثير عامل المحبة دون أى عامل آخر^(١).

٣- سفر نشيد الإنشاد:

هذا السفر مجموعة من أناشيد الحب، بعضها من رجل إلى امرأة وبعضها الآخر من امرأة على رجل وبعضها الثالث من لفيف من الناس إلى رجل أو امرأة. فهو عبارة عن قصائد غزلية مترابطة.

ونظراً لغرابة موضوعه ولما جاء به واشتمل عليه من غزل جنسى فإنه قد ثار حوله جدل كبير، وتضاربت الآراء في شأنه وفي الهدف الذى يرمى إليه:

فانقسم فيه اليهود منذ القدم إلى فريقين: فريق يقول إنه غزل جنسى دنيوى، وفريق آخر يعتبر (قودش قودشيم) أى قدس الأقداس بمعنى أنه أقدس كتاب.

وهذا الفريق الذى يقول بقدسيته قد نظر إليه نظرة صوفية وأوله تأويلاً رمزياً ورأى أنه بيان عن علاقة الحب بين الله وبين إسرائيل.

وقد أخذ التقليد المسيحى بعده بهذا التأويل وتوسع فيه مرسلات إياه على ذلك الزواج السرى بين المسيح والكنيسة، فقال المسيحيون المحافظون إنه بيان عن العلاقة بين - المسيح وكنيسته^(٢).

(١) راجع مقدمة فجر الضمير ص١٤-١٤، صبرى جبرجس: التراث اليهودى الصهيونى: ص٨٦، ويذكر برستيد أنه قد اهتم طول حياته بالدراسات العربية، فدرس اللغة العبرية سنين عدة لفصول جامعية، ويوجد الآن من بين تلاميذه كثيرون من ذوى المكانة العالمية في المجتمع (مقدمة فجر الضمير ص١٤).

(٢) راجع في ذلك حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص١٥٤، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٧٥-٣٧٦، فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية ص١٦١، د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص٩٨، وللتعرف بشكل أكثر تفصيلاً على وجهة النظر المسيحية في سفر نشيد الإنشاد راجع متى هنرى: نشيد الإنشاد: ترجمة القصص مرقسدداود وهو من سلسلة تفسير الكتاب المقدس الطبعة الرابعة مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨٠ م.

وظل أمر هذه الرمزية سائداً لدى اليهود والمسيحيين لا يجرؤ أحد على مناقضته حتى جاء القرن السابع عشر فظهر أمثال (جروتوس) و(رتشارد سيمون) و(ج. د. ميخائيليس) و(ي. ج. هردر) وغيرهم واعترضوا على هذا الاتجاه وقاوموه، ثم تعاقبت القرون وقوى ساعد حركة نقد الكتب المقدسة وعرض النقد فيما عرضوا له للنشيد فأجمعوا على بطلان قيمته الدينية وأن قالوا بمنزلته الأخلاقية، فالسفر والحالة هذه يقرن بسفر الأمثال^(١).

وأقر النقاد المتأخرون رأى بعض المتقدمين الذين قالوا أن للنشيد لونا تمثياليا فذكروا أن النشيد رواية تمثيلية يقوم بالأدوار فيها شخصان أو ثلاثة: أحدهم الملك سليمان والثاني: فتاة من شولهم وتدعى (شوليت) والثالث: أحد رعاة الأغنام.

فإن كانت الرواية من شخصين فيكون مدار القصة أن سليمان شهد هذه الفتاة القروية وأحبها وأخذها إلى أورشليم وحاول أن يستميلها غليه بمعسول القول ونجوى العيش في قصور سليمان، وإذ يفشل سليمان!! في الظفر بقلبها يعيدها على بيتها في الريف لتقترن بحبها الأول^(٢).

لكن هذا الرأى القائل بمسرحية النشيد والذي تزعمه (فرنس دليتش) وجد كثيرين من المعارضين الذي يستبعدون أولا سليمان عليه السلام ويقولون أن المحب راع ساذج وهو الذي تخاطبه الحبيبة بقولها:

"قل لى حبيب روى أين ترعى

أين تربض فى الظهيرة حتى لا أصير كالمجنونة بين قطعان أصدقائك"^(٣).

كذلك الحبيبة أنها راعية وفيها يقول حبيبها:

إن لم تعرفى يا أجمل النساء فاذهبى واقتفى أثر الغنم وراعى جداءك عند أكواخ الرعاة^(٤).

(١) د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفية ص ١٦١.

(٢) المصدرة السابق، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦١، راجع ايضا بتفصيل أكثر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦٨.

(٣) نشيد الإنشاد: ٧: ١.

(٤) نشيد الإنشاد: ٨: ١.

وليست هذه الأمثلة هي الوحيدة، ففي النشيد أكثر من شاهد يؤيد هذا الرأي ويكاد الدكتور فؤاد حسنين يرجح أن هذين الراعى والراعية كانا من لبنان^(١).

ولذلك فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن سفر نشيد الإنشاد عبارة عن مجموعة من الأغاني والأناشيد كان القوم ينشدونها على آلات الموسيقى في الأفراد وحفلات الزواج - جمعت بعضها كما جمعت في العهد القديم أناشيد أخرى خاصة بالحرب والقتل أو المراثي والحكمة، وأن كثيرا من هذه المعاني وتلك العادات التي نجدها في النشيد مازالت إلى يومنا هذا حية مستعملة لا في فلسطين وغيرها من بلاد الشرق العربي فقط بل في الغرب أيضا وبخاصة عادة تتويج العروس أو وضع الإكليل على رأسها^(٢)، ويرى مارتن لوثر أن هذا النشيد مجموعة من الأغاني الشعبية^(٣).

ويذكر الأب ديلي أنه يخيل إلينا لأول وهلة أننا أمام مجموعة من أغاني الحب وضعت بمناسبة زواج بألوان واقعية صارخة وأوصاف تدهشنا فننكرها أحيانا^(٤).

من هو كاتب السفر ومتى كتب؟

أما فيما يتعلق بمعرفة مؤلف هذا السفر وتاريخ كتابته فإنه لا يعرف من هو مؤلفه على وجه اليقين وإن كان اليهود ينسبونه على سيدنا سليمان عليه السلام ويرون أنه قد كتبه في أيام شبابه وكتب سفر الأمثال في عهد رجولته وكتب سفر الجامعة في سني شيخوخته^(٥).

والواقع أن مطلع السفر لا يؤيد صحة نسبته إلى سليمان عليه السلام وإذا كان قد

(١) د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية صص ١٦٢.

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صص ١٥٤-١٥٥، التوراة الهيروغليفية صص ١٦٢، د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية صص ٩٢، د/ أحمد شلبي: اليهودية صص ٢٥٢.

(٣) التوراة الهيروغليفية صص ٥٣.

(٤) راجع كتابه تاريخ شعب العهد القديم.

(٥) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس صص ١٥٥، وستعرض لسفر الجامعة عقب الإنتهاء من هذا السفر إن شاء الله.

ذكر اسم سليمان في أكثر من موضع إلا أنه في أكثر المواضع لا يذكر اسمه بل ويذكر في صيغة الغائب لا المؤلف^(١).

ويقول الدكتور كنى كات مع عدد من العلماء المتأخرين: أن القول بأن هذا السفر من تصنيف سليمان غلط محض، بل صنف هذا السفر بعد مدة من وفاته^(٢).

فليست الأغاني والأناشيد التي يحتوى عليها السفر من وضع فرد بعينه وإنما هو من وضع مجموعة كبيرة من أفراد الشعب، ثم قام يجمعها فرد أو شخص لم يأتنا اسمه بعد عصر سليمان وذلك بدليل اللغة التي نجدها في السفر^(٣).

وإن يكن سليمان قد وضع - على سبيل الفرض - طرائف من هذه الأناشيد فليس من المحتمل أن يكون هو نفسه واضع هذا السفر^(٤).

فهناك أدلة تثبت أن هذا السفر في وضعه الحالى يرجع إلى تاريخ متأخر وربما كان أحدث أسفار العهد القديم من حيث تاريخه وذلك لأنه حوى بعض الألفاظ اليونانية التي لم تدخل إلا بعد السبى بزمان طويل.

وليس في الكتاب المقدس كله سفر آخر كتب على طريقته وفي أسلوبه على أن بعض الأناشيد قد تكون قديمة العهد ثم تطورت على مسار الزمن، ولكنها لم تكمل في وضعها الحالى إلا في القرن الثالث ق.م وربما قبل المائتى سنة الأخيرة بزمان وجيز^(٥).

ويرجع ول ديورانت كتابة هذا السفر إلى العصر اليونانى ويرى أنه قد ألفه شاعر يهودى (أو ألقته شاعرة يهودية) قبل اختتام القرن الثالث ق.م.

(١) التوراة الهيروغليفية ص ١٦٤.

(٢) الشيخ رحمت الله الهندى: إظهار الحق ص ٩٦.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٦٤.

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٥.

(٥) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٥، د/ فؤاد حسنين: التوراة - الهيروغليفية ص ١٦٤.

ففى هذا السفر أو فى هذا النشيد كل ما حواه السفر اليونانى من سافوا على ثاو فريطوس من روعة فنية، وفيه فوق هذا ما لا يمكن العثور عليه عند أى مؤلف من مؤلفى ذلك العصر - فيه قوة فى الخيال وعمق فى الشعور وإخلاص مثالى حوى من القوة ما يكفى للترحيب بجسم الحب وروحه وأن يبدل الجسم نفسه روحاً^(١).

وأياماً كان الأمر فكل ما نستطيع الجزم به أن لدينا سفرًا حوى أروع الأناشيد وأعذب الأغانى التى تصور الحب المتبادل بين الرجل والمرأة^(٢).

وإذا ما وضعنا هذه الأناشيد إلى جانب المزامير لاح لنا ما فى الحياة اليهودية من عنصر شهوانى دنيوى، لعل كتاب العهد القديم وهم الذين يكادون كلهم أن يكونوا من الأنبياء أو الكهنة قد أخفوه عنا، ولسنا ندرى^(٣) كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما فى هذه الأغانى من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال أشعيا والخطباء^(٤).

وهذه بعض النماذج التى استرعت انتباه الباحثين ولفتت أنظارهم:

جاء فى الإصحاح الأول:

"ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر، لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق، لذلك أحبتك العذارى، اجذبنى وراءك فنجرى، أدخلنى الملك إلى حجاله، نبتهج ونفرح بك، نذكر حبك أكثر من الخمر"^(٥).

"أنا سوداء وجميلة يا بنات اورشليم كخيाम قيدار كشقق سليمان".

"أخبرنى يا من تحبه نفسى أين ترعى أين تربض عند الظهيرة، لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك.

(١) قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثانى: حياة اليونان ص ٩٣.

(٢) حبيب سعيد: المدخل ص ١٥٥.

(٣) لا يزال الكلام لول ديورانت.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ الشرق الأدنى ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٥) سفر نشيد الإنشاد ١: ٢-٤.

إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعى جاءك عند مساكن الرعاة.

"لقد شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون، ما أجل خديك بسموط وعنقك بقلائد نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة مادام الملك فى مجلسه، أفاح نار دينى رائحته، صرة المرحبى لى، بين ثدى بيت.

ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة، عيناك حمامتان.

ها أنت جميل يا حبيبى وحلو وسيرنا أخضر"^(١).

وفى الإصحاح الثانى:

"أنا نرجس شارون سوسنة الأودية، كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتى بين البنات كالنفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين وتحت ظله اشتيت أن أجلس وثمرته حلوة لخلقى، أدخلنى إلى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة"^(٢).

"أسندونى بأقراص الزبيب أنعشونى بالنفاح فإنى مريضة حبا، شماله تحت رأسى، - ويمينه تعانقنى.

أحلفكن يا بنات أورشليم بالطباء وبأياثل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء"^(٣).

"صوت حبيبى، هو ذا آت طافراً على الجبال... أجاوب حبيبى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى لأن الشتاء قد مضى والمطر قد مر وزال... يا حمامتى فى محاجى الصخر فى ستر المعازل أرينى وجهك اسمعنى صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل"^(٤).

(١) راجع نشيد الإنشاد ١: ١٦.

(٢) نشيد الإنشاد ٢: ٤١.

(٣) نشيد الإنشاد ٢: ٧٥.

(٤) راجع نشيد الإنشاد ٢: ١٤-٨.

وفى الإصحاح الثالث:

"فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته، أنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى طلبته فما وجدته، وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى، فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأياثيل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء^(١).

وفى الإصحاح الرابع:

"ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة، عيناك حمامتان من تحت نقابك شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد، أسنانك كقطيع الجوائر الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة مثم وليس فيهن عقيم، شفتاك كسلكة من القرمز، وفمك حلو، وخدك كفلكة رمانة تحت نقابك عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة ألف مجن علق عليه كلها أتراس الجبابرة.

ثدياك كحشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن.. كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيبة"^(٢).

"قد سبيت قلبى يا أختى العروس، قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك، ما أحسن حبك يا أختى العروس. كم محبتك أطيّب من الخمر، وكم رائحة أدهانك أطيّب من كل الأطياب.

شفتاك يا عروس تقطران شهدا، تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان أختى العروس حنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم..

استيقظى يا ريح الشمال وتعالى يا رياح الجنوب، هبى على جنتى فتقطر أطيابها ليأت حبيبى إلى جنته ويأكل ثمرة النفيس^(٣).

(١) نشيد النشاد ٣: ٥-١.

(٢) نشيد الإنشاد ٤: ٧-١.

(٣) نشيد الإنشاد ٤: ١٦-٩.

وفى الإصحاح الخامس:

"قد دخلت جتتى يا أختى العروس، قطفت مرى مع طيبي، أكلت شهدى مع عسلى، - شربت خمرى مع لبنى، كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحماء.

أنا نائمة وقلبى مستيقظ، صوت حبيبي قارعا، افتح لى يا أختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى، لأن رأسى امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل.

"قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه، قد غسلت رجلى فكيف أوسخها حبيبي مد يده من الكوه فأنت عليه أحشائي، قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مرًا وأصابعى مر قاطر على مقبض القفر فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر، نفسى خرجت عندما أدبر طلبته فما وجدته دعوته فما أجانبى، وجدنى الحرس الطائف فى المدينة، ضربونى رحونى، حفظة الأسوار رفعوا إزارى عنى، أحلفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه بأنى مريضة حبا"^(١).

وفى الأصحاح السادس:

"أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجه حبيبك فنطلبه معك كحبيبي لى نزل إلى خمائل الطيب ليرعى فى الجنات ويجمع السوسن أنا لحبيبي وحبيبي، الراعى بين السوسن"^(٢) أنت جميلة يا حبيبتى... حولى عنى عيناك فإنهما غلبتاني"^(٣).

(١) نشيد الإنشاد ٨-١: ٥، وجاء فى نفس الإصحاح عقب ذلك "ما حبيب من حبيب أيتها الجميلة بين النساء ما حبيبك من حبيب حتى تخلفينا هكذا.

حبيبي أبيض وأحمر، معلم بين ربوة، رأسه ذهب أبريز، قصصه مسترسلة حالكة كالغراب عيناه كالخام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان فى وقييها، خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية، شفتاه سوسن تقطران مرا مائعا، يده حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد، بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق، ساقاه عمودا رخا مؤسستان على قاعدتين من أبريز، طلعتة كلبان، فتى كالأرز، حلقة حلاوة وكله مشتبهات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم (نشيد الإنشاد ٩: ٥-١٦).

(٢) نشيد الإنشاد ٦: ١-٣.

(٣) المصدر السابق ٦: ٤-٥.

وفى الإصحاح السابع:

"ما أجمل رجلك بالنعلين يا بنت الكريم، دوائر فخذك مثل الحلى صنعة يدي صناع.

سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن.

ثدياك كحشفتين توأمى ظبية، عنقك كبرج من عاج، عيناك كالبرك فى حشبون، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق.

رأسك عليك مثل الكرملى وشعر رأسك كأرجوان ما أجملك وأحلاك أيتها الحبيبة باللذات، قامتك هذه شبهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد.

قلت أنى أصعد على النخلة وأمسك بعذوقها، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالفتحاح وحنكك كأجود الخمر، لحبيبي السائغة المرققة السائحة لعى شفاه النائمين".

"أنا لحبيبي وإلى اشتياقه وتعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت فى القرى، - لنبكرن إلى الكروم لننظر هل تفتح الفحال هل نور الرمان.

هنالك أعطيك حبي، الفحال يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي"^(١).

وفى الإصحاح الثامن:

"ليتك كأخ لى الراضع ثدى أمى فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى، واقودك - وأدخل بيت أمى وهى تعلمنى فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى، شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى أحلفكن يا بنات وورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء.

من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها.

(١) نشيد الشاد ٧: ١-١٣.

تحت شجرة التفاح شوقتك هناك خطبت لك أمك هناك خطبت لك والدتك.
اجعلن كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك، لأن المحبة قوية كالموت، الغيرة
قاسية كالهواية، لهيها لهيب نار لظى الرب، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة
والسيول لا تغمرها.

إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا، لنا أخت صغيرة ليس
لها ثديان، فماذا نصنع لأختنا في يوم تخطب.

إن تكن سورا فبنى عليها برج فضة، وإن تكن باب فنحصرها بألواح أرز.
أنا سور وثندياي كبرجين حينئذ كنت في عينيه كوجدة سلامة^(١).
وينتهى السفر بهذا القول:

"أيتها الجالسة في الجنات، الأصحاب يسمعون صوتك فاسمعيني
"اهرب يا حبيب وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب"^(٢).

وبعد أن عرضت لهذه النماذج المثيرة من سفر نشيد النشاد أعتقد أنه لا مجال
للحديث عن رمزيته أو صوفيته وعن العلاقة السرية سواء بين يهوه وإسرائيل أو
بين المسيح وكنيسته فالألفاظ صارخة والعبارات واضحة والأساليب صريحة في أن
السفر يحتوي على أحاديث غرامية وأوصاف جنسية مكشوفة ويعبر عن علاقة حب
أو شهوة بين رجل وامرأة أو بين راعى وراعية.

يذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن القسيس تهودور - وكان في القرن الخامس
الميلادى - ومعه (سيمن وليكرك) قد ذما هذا السفر ولم يسلم بصحته.

ونقل عن (وشنن) أنه قال أنه غناء فسقى فليخرج من الأسفار المقدسة ونقل
عن بعض المتأخرين نفس القول وأنهم جميعاً حكموا بإخراج هذا السفر من أسفار
العهد العتيق لأنه غناء نجس^(٣).

(١) نشيد الإنشاد ٨: ١-١٠.

(٢) نشيد الإنشاد ٨: ١٣-١٤.

(٣) إظهار الحق ص ٩٦.

ولا أحب أن أناقش هنا نسبته إلى سيدنا سليمان فهو براء مما فيه على وجه الإطلاق، فليس هناك أدنى علاقة بين سيدنا سليمان وبين هذا الكلام الفاحش الرخيص وذلك الغزل الداعر المكشوف الذى لا يصلح إلا فى الحانات والملاهى بين الرقص والخمر أو على خشبات المسرح حيث تتأوه به المطربات وينعق له المستمعون والمشاهدون.

ولكن لا بد من البحث عن مصدره ومن أين أتى به كتاب العهد القديم؟. يذكر ول ديورانت أن فى هذه الكتابات الغرامية التى تشتمل عليها الأناشيد مجالا واسعا للحدس والتخمين:

فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل تشيد بذكر اشتار وتموز^(١) ويؤيد هذا كثير من العلماء حيث يرون أن تأثيرات المعتقدات لاثموزية على العبرانيين تتجلى فى أن سفر أناشيد الإنشاد فى التوراة (العهد القديم) يتطابق فى نقاط عديدة مع الأغاني والأناشيد الخاصة بزواج الإله تموز من الآلهة عشتار، والتى وصلتنا مدونة على رقم الطين من بلاد وادى الرافدين وهى تسبق التوراة فى تدوينها بما يزيد على ألف عام^(٢).

(١) قصة الحضارة: الجزء الثانى من المجلد الأول: الشرق الأدنى ص٣٨٧-٣٨٨ واشتار وتموز أو عشتار وتموز: هما اسمها إلهين من إلهة البابليين، فأما عشتار فهى إلهة الحب فالحب الجسدى هبة منها لأنها ربة العشق وهى ملكة اللذة وهى التى تحب المتعة والفرح وترتبط عبادتها بالعاهرات المقدسات - والمعروفات باسم "عشتاريو" أى (العشتاريات) وهن لسن العاسهرات فقط بل المحظيات كذلك، وهى زوجة وعشيقة لكبار الآلهة، وأما تموز فهو أشهر إلهة الزراعة واسمه البدائى لدى السومريين هو "دومزي" وقد ورد ذكره فى ملحمة جلجاميش البابلية حين كان يعير عشتار بكثرة عشاقها وأخذ ينشد لها "الإله تموز.. حبيب شبابك. عاما بعد عام. قدرتك له الندب والبكاء.. إلخ وقد حفظت لنا مجموعة ضخمة من أصل سومرى من الأناشيد تبين عشق تموز لعشتار وكان يلقب بـ "الراعى" (راجع تفاصيل الحديث عن تموز وعشتارت موسكاتى ص٨٦ - هوامش موسكاتى للدكتور السيد يعقوب بكر ص٥٩ و وما بعدها د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج٦ ص١٣١-١٣٣، ص١٤٤-١٤٤، قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢).

(٢) د/ فاضل عبدالواحد: حضارة بلاد وادى الرافدين ص٢٨ ضمن كتاب: العراق فى التاريخ بغداد ١٩٨٣م.

ولا شك أن أناشيد عشتار وتموز كانت متداولة أو على الأقل موجودة بين التراث البابلي الذى عكف عليه اليهود أثناء سبيهم فى بابل فلا يبعد أن يكون أحد الكتب قد أعجبت هذه الأناشيد فضمها فى سفر وخطبها من هنا وهناك ووضعها بين أسفار العهد القديم.

وهناك رأى آخر يتمثل فى أن تكون هذه الأناشيد من وضع جماعة من شعراء الغزل - العبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التى دخلت إلى بلاد اليهود مع الإسكندر لأن فى هذه الأغاني ألفاظ مأخوذة من اللغة اليونانية^(١).

وهناك رأى ثالث يذهب أصحابه إلى أن تكون هذه الأناشيد عبارة عن زهرة يهودية ترعرعت فى الإسكندرية وقطعتها نفس متحررة من ضفاف النيل. وذلك لأن العاشقين يخاطب أحدهما الآخر بقوله أختى أو أختى كما يفعل المصريون الأقدمون^(٢).

ويذكر دكتور محمد بحر أن تأثير شعر الغزل المصرى القديم يظهر فى سفر نشيد الأناشيد فى استخدامه كلمة أخرى العروس^(٣).

والواقع أنه ليس هناك ما يمنع من أن تكون أغاني وأناشيد هذا السفر قد جمعت من المصادر الثلاثة المذكورة: المصدر البابلي، والمصدر اليونانى، والمصدر المصرى.

وإن كنت أرجح اعتمادها على المصدر المصرى بشكل أقوى وأكثر، ويكفى أن نطلع على بعض الأغاني العاطفية وأهازيج الحب عند المصريين القدماء^(٤).

فهذه الفتاة أضناها الهوى تتطلع عبثاً لتبحث عن "أخيها" ولا تحس بلذة شيء من طعام أو شراب ولا توفق فى عمل حتى تراه، رغم أنها تراه فى كل يوم ما يقع عليه ناظرها، أو هى تراه أمامها فتحدثه مغازلة إياه مقبلة عليه مفتونة به:

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ٣٨٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ ص ٢٠٧.

(٢) اليهودية ص ٩٨.

(٣) راجع هذه الأغاني وتلك الأهازيج: ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ١١٢-١١٥.

(٤) راجع المصدرين السابقين.

الفتاة: أختي ما أحلى أن أذهب إلى البركة لأستحم أمامك حتى ترى مفاتني في ثوبي الكتانبي الجميل وهو مبتل ملتصق بجسدي، أنا أنزل معك إلى الماء ثم أخرج لك سمكة حرماء على اصابعي... تعال وانظر إلي.

الفتى: حب أختي على الجانب الآخر هناك وهناك خط من الماء يفصل بيننا وتمساح يتربص بنا على الشاطئ الرملى...

إننى أحس بالسعادة حين أرى أختي مقبلة.. ذراعى تتفتحان لاستقبالها واحتضانها، قبلى يفرح برؤيتها.

إن احتضنتها وفتحت ذراعى فإننى أحس كما لو تعطرت بعطور "بويني" إن - قبلتها وشفتها فاغرتان فإننى أسكر، وذبت لو كنت جرايتها بين يدها حتى أشهد لون أعضائها جميعاً، وددت لو كنت غسال ملابتها وددت لو كنت خاتماً فى أصبعها^(١).

وليسمح لى القارئ بأن أنقل له نموذجاً آخر من الأغانى المصرية وأدعه أن يدرك مدى التشابه الكبير بينه وبين نشيد الإنشاد مما يجرح اعتماد الأخير على الأول اعتماداً رئيسياً:

"حببتي مفردة لا نظير لها، هى أكثر جمالا من كل ما عداها، هى كنجمة الزهراء فى فجر يوم العام السعيد، إنها تتحرك فى تالؤ الكمال فضياؤها ساطع وجلدها منير وجهها رائع، عيناها مغريتان جذابتان، على شفيتها تلتكأ الكلمات المحرصة، لكنها لا تتكلم أكثر مما يجب رقبته رفيعة، وصدرها ممتلىء، شعرها من اللا زورد وذراعيها أبدع من الذهب فى طلاوته.

أصابعها مثل براعم اللوتس، أنها ثقيلة الأرداف نحلية الخصر ثوبها محبوك حول وسطها يكشف عن أجمل سيقان فى العالم أنت لا تملك إلا أن تتابعها بعينيك حيثما تذهب أنها كربة لا نظير لها فى مظهرها، ما أسعد من يلثم فمها^(٢).

(١) د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق الأدنى ج٤: الحضارة المصرية ص٣٥٠-٥٣١.

(٢) المصدر السابق ج٤ ص٥٣٢.

وهناك نموذج ثالث من الأغنيات المصرية يقترب إلى حد كبير من أغاني نشيد الإنشاد وخاصة في أوصاف الجسد العضوية:

الفتاة: إن أردت احتضان فخدى فإن صدرى يلبي نداءك... أتريد أن تبتعد عني لأنك جائع؟ أشره أنت؟ أتولى عني لتضع ثيابك... ولكن... لدى ملاءة فهاكها.. أبتعد عني لأنك عطان؟ خذ صدرى فسوف ترتوى منه... إن حبك يتملك جسدى... أسرع إلى أختك.

الفتى: الأخت كحقل ببراعم اللوتس وصدرها كحقل بتفاح الحب.. وذراعاهاك... وحاجباها كمفخ طيور وأنا الأوزة التى تقع فى الحبائل^(١).

هذا ولم تكن الأغاني العاطفية قاصرة على العاشقين وحدهما فى مصر القديمة بل أن الزهور والأشجار فى الحداثق كانت تتغنى بجمال الفتاة، وهو ما لاحظناه فى النصوص التى عرضتها من سفر الإنشاد:

فالفتاة تنظر إلى كل زهر فى الحديقة - وكأنها هى تصنع لنفسها إكليلا من الزهور - وتفكر فى حبها كلما قطفت واحدة منها...

وكل أغنية تبدأ باسم زهرة، ويلعب الجناس فى هذه الأغاني دورا هاما وهى تحدث - مرة زهرة بدعوى أنها تجعل القلب معتدلا وتعددها بأن تطيع رغباته حين تكون بين ذراعيه ثم تحدث زهرة ثانية مشيرة على أنه نور عينيها وأنها ستسكن إليه لأنها تحس أنه رجلها الذى تكاد تجن به.

وأما أشجار الحديقة فتتحدث إليها عن حبيبها وتدعوها إلى أن تنعم معه فى ظلالها حين ينتشيان بالخمير ويتعطران بزيت "كمى"^(٢).

ويذكر ول ديورانت أن الآداب المصرية - بعد انتقالها من الدولة القديمة إلى الدولة الوسطى - قد اصطبغت بالصبغة الدنيوية الدنسة^(٣) وروى منها قصة لقاء بى

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج٤ ص٥٣٧.

(٢) راجع تفاصيل ذلك المصدر السابق ص٥٤٠-٥٤٣.

راع وإحدى الإلهات!! حيث التقت به وهو سائر في طريقه إلى البركة، وكانت قد خلعت ملابسها وأرخت شعرها"^(١).

ويذكر أيضًا أن هناك عددًا كبيرًا من أغاني الحب المصرية القديمة ولكن معظمها يتحدث عن غرام الإخوة والأخوات، ولهذا تسخر منه أذن السامع في هذه الأيام وتصطك لسماحه"^(٢).

وإذا كان هذا هو انطباع السامع تجاه أدب وثني، فماذا يفعل قارئ (الكتاب المقدس) وهو يترنم بأناشيد الهوى والغرام، في هذا السفر الداعر الملئ بالفسق والمجون.

٤- سفر الجامعة

الجامعة: كلمة مشتقة من "جمع" أو "جماعة".

وسمى هذا السفر في الترجمة السبعينية بسفر الجامعة وهي ترجمة للكلمة العبرية "قوهليت" التي معناها من يجلس في محفل أو يتكلم في مجتمع أو كنيسة.

فالكلمة في أصلها العبري تشير إلى شخص "بشير" أو "واعظ" يحدث جمعًا من الناس، وليست "الجماعة" اسمًا علميًا على فرد بالذات بل هي وصف لوظيفة.

وكان المعتقد أن هذه الوظيفة قام بها سليمان الذي كان من عادته أن "يجمع" شيوخ الشعب وكل رؤوس الأسباط ورؤساء الآباء".

ويبدو بينهم كأنه البشير الحكيم المجيد المتفوق"^(٣).

ولذلك فإن اليهود قد نسبوا هذا السفر إليه على أنه هو الجامعة المقصود، وزعموا أنه كتبه في شيخوخته أو في كمال اختياره"^(٤) واستدلوا على ذلك بأدلة سقيمة

(١) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ١١١-١١٢.

(٢) المصدر السابق ص ١١٢.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٣ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦١.

=

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٣.

وواهيّة تقوم على الظن والتخمين وتعتمد على المغالطة والإهانة لشخص سيدنا سليمان عليه السلام^(١).

ويذكر الشيخ رحمت الله الهندي أن سفر الجامعة فيه اختلاف عظيم فقال البعض أنه من تصنيف سليمان عليه السلام، وقال "الربى فمجي" وهو عالم مشهور من علماء اليهود إنه تصنيف أشعياى وقال علماء التلمود إنه تصنيف حزقيا، وقال (كروتيس) إن أحدا صنفه لـ "زروبابل" لأجل تعلين ابنه ابهىود، وقال "جهان" من علماء المسيحية وبعض علماء الألمان إنه صنف بعدما أطلق بنو إسرائيل من أسر بابل.

وقال (زرقيل) إنه صنف فى زمان (انتيكوس ايبى فانس) واليهود بعدما أطلقوا من أسر بابل أخرجه من الأسفار الإلهامية لكنه أدخل بعد ذلك فيها^(٢).
والواقع أن سفر الجامعة لا يمكن أن ينسب إلى سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام.

وذلك لأن الكاتب يذكر فى هذا السفر أنه كان ملكا على إسرائيل بأورشليم قبل تأليف الجامعة، والعهد القديم يحدثنا بأن سليمان ظل ملكا حتى توفى^(٣).

= على أن سفر الجامعة ليس عظة بالمعنى المقصود من الحكم والعظات وإنما هو أشبه بمحاضرة متناثرة أفكارها عن معنى الحياة يلقيها معلم حكيم فنى وليس من الهواة، كما أنه ليس منظما على نسق معين أو نظام متطور، ولكنه أقوال متفرقة تستهدف فى البداية والنهاية غاية معلومة، وهى ان كل نشاط بشرى باطل وفبض الريح: "باطل الأباطيل الكل باطل قال الجامعة" (٢: ١).

(١) لقد استدلوأ بما يلى: ١- كتب عن سليمان انه قد اتخذ نساء كثرات بينهن كثير من أجنبيات وعابدات الأوثان اللواتى أملن قلبه عن اتباع الرب (ملوك أول ١١: ٣، ٤) ويقول كاتب السفر "وجدت أمر من الموت امرأة التى هى شبك وقلبها شرك ويدها قيود" ويقول "أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد".

٢- يقال إن سليمان ألف أمثالا عديدة ولا شك أنه كت أكثر سفر الأمثال ويقال إنه تكلم بثلاثة آلاف مثل وجاء فى سفر الجامعة "وأنتن أمثالا كثيرة".

(اجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٣).

(٢) إظهار الحق ص ٩٦.

(٣) ملوك أول: ١١ التوراة الهيروغليفية ص ١٧٦ يبدأ سفر الجامعة هكذا "كلام الجامعة ابن داود الملك فى أورشليم" وردت كلمة الجامعة فى الترجمة الإنجليزية بلبفظ كو ملث وبما أنه ليس بين أبناء داود من يعرف بهذا الاسم فقط استبدلت الترجمة الإنجليزية بهذا الاسم كلمة "الواعظ" وابتدع =

كما انه من المستبعد جدا أن يصف سليمان عصره على أنه عصر الظلم واستشراء الفساد فضلا عن أن فلسفة الجامعة تحمل بين طياتها كثيرًا من عبارات الكفر والإلحاد^(١).

ويذكر غوستاف لوبون أن سفر الجامعة قد خلط بالملك سليمان عن غلط يتعذر إدراكه فلا شيء يبتعد عن ذلك السفر العسير العميق أكثر مما نعرفه من حياة هذا الملك وأخلاقه، ولذا كان واضع ذلك السفر قد أجرى أقواله على لسان ذلك الملك القوى فلافتراض جار في الآداب ولرغبة ذلك المؤلف في مضاعفة الوزن ولكي يدعى بأنه أزال وهمه عن كل شيء في هذا العالم يجب عليه أن يعرف كل شيء عنه كالغنى والسلطان وجلال العرض وأبهة القصور وملق الرجال.

فقال "كنت ملكا فزدت عظمة ونموا على جميع الذين كانوا قبلي وجمعت لى فضة وذهبا مع أموال الملوك والأقاليم"^(٢).

ويذهب الأب دليلي إلى أن كاتب هذا السفر مجهول الاسم، وهو وأحد أرباب الحكمة وقد دون لنا خبرته فتقمص شخصية سليمان وأتى لنا بما علمته إياه الحياة عن اللذة والغنى والعمل والسعى وراء الحكمة^(٣).

والدكتور إسرائيل ولفنسون اليهودى لم يجرؤ على القول بأن سليمان هو صاحب

= حاخامو اليهود قصة يعللون بها ورود هذا الاسم فزعموا أن يهوه ضاق ذات يوم ذرعا بما داخل سليمان من غرور وخيلاء فأرسله يجوب أقطار العالم واعظا الناس وداعيا إياهم على ما فيه صلاحهم وأحل محله شيطانا في صورته وتريع فوق عرشه واستمر يحكم الشعب بدلا منه ٠ راجع عصام الدين حفنى ناصف: الأسطورة والوعى ص١٨٦-١٨٧).

(١) التوراة الهيروغليفية ص١٦٧، وقد كان هذا الوضع من الأسباب التى أدت إلى قيام عدة مشاكل حول قدسية هذا السفر وتبعيته للعهد القديم، إذ شك بعض اليهود فى قانونيته ولكنهم اقتنعوا أخيراً بمكانته بين الأسفار القانونية، والواقع أنه لولا نسبته لسليمان ما احتل هذه المكانة بين أسفار الكتاب المقدس وجدير بالملاحظة أنه لا توجد منه اقتباسات مباشرة أو تلميحات فى كتب العهد الجديد (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٤٤، التوراة الهيروغليفية ص١٦٧).

(٢) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص٨١-٨٢.

(٣) راجع تاريخ شعب العهد القديم ص٣٨٣-٣٨٤.

هذا السفر فذكر أن بطل هذا السفر ملك من ملوك اليهود اعتزل الحكم لأسباب لا نعلمها، ثم كون لنفسه مذهباً في الحياة وفي شئون الناس وشجونهم^(١).

ويقول "إن مؤلف هذا السفر يمثل لنا عصره تمثلاً كاملاً فهو متردد بين المجون والإيمان ثم نراه جريئاً على ربه واقفاً أمامه موقف المناضل، ونراه يقاوم المجون والفسوق في ختام سفره ويدعو الناس إلى الفضيلة، وبينما نراه حزينا كثيراً لا يرى في الحياة شيئاً جميلاً إذ نجده يدعو إلى الملاذ واتباع الشهوات ثم يعود فيندم ويتوب ويقف حائراً مضطرباً لا يكاد يعرف من شدة ما يعانیه من المعض والالم^(٢).

فقد كان هذا السفر - كما يرى ولفنسون - بعد أن فسدت الأخلاق بسبب الحضارة اليونانية فانتشر الفسوق والمجون والاستهزاء بالحياة الساذجة والاستهانة بالتحاليم الدينية وانتقلت الأمة التي كانت فقيرة في المادة غنية بإيمانها إلى حياة تسود فيها الملذات والشهوات^(٣).

ويذكر ول ديورانت أنه لا يعرف على وجه اليقين مؤلف سفر الجامع وإن كان قد أطلق على نفسه اسمين مستعارين يخلط بينهما وهما "كحيلة" و"ابن داود ملك أورشليم".

كذلك لا يعرف وقت تأليفه على وجه التحديد وإن كان سارتن قد أرجعه على الفترة ما بين عامي ٢٥٠، ١٦٨ ق.م^(٤) وحده برتراندرسل بعام ٢٠٠٠ ق.م^(٥).

لكن من المرجح أن كتاب أو سفر الجامعة قد تم تدوينه في العصر الذي كانت فيه فلسطين خاضعة لحكم اليونان حوالي القرن الثالث ق.م وحده البعض بأواخر هذا القرن^(٦).

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٩٥.

(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٩٤.

(٥) تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثاني: الفلسفة الكاثوليكية ص ٢١.

(٦) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ٩٥، موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٥ التوراة الهيروغليفية ص ١٦٨.

ولذلك فإن العلماء يعتقدون أن كاتب سفر الجامعة الذى عاش فى العصر اليونانى قد تأثر بالفلسفة اليونانية وبفكرة القضاء والقدر التى أشبعت بها الثقافة اليونانية.

وهناك على الأقل بعض التماثل بين أقواله وبين فلسفة الأبيقوريين لأن الحكيم ينصح باقتناص الفرص وافتداء اليوم والمتع بالملاذ الزائلة قبل ضياعها لتأكل ونشرب لأن غدا نموت" لأنه ليس للإنسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح^(١).

ويذهب بعض المفكرين إلى أن سفر الجامعة يحتوى على تعاليم أخرى تقترب من فلسفة الرواقيين، بل ذهبوا إلى أبعد منذ لك فقالوا إن كثيرًا من الألفاظ مأخوذة من أصل يوناني^(٢).

والحقيقة أنه من الواضح تماما بين ثنايا السطور - كما يقول الدكتور حبيب سعيد - أن الجامعة كان متأثرا على حد كبير بروح الثقافة اليونانى، وأنه استنشق عير هذا الجو فى تفكيره وهامه وخاصة فى فلسفته التشاؤمية ونظرته على الحياة نظرة تشاؤم وقنوط إذ ينظر إلى الحياة بمنظار أسود ولم تعهد هذه النظرة فى كتب العهد القديم^(٣).

- فسفر الجامعة - فيما يقول غوستاف لوبون - من أمر الإنكارات التى نطق بها كل ذى شفتين إذ هو أنشودة قنوط المحكوم عليهم بالهلاك الأبدى وهو ينفع كتابة قبر للجنس البشرى حينما تسجى الأرض الخالية من سكانها الأخيرين تحت كفن من الجليد.

والذى ستر حتى يومنا هذا ما فى ذلك السفر الباقي من الواقعية الباردة والظيرة

(١) راجع سفر الجامعة ٨: ١٥.

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٣، د/ بحر عبدالمجيد ص ٩٢، راجع تفاصيل الحديث عن فلسفة التشاؤم فى سفر الجامعة: التوراة الهيروغليفية ص ١٦٥-١٦٦.

القائمة هو ذلك الشعور الدينى الذى ما انفك يشوه التوراة منذ ألفى سنة، فإذا ما تخلص المرء من الأباطيل المتأصلة استمع إلى سفر الجامعة منقبض الصدر بما يفوق الوصف^(١).

وبجانب فلسفته التشاؤمية فإن كاتب سفر الجامعة يتشكك فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد والزندقة^(٢).

ويذكر غوستاف لوبون أن الروح العامة فى سفرى الأمثال والجامعة أبيقورية ارتيابية وما فيها من قول مؤكد بأن أوضح واجب علينا هو أن نتمتع بالحياة لعدم وجود شيء وراءها وبأن من الجنون أن نضحى بالساعة الراهنة فى سبيل أوهام باطلة وأن هذه الروح الارتيابية لم يسبق إليها أحد فى العالم الوثنى القديم.

ثم يؤكد أن سفر الجامعة يعتبر أكثر ارتيابا من سفر الأمثال^(٣).

ويقول ول ديورانت "إن سفر الجامعة يكشف عن تشكك لا نتيهه فيما عن الكتاب باختباره ونشره من أدب اليهود الأقدمين ولا شك فى أن أقواله إنما تعبر عن الحضارة التى بلغت آخر مراحلها، فلقد نصب معين شاب إسرائيل فى الكفاح المير الذى قام بينها وبين الإمبراطوريات المحيطة بها والتى لم ينقذها منها يهوه الذى كانت تعتمد على معونته!!".

فلما تأزمت أمورها وافترقت وتشتت رفعت إلى السماء فى آدابها هذا الصوت وهو أشد الأصوات مرارة لتعبر به عن أعماق الشكوك التى طافت فى يوم من الأيام بالنفس البشرية^(٤).

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٨٦.

(٢) د. أحمد شلبى: اليهودية ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٧٩، ٨١.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢٨٨، ٣٩٧، ولمعرفة المزيد من التفاصيل راجع النصوص التى أوردتها ول ديورانت والتى تعبر عن تشاؤم وشكوك سفر الجامعة. المصدر السابق ص ٣٩٤-٣٩٧.

وهكذا فإن دل هذا السفر على شيء فإنما يدل على تأثير نصوص الديانة اليهودية في فترة من الفترات بالثقافة اليونانية فنصوص هذا السفر تمثل مدى هذا التأثير ولو أن الكاتب وجه الناحية الفلسفية إلى ناحية دينية^(١).

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن مارتن لوثر رأى في سفر الجامعة أنه مجموعة من فلسفة الفلاسفة^(٢).

ويذهب صموئيل هنرى هوك على أن الواعظ العبرى القديم (مؤلف سفر الجامعة) كان مطلعاً على ملحمة جلجاميش^(٣) البابلية ونقل عنها بعض كلمات ومن هذا قول إحدى الإلهات للبطل جلجاميش:

جلجاميش إلى أين تغذ الخطي؟ الحياة التى تروقها لن تجدها.

فالآلهة حين خلقت البشرية، خلقت الموت معها، واحتفظت بالحياة بين أيديها املاً بطنك أى جلجاميش، ابتهج في ليلك وفي نهارك، اجعل لنفسك في كل يوم بهجة ومراحاً، ارتقص ليلك ونهارك وامزح والبس الزاهى من الثياب والجديد، ليكن رأسك مغسولاً واستحم في الماء ترفق ملتفتاً على الصغير الذى يمسك بيدك فهذه هى بغية البشرية.

وهذه الكلمات تشبه إلى حد غريب كلمات سيد المجالس في سفر الجامعة^(٤).

"لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحى خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسى، ومحبتهم وبغضهم وحدهم هلك منذ زمان ولا نصيب لهم بعد على الأبد في كل ما يحمل تحت الشمس، اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضى علمك، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك

(١) د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص ٩٢.

(٢) التوراة المبرورة غليقية ص ٥٣.

(٣) ستتحدث عن هذه الملحمة البابلية في الفصل الخاص بقصتي الخلق والطوفان.

(٤) صموئيل هنرى هوك: منعطف المخيلة البشرية: بحث في الأساطير ص ٤٣-٤٤.

الدهن التذ عيشا مع المرأة التى أحببتها لك أيام حياة باطلك التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك إن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تعبته تحت الشمس.

كل ما تحده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها^(١).

وأخيرا فإن د/ فيليب حتى يرجح أن الأثر المصرى ظاهر فى سفر الجامعة وخاصة فى الإصحاحين الرابع والثانى والعشرين^(٢).

٥- سفر أيوب:

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن سفر أيوب يجيء بين أسفار أو كتب الحكمة التى تعود فى معظمها إلى مآثورات شعبية متواترة عند اليهود، ولذلك فإن البحث العلمى يصطدم بمشاكل كثيرة عندما يريد تحديد علاقة هذه الأسفار بمن نسبت إليهم، أو افتراض تاريخ لظهورها وانتشارها، ويرى أن سفر أيوب يعد من هذه الوجهة أشد تلك الأسفار تعقيداً^(٣).

وقبل أن أتعرض لدراسات الباحثين حول سفر أيوب ينبغى أن أقرر هنا أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين قصة النبى أيوب عليه السلام كما وردت فى القرآن الكريم وبعيدا عن الإسرائيليات التى أحيطت بها التفاسير، وبين قصة أيوب كما وردت فى هذا السفر.

فالنبى أيوب شخصية تاريخية حقيقية بنص القرآن الكريم وهو أحد أنبياء الله الذى قص علينا قصصهم ويجب علينا الإيمان به.

لكن دراسات الباحثين تركزت حول النصوص المذكورة فى سفر أيوب:

(١) سفر الجامعة ٩/ ١٠-٤.

(٢) تاريخ اللبنانى ص ١٧١ راجع سفر الجامعة ٦: ٥٤/ ١١، ٢٢١٢.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفرق الدينى الإسرائيلى ص ٥٥ق.

يتساءل حبيب سعيد عن سفر أيوب أهو تاريخ واقعى أم هو قصة تمثيلية روائية؟

ويجب بأن قدامى الشراح يرون أنه تاريخ واقعى بل نسبه بعضهم إلى موسى (عليه السلام) فالسفر فى الترجمة السريانية موضوع بين سفرى التثنية ويشوع، ويضيفون إلى ذلك أن أيوب شخصية تاريخية بدليل قول الكاتب فى مستهله "رجل فى أرض عوص" وقد أشير إليه فى سفر حزقيا"^(١).

يقول سبينوزا أما عن سفر أيوب وعن أيوب نفسه فقد دارت مناقشات طويلة بين الشراح فى هذا الصدد.

فالبعض يظن أن موسى هو مؤلف هذا السفر، ويعتبرون القصة كلها مثلاً للموعظة فقط وهذا ما يقوله بعض الأخبار فى التلمود كما يذهب ابن ميمون على مثل هذا الرأي"^(٢).

إلا أن كثيرا من الباحثين ونذكر منهم على سبيل المثال بنيامين جرين فى تلخيصه التاريخى للعهد القديم يرون أن النبى أيوب أقدم من موسى نفسه إذ حددوا تاريخه بعام ١٥٢٠ ق.م.^(٣)

ويتابع اسبينوزا قوله فيذكر أن البعض الآخر يعتقد أنه قصة حقيقية ومن هؤلاء الآخرين من يظن أن أيوب عاش فى زمان يعقوب وتزوج ابنته دينة وفى مقابل ذلك

(١) حزقيا ١٤: ١٤ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٩.

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣١٥، ويذكر الشيخ رحمت الله الهندى أن حال سفر أيوب أشنع من حال بقية الأسفار ففيه اختلاف من أربعة وعشرين وجها وأن (الربى ممانى ديز) الذى هو عالم مشهور من علماء اليهود و(ميكائيلس وليكرك وسملر واستاك) وغيرهم من علماء المسيحيين مجمعون على أن أيوب المذكور فى السفر اسم فرضى وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة وقد ذمه (تهيودور) ذمًا كثيرًا وقال إمام فرقة البروتستانت (إن هذا الكتاب حكاية باطلة وقصة كاذبة وقد ذمه (تهيودور) ذمًا كثيرًا وقال إمام فرقة البروتستانت (إن هذا الكتاب حكاية محضه) (إظهار الحق ص ٩٣) و ص ١٣٧ ج ١ من الطبعة الجديدة.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٥٥.

فإن ابن عرزا يؤكد في شرح له على هذا السفر أنه ترجم إلى العبرية من لغة أخرى^(١).

وهناك نفر من الباحثين يرون أنه عربى الأصل ويستدلون على صحة رأيهم بأدلة مستقاة من روح الكتاب ولغته ومن أصدقاء أيوب ومنهم الأدومي والآرامى والعربى^(٢).

وكان الأديب الفرنسى (فولتير) ١٦٩٤-١٧٧٨ أول من نادى فى العصر الحديث بأن أيوب وسفره أقدم من التوراة وأن العبريين أخذوه عن العرب وترجموه إلى لغتهم^(٣).

واستدل على ذلك بأن اسم "الشيطان" الذى يشغل مكانا رئيسيا فيه ليس كلمة عبرية بل هو كلدانى.

ومن الأدلة على الأصل العربى لسفر أيوب أيضا، نسبة أيوب نفسه إلى أرض "عوص" وهى تقع فى شمال شبه جزيرة الرب، وأن أصدقاءه كانوا فيها يبدو من العرب: الفليفاز التيمانى، وبلدد الشوحى، وصوفر النعمانى.

كذلك لاحظ الباحثون ذكر الجمال عند الحديث على ثروة أيوب من الماشية، ونحن نعرف أن لحوم الإبل محرمة على اليهود، وإنما لم تذكر بين ثرواتهم حتى فى دواب الحمل إلا نادرا، بل إن اسم أيوب نفسه لا مثيل له فى أسماء العبريين^(٤).

ويذكر عباس محمود العقاد أن الرحالة برترام توماس صاحب كتاب "مفزعات

(١) رسالة فى اللاهوت ص ٣١٥، ويذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الترجمة السبعينية تنص صراحة على أن سفر أيوب مترجم عن الآرامية السريانية (التوراة الهيروغليفية ص ١٤٤، ناقلات عن مصدر أجنبى).

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٤٤.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٥٥، د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٩ ص ٦٨.

(٤) د/ حسن ظاظا: المصدر السابق ص ٥٦-٥٥ و ص ٤٧-٤٨ من الطبعة الجديدة.

وكشوف في بلاد العرب" يحسب أيوب من أهل عمان، وأن غيره يحسبه من أهل نجد، وأن زمنه متباعد بين المؤرخين وشرح التوراة.

وذكر أن بعض المؤرخين قد قام بتحقيق زمان أيوب عليه السلام بمراسد الفلك مما ذكره في أسماء النجوم والمنازل ومن أشهر هؤلاء المفسر "هالس" الذي رجح بناءً على أبحاثه الفلكية أن تاريخ أيوب يقترب من سنة ٣٠٠٢ ق.م.

ويرى العقاد أن مما يقرب هذا التقدير ويدل على أن أيوب كان على اتصال بالبلاد المصرية أنه ذكر الأهرام والمدافن التي بينها الملوك لأنفسهم^(١).

لكن هذا التقدير يجعل زمن أيوب سابقاً على زمن الخليل إبراهيم عليهما السلام وهذا لا يصح حيث إن القرآن الكريم قد ذكر أن أيوب سليل إبراهيم ومن ذريته يقول الله تعالى على سيدنا إبراهيم: ((ووهبنا له إسحاق ويعقوب، كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى وهارون))^(٢).

ولذلك فإن العقاد يعود بعد أن كان قد مال إلى تقدير "هالس" فيقول:

"إنه إذا لم يبلغ هذا الحد من القدم فلا شك عند جمهرة الشراح في سبقه لعهد الخروج من مصر".

وحجتهم على ذلك أنه لم يشر بكلمة واحدة على الخروج ولا إلى خراب المدن التي دمرتها الزلازل بجواره ولم يرد ذكر "يهوه" في صلب كتابه، وإنما ورد في المقدمة والذيل وهما مضافان إليه بعد عصره كما هو راجح عند الشراح^(٣).

وعموماً فإن أيوب عليه السلام يعد من أقدم الأنبياء في الجزيرة العربية وقد اتفق المؤرخون على أنه من أبنائها، وإن اختلفوا في مكانه بين شمال نجد وشرق والعقبة.

(١) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين ص ٨٣، إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٦٠.

(٢) سورة الأنعام ٨٤.

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٦٠-١٦١.

وعلى الجملة - وكما يقول العقاد - يبدو سفر أيوب غريبا في وضعه وموضوعه بين أسفار العهد القديم، ولم يكن من عادة بنى إسرائيل أن يجمعوا في التوراة كتباً غير أنبيائهم المتحدثين عن ميثاقهم وميعادهم، ولكنهم جمعوا هذا السفر مع الأسفار المشهورة لأنهم وجدوه في بقاع فلسطين الجنوبية محفوظاً يتذكره الرواة وحسبه بعضهم من كلام موسى وبعضهم من كلام سليمان^(١).

أما فيما يتعلق بتاريخ كتابة سفر أيوب وتدوينه فإن أحداً لا يدري متى كتب على وجه التحقيق^(٢).

إلا أنه بمقابلة السفر بنصوص العهد القديم تبين للباحثين أن عصر تأليفه قد يرجع على عصر السبى أو بعده^(٣).

ويذكر صاحب القاموس أن بعض النقاد رأوا أنه كتب بعد السبى بسبب الصراع الواضح فيه شأن الثواب والعقاب^(٤).

ويرى موريس بواء أن سفر أيوب قد حرر في القرن الخامس ق.م^(٥).

ويذهب حبيب سعيد على أن من المحتمل - على قول الثقات - أن السفر كتب في الثلاثمائة سنة ق.م^(٦).

وهكذا يتبين لنا كما يذكر كثير من العلماء - أن أيوب ليس من أنبياء بنى إسرائيل وأنه يسبق موسى بزمان طويل وأنه شخص تاريخي وأنه له قصة حقيقية إلا أن السفر المذكور في العهد القديم قد دون في عصر السبى أو بعده.

وعلى ذلك فمن المحتمل أن كتبه التوراة أو جامعى العهد القديم قد عثروا على

(١) المصدر السابق ص ١٦١-١٦٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٨ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٣.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٩٠، التوراة الهيروغليفية ص ١٤٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨.

(٥) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٥.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٣.

قصة أيوب الأصلية وربما يكون قد لحقها إضافات فنقلوها بإضافاتها وربما يكونون هم الذين كتبوا هذه الإضافات ونقلوها من مصادر أخرى.

وقبل أن أبين هذه الإضافات لابد أولاً من إشارة سريعة لمحتويات هذا السفر.

يقع السفر في أربعة أجزاء:

١- قصة أيوب ونكباته (ص ٢-١).

٢- الحوار بين أيوب وأصدقائه (ص ٣-٣٧).

٣- جواب الله (ص ٣٨-٤٢، ص ٤٢ : ٦-١).

٤- الخاتمة السعيدة (٤٢ : ٧-١٧).

وموضوع هذا السفر فلسفى عميق يتصل بفكرة الجزء ومشكلة الألم فقد كان الاعتقاد الراسخ أن يهوه هو سيد الأرض وما عليها ومن عليها وأن من صفاته البر والخير، لذلك كان القصاص من أجل الخطية منسجماً مع صفاته وطبيعته، وأن الخير نصيب الأتقياء الصالحين، ولكن في عالمنا هذا رأى البشر غير هذا، رأوا الصالح التقى يصيبه أحياناً الألم والحزن، رأوا الشرير الأثيم لا يناله السوء فما علة عدم المساواة في هذا التوزيع؟.

وكاتب هذا السفر واحد من أرباب الفكر والحجا الذين تصدوا لتحليل هذه المشكلة لذلك لما أراد شخصية تتفق وأفكاره اختار أيوب الصابر وقصته قديمة معروفة^(١).

ومن ثم نجده يسرد لنا قصة رجل متدين شديد الإيمان بالله ثم جرده من كل ممتلكاته وحرمه حتى من أبنائه وابتلاه بكل كارثة^(٢).

(١) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ١٤٩، د/ فؤاد حسنين: التوراة الميروغليفيه ص-١٤٠، حزقيا ١٤: ٢٠.

(٢) يذكر السفر أن الشيطان ضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد (أيوب ٢ : ٧-٩)، ويرى حبيب سعيد أن أيوب كان مصاباً

ويحدثنا السفر أن كل ما حل بأيوب كان نتيجة جدال عنيف بين الله والشيطان! ويحسن المؤلف الاختيار فيقع على أصدقاء لأيوب ويجعل بينهم وبين أيوب صلة قوية في التفكير والمستوى العقلي.

وأبرز المؤلف أيوب على أنه الشخص الحائر الذي لا يعرف سببا لما أنزله الله به ويلات ومصائب^(١).

ويدير حوارا بين أيوب وأصدقائه يتهمون فيه باقتراف الذنب وارتكاب الخطيئة ويطلبون إليه التوبة والتفكير^(٢)، فيتألم أيوب ويخرج من كل أحايثهم أنه خلق ليكون خاطئا لكنه لا يخطئ، فهو لا يجد مبررا ليتوب إلى الله.

ويظهر أيوب وهو يهاجم أصدقاءه ويهاجم الله!! فهو حينما أراد التحدث إلى الله سقط وأخطأ في حقه واتهمه أصدقاءه بالكفر^(٣).

ويبرز المؤلف أيوب وهو يتذمر ويتوجع ويسأل نفسه: لماذا يتألم هذا الأمل وهو مقتنع ببراءته ولا يتعب من ترديد هذه البراءة.

ويصوره لنا يائسا قانطا معتقدا أن الله لن يثيب الخاطئ^(٤).

ويذكر مؤلف السفر أن يأس أيوب وقنوطه أديا به إلى الكفر، لكن أيوب مضطر إلى الصراخ والتصريح بمثل هذا القول.

ويتساءل: أيشتبك مع الله في نزاع سيعود عليه بأوخم العواقب فهو إنسان ضعيف لا يقوى على مجابهة الله^(٥)، إلا أن يأس أيوب من مواجهة الله لم يحل دون

بأخبث صنوف الأدوية ويقول علماء البكتريولوجيا أن أيوب كان مصابا بمرض جلدى خبيث - لعله الزهري - (المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥١).

(١) التوراة الميروغليفيه ص ١٤٠-١٤١.

(٢) أيوب: ١١، ٨، ٥.

(٣) أيوب ١١: ٦/ ١٥، ١٨، ٢٢ التوراة الميروغليفيه ص ١٤١.

(٤) أيوب ٩: ٢٢.

(٥) أيوب ٩: ٣٠ التوراة الميروغليفيه ص ١٤١-١٤٢، ويذكر السفر أن أيوب قال لأصدقائه "فاعلموا إذا أن الله قد عوجنى ولف على أحبولته، ها أنى أصرخ فلا أستجاب، أدعوه وليس حكم، قد حوط =

ثورته ورغبته في منازلته الله صائحا لماذا؟^(١) ويندفع أيوب متحديا الله ذلك الخالق الذي يتتبع في كل وقت، ذلك الخالق الذي يسيء استعمال قوته - كما يصوره السفر ونستغفر الله من هذا الإلحاد - ضد مخلوق ضعيف^(٢).

ويذكر العلماء أن سفر أيوب قد تعرض للزيادة والحذف^(٣).

= طريقى فلا أعبر وعلى سبيل جعل ظلاما، أزل عني كرامتى ونزع تاج رأسى هدمنى من كل جهة فذهبت، وقلع مثل شجرة رجائى، واضرم على غضبه وحسبى كأعدائه، معا جاءت غزاته وأعدوا على طريقهم وحلوا حول خيمتى قد أبعد عني إخوتى، ومعارفى زاغوا عني، أقاربى قد خذلونى والذين عرفونى نسونى، نزلاء بيتى وإمائى يحسبونى أجنبيا صرت فى أعينهم غريبا عبدى دعوت فلم يجب، بغمى تضرعت إليه نكتهى مكروهة عند امرأتى، الأولاد قد ردلونى، إذا قمت يتكلمون على كرهنى كل رجالى، والذين أحببتهم انقلبوا على، عظمى قد لصق بجلدى ولحمى، ونجوت بجلد اسنانى: لماذا تطاردونى كما الله ولا تشبعون من لحمى.

(أيوب ١٩-٢٢).

(١) من نهاج الشكوى والتذمر التى عرضها كاتب السفر قوله فى الإصحاح الثالث:
بعدد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه وأخذ يتكلم فقال: ليت هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى قال قد حبل برجل، ليكون ذلك اليوم ظلاما، لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار، ليملكه الظلام وظل الموت،... هو ذا ذلك الليل ليكون عاقرا، لا يسمع فيه هتاف، ليلعنه لاعنوا اليوم (٣: ١٠-١١).

لأنه لم يغلق أبواب بطن أمى ولم يستر الشقاوة عن عيني، لم لم أمت من الرحم، عندما خرجت من البطن، لم لم أسلم الروح، لماذا أعانتنى الركب ولم التدى حتى أرضع (٣: ١٠-١١).

وفى الإصحاح العاشر يذكر على لسان أيوب:

"قد كرهت نفسى حياتى، أسبب شكواى، أتكلم فى مرارة نفسى، قتلا لله لا تستدبني فهمنى لماذا تخاصمنى، أحسن عندك أن تظلم أن تزدل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر، أيامك كأيام الإنسان أم سنوك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمى وتفتش على خطيئتي" (أيوب ١٠: ٦-١).

"فلماذا أخرجتنى من الرحم إلى القبر أليست أيامى قليلة أترك، كف عني فأتبلج قليلا (أيوب ١٠: ١٨-٢٠).

(٢) راجع أيوب ١٣: ١٤ / ٢٣: ٣ الهيروغليفية ص ١٤٢ ومن أمثلة ذلك قول المؤلف على لسان أيوب مخاطبة ربه:

"أبعد يديك عني ولا تدع هيبتك ترعبنى، ثم ادع فأنا أحيب أو أتكلم فتجاوبنى، كم لى من الآثام والخطايا، أعلمنى ذنبى وخطيئتى، لماذا تحجب وجهك وتحسبنى عدوا لك، أترعب ورقة مندفة وتطارد قشا يابسا، لأنك كتبت على أمور مرة وورثتنى آثام صباى" (أيوب ١٣: ٢٠-٢٦).

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٤٥، قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٨.

ولذلك فإن اسبينوزا يؤيد ما ذهب إليه ابن عزرا بأن هذا السفر مترجم عن لغة أخرى ويعلل ذلك بأنه يذكرنا بشعر غير اليهودى إذ يقال أن أبا الآلهة دعا مجلسه للاجتماع مرتين ولكن مو موسى^(١) نقل كلام الله بتصرف كبير^(٢).

ويرى سبينوزا أن التقلبات التى مر بها أيوب وهذا الصبر الذى امتحن به قد أتاحت لمؤلف هذا السفر فرصة لتأليف حوار لا يبدو موضوعه وأسلوبه صادقين عن شقى أنهكه المرض وغطه التراب بل عن رجل متفرغ لا عمل له إلا التأمل فى مكان مخصص لربات الشعر^(٣).

ومما يؤكد رأى ابن عزرا أن هناك تشابها بين سفر أيوب وأسفار اليهود من الوثنيين^(٤).

ولذلك فإن العلماء حينما لم يجدوا اسم يهوه فى الحوار الشعرى ولم يجدوا أى إشارة لتاريخ بنى إسرائيل ولا على أى شريعة خاصة ببنى إسرائيل استنتجوا من هذا أن العقلية التى صاغت هذه القصة لم تكن عقلية يهودية وإن شأن هذه القصة شأن كثير مما ورد فى العهد القديم من القصص^(٥).

وعلى ذلك فإن الباحثين المحدثين يجمعون على أن مؤلف سفر أيوب قد يكون أدوميا أو مصريا.

وإن كان رأى القائل بمصريته أقرب إلى الصواب وذلك بدليل الأثر الثقافى المصرى الذى يطل علينا من ثنايا هذا السفر فى مواضع كثيرة.

فسفر أيوب فى الواقع ما هو إلا صورة صادقة لقصة المتشائم المصرى^(٦).

(١) موموس هى الإلهة اليونانية التى تشخص السخرية اللاذعة وهى ابنة الليل وأخت هزيريدس طبقا لأنساب الآلهة (رسالة فى اللاهوت ص ٣١٦).

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣١٦.

(٣) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣١٦.

(٤) د/ حسن حنفى: مقدمة المصدر السابق ص ٣٣.

(٥) د/ بحر عبدالمجيد: اليهودية ص ٩١.

(٦) د/ فؤاد حسين: التواراة الميروغليفية ص ١٤٥.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد أنه عرض لنا قصة أيوب عليه السلام كنبى ابتلاه الله فكان من الصابرين يقول الله تعالى: ((واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب))^(١).

ثم يقول سبحانه ((إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب))^(٢).

وبين سبحانه صبر أيوب وتأدبه مع ربه فى تضرعه فقال سبحانه: ((وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين))^(٣).

ومن باب التحقيق فإننا نقف عند كتاب الله ولا نزيد فى قصة أيوب كما تزيد زنادقة أهل الكتاب وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم.

فقد نقلت التفاسير^(٤) كثيرا من الإسرائيليات والروايات المكذوبة عن مرض أيوب وتلقفها الخيال الشعبى فأضاف إليها وزاد فيها من بدن مقروح يتناثر منه الدود وجسم عليل يكاد يشبه الرملة البالية، إلى غير ذلك مما يستحيل على رسل الله أن يصابوا به حتى لا ينفر منهم الناس الذين يدعونهم إلى الله^(٥).

فقد ذكروا أنه أصيب بالجذام فى سائر بدنه ولم يبق منه جزء سليم سوى قلبه ولسانه وصار منبوذا فى ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته وتحملت فى بلائه ما تحملت حتى صارت تخدم الناس بل قد باعت شعرها بسبب ذلك^(٦)، ونسبوا كل ذلك إلى السنة النبوية الشريفة.

(١) سورة ص: ٤١.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(٤) انظر على سبيل المثال: تفسير القرطبى ج ١١ ص ٢٣٢-٣٢٧، ج ١٥ ص ٢٠٧-٢١٢، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٨٨-١٩٠، ج ٤ ص ٣٩٠-٤٠.

(٥) د/ محمد بن محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٩١ الكتاب الرابع من سلسلة البحوث الإسلامية - السنة الرابعة عشرة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٤م، د/ يوسف القرضاوى: الصبر فى القرآن ص ٦٥ مكتبة وهبة ١٩٧٧م.

(٦) راجع التفاسير المذكورة: وأيضا الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٨٥-٣٩٠.

ويذكر الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة أن المحققين من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم - صلى الله عليه وسلم - إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون أو من غلط بعض الرواة وأن ذلك ممن إسرائيليات بنى إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء وينتهى إلى أن معظم ما روى في قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وجاء القصاصون المولعون بالغرائب فزادوا في هذه القصة وأذاعوها، حتى اتخذ منها الشحاذون والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس، واستدرا العطف عليهم^(١).

٦- سفر دانيال

يوضع سفر دانيال في الكتاب المقدس اليوناني بين "أسفار الأنبياء".
وأما في الكتاب المقدس العبري فيوضع بين "الكتابات" وهذا هو الوضع الصحيح وذلك لأن السفر لا ينسج مع أسفار الأنبياء^(٢).
وينقسم سفر دانيال إلى جزئين رئيسيين:
أولاً: قصص عن دانيا^(٣) وصحابه (ص ١-٦).

(١) المصدر السابق ص ٣٩٠-٣٩٥، وسوف نخص إن شاء الله كتابنا مستقلاً بشأن سيدنا أيوب ضمن سلسلة "أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم".

(٢) حبيب سعيد/ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٨، ويذكر أنه لا ينكر أن بعض الأسفار الأنبياء تضمن "رؤى" ولكنها كانت على نطاق ضيق أما هذا السفر فيكاد يكون "رؤى" في مجملته.

ويذكر العلماء أن سفر دانيال يعد من الأسفار التي تثير كثيراً من الجدل في قسم (الكتابات) من العهد القديم ويبدو أن مجموعة أسفار الأنبياء كانت قد أغلقت نهائياً وأقرها الرواة بصورتها وتقسيمها وترتيبها التي سبقت الإشارة عليها في المدخل قبل أن يظهر سفر دانيال، ومن هنا جاء الخلاف بين النسخة العبرية وغيرها من النسخ حول وضع دانيال.

(راجع الفكر الديني الإسرائيلي ص ٦٢، د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت ص ٣٣).

(٣) ودانيال: اسم عبري معناه "الله قضى" وهو أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة وأتى بأمر بنوخذ نصر إلى بابل فتعلم هناك لغة الكلدانيين وشرح للخدمة في القصر الملكي (راجع الحديث عنه بالتفصيل: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٧-٣٨٥).

ثانيا: رؤى يراها دانيال (١٢-٧)^(١).

وقد أجمعت الروايات اليهودية والمسيحية على نسبة هذا السفر إلى دانيال، وظل قدماء الشراح والمفسرون الكاثوليك حتى آخر القرن التاسع عشر يرجحون أن السفر قد كتبه دانيال في بابل وأن عزرا قد حمله معه مع الأسفار الأخرى عند عودته إلى أورشليم^(٢).

لكن هناك أدلة تعترض ذلك الإجماع وتدحض هذا الترجيح وتثبت أن سفر دانيال قد كتب بعد السبي البابلي بثلاثة قرون أو أربعة. ومن هذه الأدلة:

١- أن الأحداث التي صور بها السفر عصر دانيال تتعارض تماما مع الحقائق التاريخية التي وصلتنا والتي أقرها العلم ويأخذ بها العلماء^(٣).

(١) راجع محتويات السفر بالتفصيل: التوراة الهيروغليفية ص١٧٤-١٧٦، المدخل إلى الكتاب المقدس ص١٦٥-١٦٨.

(٢) حبيب سعيد المدخل إلى الكتاب المقدس ص١٦٧ د/ حسن حنفي: مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٣.

(٣) فاحتلال أورشليم في العام الثالث من حكم الملك يهوياقيم أى عام ٦٠٥ ق.م خطأ تاريخي وذكر دانيال أن بلشاصر كان ملكا وابنا وخليفة لبنوخ نصر من الخطأ الشنيع. كما أن الذى غزا بابل وحكم المملكة لم يكن داريوس المبدى بل قورش ملك الفرس، وغير تاريخي أيضا هذا الجنون الذى أصاب بنوخ نصر ولازمه سبعة أعوام.

ولذلك فإن جمهوره من الشراح المحدثين يذهبون إلى أن القصص في الجزء الأول من سفر دانيا ليست تاريخية فالتاريخ العالمى لم يذكر شيئا عن شخص يدعى داريوس المادى يجلس على العرض مباشرة بعد سقوط بابل، كما أن بلشاصر لم يكن ملكا ولم يكن ابنا لبنوخ نصر، ففى ما احتواه سفر دانيال تكبير من الخيال والمفارقات والخلط التاريخى حيث يسوغ ذلك كله أن يكون السفر قد كتب مؤخرا من مذكرات أو ذكريات أو قصص معزوة إلى دانيال، وليس فيها مع ذلك شيء ذو بال مما يتصل بتاريخ اليهود وحياتهم.

وهذه الأخطاء التاريخية التى يحتوى عليها السفر تدلنا على أن مؤلف السفر كان يجهل التاريخ جهلا تاما. (راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ص١٦٧-١٦٨، التوراة الهيروغليفية ص١٦٧-١٧٧، د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص٨٥-٨٧، عصام الدين حنفي ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص٦١-٦٦، محمد عزة درزوة: تاريخ بنى إسرائيل ص٢٦١).

٢- أن السفر يتضمن كلمات مقدونية على حين أن اليهود فى زمن السبى البابلى لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ولا صكت أسماعهم اللغة اليونانية.

٣- فى السفر وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر الذى وافته منيته سنة ٢٣٢ ق.م^(١).

٤- اقتبس السفر طرفا من أقوال أمريا وحزقيال وزكريا وذلك على حين أن أولئك الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا بعد فى ذلك العهد الذى يزعمون أن السفر قد كتب فيه^(٢).

٥- لاحظ الباحثون فى نصوص الكتاب المقدس أن هذا السفر فى لغته الأصلية مكتوب بلغتين هما العبرية والآرامية تتواليان الواحدة منهما فى إثر الأخرى على طول السياق^(٣).

وتبين للباحثين أن توزيع هاتين اللغتين على نصوص هذا السفر غير منطقى، ولذلك لا نعجب إذا وجدنا مؤرخى الكتاب المقدس والباحثين فى نصوصه يقولون والعبارة هنا للوسيان جوتييه - عن هذه الازدواجية اللغوية فى سفر دانيال فى غاية الصعوبة من حيث تعليلها.

فبعض الباحثين يلقونها على مسئولية كاتب هذا السفر أيا كان، ومع ذلك فإنه من الصعب أن تتصور كاتباً يجرر طائعا مختارا كتابا واحدا بهذا الأسلوب الغريب.

والبعض الآخر من الباحثين يعتقد أن هذا السفر قد طرأت عليه أحداث معينة انتهت بتركه على الصورة التى وصلنا بها^(٤).

(١) عصام الدين حنفى ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص٥٩-٦٠.

(٢) المصدر السابق ص٦٠.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص٦٣-٦٤، د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص٨٤-٨٥.

(٤) يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الازدواجية اللغوية فى السفر هى المشكلة التى تعترض الباحثين حتى اليوم، وإن كان حبيب سعيد يرى أن السفر كان كله فى الأصل لغة واحدة فانبرى أحدهم وحاول ترجمته على اللغة التى يفهمها الشعب ولكنه لم يكمل هذه المهمة، وقد ذهب المتأخرون مذاهب

وفي هذا الصدد يظهر أكثر من افتراض:

وأقرب هذه الافتراضات إلى واقع هذا السفر يأتي من أن حديثه عن الكلدانيين وعن الإمبراطورية الفارسية ينم عن علم مضطرب بهما وعن فاصل زمني لا يستهان به هو الذى أحاط الحديث فى تلك الموضوعات بما يبدو فيه من خلط واضطراب.

وبالعكس فإننا نشعر فى أواخر هذا السفر خصوصا ابتداء من الإصحاح الثامن بأن المتحدث يعرف بدقة أحوال الإمبراطورية اليونانية ويشير إشارات دقيقة إلى شخصية تنطبق تماما على الاسكندر اليونانى، بل إننا نشعر بإشارات إلى خلفاء الاسكندر السلوقيين فى الشام والبطالمة فى مصر ثم بالأحداث الدامية التى أوقعها باليهود حاكم سوريا (انطيوخوس الرابع)^(١).

فإذا أضفنا ذلك على أن النبى دانيال لا يذكر فى أيام السبى البابلى فى نصوص الأنبياء الذين عاصروا هذه الحوادث إلا سفر حزقيال الذى يصفه مرة بالعدل^(٢) يمكن أن نفترض أن السفر المنسوب إليه قد كتب متأخرا فى مرحلة ما من العصر اليونانى وهو رأى دعمه انفراد هذا الكتاب بكثير من الألفاظ اليونانية التى لم تكن معروفة من قبل أو مستعملة بين اليهود^(٣).

ولذلك فإن النقاد يكادون يجمعون اليوم على أن سفر دانيال قد كتب فى القرن الثانى ق.م وكان اليهود فى هذا العصر يرزحون تحت نير الحكم اليونانى فى عهد انطيوخوس الرابع الذى قامت على أثر اضطهاده لليهود الثورة المكابية، فكتب هذا السفر تأييدا لتلك الثورة.

مختلفة فى تأويل هذه الازدواجية فقال بعضهم إن كتيابين أو أكثر قد أجمعا فى كتاب واحد وبالرغم من ذلك فإن هذه الازدواجية تعتبر مشكلة لا نجد لها حلا جازما (التوراة الهيروغليفية ص ١٨٠ المدخل ص ١٦٨).

(١) راجع الاضطهاد اليونانى فى الفصل الأول من الباب الثانى.

(٢) حزقيال ١٤: ١٤، ٢٠.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٦٥، ويذكر أن هذا هو رأى أكثر المحققين الأوربيين المحدثين وفى مقدمتهم لوسيان جوتيه وديفر، راجع أيضا د/ بحر: اليهودية ص ٨٧، قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٩.

وقام بكتابه رجل فاقد الاتزان استطاع بمعونة الكهنة أن يخدع القوم عن أنفسهم ويحملهم على الاعتقاد أن هذا السفر قد دبجته في أثناء السبي البابلي يراعة النبي دانيال وتنبأ فيه بمقدم المسيا المنتظر فلبثوا دهرا ينتظرون على غير طائل ذلك الحاكم الذى يتشلهم مما يكتنفهم من المصاعب وما يلاحقهم من التنكيل والازدراء^(١).

فسفر دانيال يعبر عما يكاد يسود عهد انطيو كوس الرابع من هول ورعب أراد به مؤلفه أن يستثير شجاعة الشعب بأن يصف له ما لاقاه دانيال من العذاب وما نطق به من النبوءات فى بابل أيام بنوخذ نصر، وتداولت أيدي اليهود فى السر نسخا من هذا الكتاب وشاع بينهم بأنه وضع نبى من الأنبياء.

وهذا السفر - كما يقول ول ديورانت - يعد ضمن الأدب الصوفى الخيالى الذى يهدف إلى تعليم اليهود وتقوية روحهم ومواساتهم فقد زعزع الأسر البابلي عقيدتهم ثم جددتها إعادة بناء الهيكل ثم حطمتها ضربات انتيوخوس ووجد التشاؤم الآن الميدان فسيحا أمامه رأى اليهود فى كتابات اليونان أفصح تعبير عن مظالم الحياة وماسيها^(٢).

وعلى أى حال فإن النقاد يجمعون اليوم على أن دانيال ليس مؤلف السفر، ويتفق أكثرهم على أن مؤلفه شخص عاش فى القرن الثانى ق.م فى عصر المكابيين^(٣).

ويذكر الأب يلى أن من المحتمل أن يكون المؤلف قد استخدم مجموعة قديمة سكبها بقالبه.

(١) راجع فى ذلك: موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٣٦، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم ص٣٩٠، عصام الدين حنفى ناصف: محنة التوراة ص٥٨-٥٩، د/ بحر اليهودية ص٨٤.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (٨) حياة اليونان ص٩٦ موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص٣٦.

(٣) د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة فى اللاهوت ص٣٣ ومن هؤلاء النقاد: نيكل وجوتسبرجر ولاجرانج.

لذلك فإنه يحتوى على كثير من مظاهر السحر عند الكلدانيين والأساطير البابلية مما دعا ويلسون على الاعتقاد بأنه دون أولاً في القرن السادس ق.م^(١).

وأخيراً وهو ما يهمنا في هذا الفصل فإن النقاد يجمعون اليوم على أن سفر دانيال هو مجرد أسطورة من الأساطير ترجع في بعض أجزائها إلى الثقافات البابلية والآشورية وقد استغلها اليهود وطوروها حسب رغباتهم^(٢).

وبذلك يحق لنا أن نقول إن سفر دانيال قد أُلّف بتأثير من الاضطهاد اليونانى وباقتباس من الأساطير البابلية والآشورية، ثم قام اليهود بدسه بين الأسفار المقدسة على أنه وحى وإلهام من الإله بعد أن نسبوه إلى دانيال وهو منه براء.

(١) المصدر السابق، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم صـ ٣٩٠.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ٢٠٤.

د/ حسن حنفى مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة صـ ٣٣.

obeikandi.com

الفصل الثاني

مظاهر التأثير في القصص الدينية والأساطير

- وينقسم هذا الفصل إلى قسمين:
- القسم الأول: مظاهر التأثير في القصص الدينية.
- ويشتمل على ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: مظاهر التأثير في قصة الخلق.
- المبحث الثاني: مظاهر التأثير في قصة الغواية.
- المبحث الثالث: مظاهر التأثير في قصة الطوفان.
- القسم الثاني: مظاهر التأثير في الأساطير.
- ويشتمل على ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: مظاهر التأثير في أسطورة برج بابل.
- المبحث الثاني: مظاهر التأثير في أسطورة شمشون ودليلة.
- المبحث الثالث: مظاهر التأثير في أسطورة استير ومردوخاي.

obeikandi.com

القسم الأول

مظاهر التأثير في القصص الربيني

obeikandi.com

المبحث الأول

مظاهر التأثر فى قصة الخلق

لاحظ العلماء أن تواراة اليهود قد عرضت فى سفر التكوين قصتين أو روايتين عن الخلق وأن كلا منهما موضوعة إلى جانب الأخرى وأنها يمثلان مرحلتين مختلفتين من تطور الديانة اليهودية^(١).

وتقع القصتان أو الروايتان فى الإصحاحين الأول والثانى من هذا السفر فتحتل الأولى الإصحاح الأول كله والفقرات الثلاث الأولى من الإصحاح الثانى وتمثل الثانى فى الفقرات (٤-٢٥ من الإصحاح الثانى)^(٢).

ولعل من الأفضل أن نقوم بدراسة كل رواية منهما منفصلة عن الأخرى:

الرواية الأولى:

تمثل الرواية الأولى - كما يقول موريس بوكاى - بناء يتكون من أخطاء من وجهة

(١) راجع فى ذلك: موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٤٠ وقد أسند هذه الملاحظة على الأب ديفو وهو أستاذ بمدرسة الكتاب المقدس، بالقدس، راجع أيضا: جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم (التواراة: الجزء الأول ص ٧٩-٨١ ترجمة د/ نبيلة إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٨٢م، صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ٨٨ ترجمة صبحى حديد الطبعة الأولى ١٩٨٣ دار الحوار للنشر والتوزيع سورية - اللاذقية، عصام الدين حفى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص ١٤٤.

(٢) راجع المصادر السابقة "وتسمى الرواية الأولى بالرواية الكهنوتية والرواية الثانية بالرواية اليهودية وسيتبين لنا تفصيل ذلك".

النظر العلمية^(١) ولا بد من القيام بنقدها فقرة بعد فقرة^(٢).

الفقرة الأولى "في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة روح الله يرف على وجه المياه، وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارة والظلمة دعاها ليلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا^(٣).

يعلق الشيخ علاء الدين الباجي على تلك الفقرة بقوله: "كيف يحسن أن يقال في الأول أو البدء خلق الله وفي اليوم الأول. وقد ذكر بعده ما يقتضى أنها مخلوقتان في اليوم الثانى والثالث لأنه قال بعده في اليوم الثانى "وقال الله: ليكن جلد وسط السماء" ثم قال بعده "وصنع الله الجلد" ثم قال بعده: "ودعا الله الجلد سماء".

وقال بعده في اليوم الثالث "ول يظهر اليبس وكان كذلك" ثم قال "فظهر اليبس" ثم قال: "وسمى الله اليبس أرضا"^(٤).

ويستنتج الباجي أنه إذا كانت السماء والأرض قد خلقتا في اليوم الثانى والثالث ولم يكونا مخلوقتين "في الأول" بل ظاهر اللفظ: أن المخلوق في اليوم الأول: اللجة والظلمة، ثم النور، ثم الليل والنهار، ثم في اليوم الثانى: السماء ثم في اليوم الثالث: الأرض.

فليس خلق السماء في الأول لا باعتبار الأيام لأنه خلق السماء في اليوم الثانى والأرض في اليوم الثالث، ولا باعتبار المخلوقات، لأن قبلهما خلق الظلمة واللجة والنور والليل والنهار على ظاهر هذا اللفظ^(٥).

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٤١.

(٢) لقد أثرت أن أقسمها إلى فقرات حسب الترجمة البروتستانتية واعتمدت على نصوص هذه الترجمة لاعتمادها على النص العبرى الفلسطينى.

(٣) تكوين ١: ٥-١.

(٤) تكوين ١: ٩-١٣.

(٥) الشيخ الفقيه على بن محمد بن عبد الرحمن: علاء الدين الباجي: على التوراة: كتاب في نقد التوراة اليونانية ص ١٩-٢٠.

وإذا كان الباجى قد بين التناقض فى ترتيب الخلق وأن النص قد ذكر خلق السماء والأرض فى الأول ثم ذكر بعده خلاف ذلك - فإن موريس بوكاى - يذهب إلى أننا نستطيع أن نقبل تمامًا أن فى مرحلة ما قبل خلق الأرض ما كان سيصبح الكون كما نعرفه غارقا فى الظلمات ولكن الإشارة إلى المياه فى تلك المرحلة أمر رمزى صرف وربما كان ترجمة لأسطورة وخاصة أن هناك ما يسمح بالاعتقاد بوجود كتلة غازية فى المرحلة الأولى لتكوين الكون، وينتهى إلى أن القول بوجود الماء فى تلك المرحلة غلط^(١).

أما فيما يتعلق بالنور والظلمة والليل والنهار فإن موريس بوكاى يعلق عليهما بقوله: "الضوء الذى يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث فى النجوم ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد شكلت بعد فى هذه المرحلة حيث إن أنوار السماوات لا تذكر فى سفر التكوين إلا فى الآية ١٤ باعتبارها ما خلق الله فى اليوم الرابع "ليفصل بين النهار والليل" "ولينير الأرض" وذلك صحيح تمامًا.

ولكن من غير المنطقي أن نذكر النتيجة الفعلية (أى النور) فى اليوم الأول على حين نذكر وسيلة إنتاج هذا النور أى "المنيرة" فى اليوم الرابع.

يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار فى اليوم الأول هو أمر مجازى صرف فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها: أى الشمس^(٢).

ويلاحظ من خلال هذه الفقرة أن الله خلق كل ما فى الكون بترتيب عجيب فكان الضوء يشيع فى الأفق قبل أن تخلق الشمس، لقد كان كتبة التوراة يجهلون - فيما يجهلون - أن تعاقب الليل والنهار إنما يولده تبدل موقع القارات من الشمس نتيجة لدوران الأرض حول محورها ولهذا جعلوا النور يخلق فى اليوم الأول.

ثم يذكرون أن الله فصل بين النور والظلمة فكيف يكون ذلك وكيف كانا

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٤١.

(٢) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص ٤١.

مختلطين من قبل؟ فظاهر كلامهم يعنى أنها عند خلق النور اختلطا فاحتاجا إلى فصل بينهما لتمييزا كاختلاطك الحنطة والشعير وليس كذلك.

فإن النور لا يمكن أن توجد معه الظلمة أصلا فضلا عن أنها مختلطان حتى يحتاجا إلى فصل بينهما فإن من أوقد في بيت مظلم سراجا مثلا لا يمكن أن يقول قد اجتمع في البيت ظلمة ونور فيحتاجان إلى فصل بينهما بل انعدمت ظلمة البيت بمجرد إبقاء السراج فيه والحقيقة أن الظلمة عدم النور فالنور لا يجتمع معه عدمه حتى يحتاج إلى الفصل بينهما^(١).

ثم إنه كيف يحسن أن يقال "ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا فإن ظاهر أن الليل والنهار مخلوقان في اليوم الأول وانهما بمجرد الظلمة والنور من غير شمس. فإن الشمس ما توجد إلا في اليوم الرابع كما ذكر بعد ذلك.

مع أنا نجد بضرورة عقولنا: أن النهار إنما هو ينور الشمس كما ذكره الحكماء والنور المقابل للظلمة في الدنيا، ليس إلا نور الشمس.

وهذا أمر لا يمكن أن يكابر فيه أحد. فقبل وجود الشمس لا يمكن أن يوجد النهار.

وهذا السؤال كما يقول الباجي بالحقيقة هو سؤالان: أحدهما: أن ظاهر اللفظ أن الليل والنهار مخلوقان في اليوم الأول مع أن الشمس المتوقف عليها وجود النهار إنما خلقت في اليوم الرابع.

وثانيهما: أن النهار بنور غير نور الشمس مع أننا نجد الواقع بخلافه^(٢).

الفقرة الثانية:

"وقال الله ليكن جلد في وسط الماء، وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعلم الله الجلد

(١) علاء الدين الباجي: على التوراة ص ٢٠ عصام الدين حنفى ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٤٩.

(٢) علاء الدين الباجي: على التوراة ص ٢٠.

وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد، وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا^(١).

يذكر موريس بوكاي: أن أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالهما إلى طبقتين بواسطة الجلد الذي سيجعل الطبقة العليا عند الطوفان من خلاله تمر لتنصب على الأرض، وينتهى إلى أن صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علميا^(٢).

ثم إنه كيف يحسن أن يقال "وقال الله ليكن جلد وسط الماء" ثم قال بعده "وعمل الله الجلد" ثم قال بعده "ودعا الله الجلد: سماء" فإن ظاهره أن السماء مخلوقة في اليوم الثاني، مع أنه قد ذكر أولا أنها مخلوقة في الأول وإذن فقد تناقض الخبران^(٣).

الفقرة الثالثة:

"وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضا، ومجتمع المياه دعاه بحارا، ورأى الله ذلك أنه حسن وقال الله لتنبث الأرض عشباً وبقلاً يبرز بزرا وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا^(٤)."

يعلق موريس بوكاي على هذه الفقرة بقوله: مقبول علميا أن القارات ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض كانت هذه مغطاه بالماء.

ولكن أن يكون هناك في تلك الفقرة عالم نباتي ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس (التي تظهر كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع) وأن ينتظم تعاقب النهار والليل فذلك ما لا يمكن مطلقا القول به^(٥).

(١) تكوين ١: ٦-٨.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٢.

(٣) الباجي: على التوراة ص ٢١.

(٤) تكوين ١: ٩-١٣.

(٥) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٢ راجع ايضا تعليق الباجي على هذه الفقرة ص ٢٢-٢٣ في كتابه: على التوراة.

الفقرة الرابعة:

"وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين، وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض، وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم، وجعلهما الله في جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل لتفصل بين النور والظلمة ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا"^(١).

يذكر موريس بوكاي أن وصف الكاتب هنا مقبول والنقد الوحيد الذي يمكن إقامته على هذه (الفقرة) هو المكان الذي تحتله في مجموع الرواية، وأن الأرض والقمر، كما نعرف، قد نبعا من نجمهما الأصلي أى الشمس ووضع خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل عناصر النظام الشمسي"^(٢).

وقد تنبه الشيخ الباجي إلى ما بهذه الفقرة من تناقض فنقدتها من ستة وجوه:

أحدهما: أنه كيف يحسن أن يقال "وقال الله: ليكن نيران في جلد السماء، ليضيئا على الأرض"^(٣) ثم قال بعده أيضا: فيضيئا في جلد السماء"^(٤).

فإن ظاهر أن الإضاءة والإنارة حصلتا في اليوم الرابع، مع أنه قد تقدم أن النور خلق في اليوم الأول، وفصل النهار عن الليل فيه. فقد تناقض الخبران.

وثانيها: أن ظاهر أن النور بهما وقد تقدم في اليوم الأول: أن النور حاصل بدونهما ولا سيما في نسخة قوله "وأفرق الله الضوء من الظلمة"^(٥) فهذا تصريح بالسؤال، فقد تناقض الخبران.

(١) تكوين ١: ١٤-١٩.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٢-٤٣.

(٣) تكوين ١: ١٤.

(٤) تكوين ١: ١٥.

(٥) تكوين ١: ٤.

وثالثها: أنه كيف يحسن أن يقال: وينفصلا بين النهار وبين الليل^(١) في اليوم الرابع؟ وقد تقدم في اليوم الأول أنه قد فصل الله بين النور والظلمة، وسماهما ليلا ونهارا، فتميز الليل والنهار فيه فقد تناقض الخبران.

ورابعها: أن ظاهره أنها هما الفاصلان بين الليل والنهار. وقد تقدم في القراءة الأولى: أنه الله في اليوم الأول فصل بين النور والظلمة اللذين سماهما ليلا ونهارا.

فلم يحتج فصلهما بعد ذلك إلى فاصل آخر، والإلزام منه تحصيل الحاصل، ولزم منه اجتماع المحصلين التامين على المحصل الواحد وهما محالان.

وخامسها: أنه كيف يحسن أن يقال: "والنجوم وضعها الله في جلد السماء لتنير على الأرض، وترؤس على النهار وعلى الليل"^(٢) مع أن النجوم لا رياسة لها على النهار، ولا اثر، ولا ظهور أصلا، بل رياستها على الليل خاصة كالنير الأصغر، وأما رياسة النهار فللشمس خاصة.

وسادسها: أنه كيف يحسن أن يقال أيضا: أنها "تميز ما بين النور والظلمة"^(٣).

مع أن الذى يميز بين النور والظلمة والليل والنهار، إنما هما النيران، كما ذكره في أول هذه القراءة، بل في الحقيقة ظلمة الليل هى التى تميز النجوم وتبينها، ونور النهار يخفيها. لأنها هى تميز ما بين النور والظلمة، فالأمر بالعكس^(٤).

الفقرة الخامسة:

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطير طير فوق الأرض على وجه جلد السماء، فخلق الله التناين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدابة التى فاضلت لها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن،

(١) تكوين ١: ٤.

(٢) تكوين ١: ١٦-١٨.

(٣) تكوين: ١: ١٨.

(٤) على التوراة ص ٢٣-٢٤.

وباركها الله قائلًا أمثرى وأكثرى واملأى المياه فى البحار، وليكثر الطير على الأرض، وكان مساء وكان صباح يوما خامسا^(١).

يذكر موريس بوكاي: أن هذه الفقرة تحتوى على مزاعم لا يمكن قبولها:

يقول سفر التكوين بظهور عالم الحيوان أولا وابتداء من حيوانات البحر والطيور الواقع أن رواية التوراة تقول إنه فى اليوم التالى - كما سنرى ذلك فى الآيات التالية - أسكنت الأرض بالحيوانات.

ولا شك أن أصل الحياة مائى، وابتداء من هنا إن جاز القول، احتلت عالم الحيوان الأرض، ومن الحيوانات التى تعيش على سطح الأرض وهى فئة خاصة من الزواحف كانت تعيش فى العصر الثانى. جاءت الطيور فيما يعتقد.

وهناك كثير من السمات البيولوجية المشتركة بين هاتين الفئتين التى تسمح بهذا الاستنتاج.

ولكن سفر التكوين لا يشير إلى الحيوانات الأرضية إلا فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور، وإذن فنظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور هذا غير مقبول^(٢).

الفقرة السادسة:

"وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها، وكان ذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال

(١) تكوين ١: ٢٠-٢٣.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٣.

لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسלטوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض.

وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا، لكم يكون طعاما، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما، وكان كذلك ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا^(١).

وفى هذه الفقرة يعدد الكاتب فى وصف تمام الخلق كل المخلوقات الحية غير المذكورة سابقا ويشير إلى الأقوات المختلفة الموضوعة تحت تصرف الناس والحيوانات.

وكما نرى - فيما يذكر موريس بوكاى - فإن الخطأ يكمن فى وضع ظهور الحيوانات الأرضية بعد ظهور الطيور، ولكن ظهور الإنسان على الأرض محدد بشكل صحيح بعد ظهور الفئات الأخرى من الكائنات الحية^(٢).

وتنتهى رواية الخلق الأولى بالآيات الثلاث الأولى من الإصحاح الثانى:

"فأكملت السماوات والأرض وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدس، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا^(٣).

وأول ما يؤخذ على هذه الفقرة الأخيرة وصفهم للإله بأنه قد استراح فى اليوم السابع وهذا ممتنع فى حق الله سبحانه^(٤).

بالإضافة إلى أن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة فى إطار أسبوع، هذا الإدراج الذى

(١) تكوين ١: ٢٤-٣١.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٤.

(٣) تكوين ٢: ١-٣.

(٤) وتفصيل هذه النقطة وبيان ما فيها من منافاة للعقيدة المساوية فى نهاية هذا المبحث.

أراد الكاتب الكهنوتي بهدف الحث على الطاعة الدينية لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية، التي ترجح أن تشكل الكون والأرض قد تم على مراحل تمتد على فترات زمنية شديدة الطول لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبا.

وحتى إذا كانت الرواية تنتهي مساء اليوم السادس ولا تحتوي على إشارة إلى اليوم السابع يوم الراحة الذي استراح فيه الله - على زعمهم - وحتى إذا كان مسموحا لنا أن نعتبر أن المقصود فعلا هو فترات غير محددة، وليس أياما بالمعنى الحقيقي - فإن - النص الكهنوتي يظل ضعيفا غير مقبول، حيث إن تعاقب الأحداث فيه يناقض المعلومات العلمية الأصلية^(١).

وهكذا إذن تبدو الرواية الأولى للخلق - كما يقول موريس بوكاي - كبناء خيالي مبتكر كان يهدف إلى شيء آخر غير التعريف بالحقيقية^(٢).

الرواية الثانية للخلق:

يذكر موريس بوكاي أن رواية الخلق الثانية - والتي يحتوي عليها سفر التكوين والتي تلي دون انتقال ودون تعليقات الرواية السالفة - لا تسمح بنفس الانتقادات التي وجهت إلى الرواية الأولى وأنها رواية قصيرة جدا، ولكنها إفاضة بما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض مما يخص خلق الأرض والسماء الذي تذكره بإيجاز شديد^(٣).

تقول الرواية:

"هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٥.

(٣) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٥-٤٦، ويرى بوكاي أن رواية الخلق الثانية تشتمل على الآيات من ٤-٧ من هذا الإصحاح فقط وهو بذلك يخالف سائر الباحثين حيث يرون أنها تبدأ من ٤ إلى ٢٥ لأن فيها ذكر خلق حواء، ولعل وجهة نظر بوكاي أن بقية الآيات من ٨ إلى ٢٥ تتعلق بالحديث عن جنة عدن وإسكان آدم بها، لكن ذكر خلق حواء من ضلع آدم يعني أن الرواية مستمرة إلى نهاية الإصحاح الثاني وهو ما عليه سائر الباحثين.

والسماوات كل شجرة البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض، وجبل الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية"^(١).

ويعلق موريس بوكاي على هذه الفقرة بأنها:

هى الرواية اليهودية الموجودة فى نصوص كتب العهد القديم التى نملكها حاليا، هذه الرواية التى أضيفت إليها بعد الرواية الكهنوتية هى كانت على هذا القدر من القصر...؟.

ويذكر أنه لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهودى قد قطع عبر الأزمنة، ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التى فى حوزتنا تمثل فعلا كل ما كان يمكن أن يحتوى عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق^(٢).

ويرى بوكاي أن هذه الرواية اليهودية لا تشير إلى تشكل الأرض بشكل واضح وخاص ولا إلى تشكل السماء. إنه يدع للفهم الضمنى أن عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك نباتات أرضية (فلم يكن المطر قد نزل بعد) هذا برغم أن المياه الآتية من العمق كانت تغطى سطح الأرض.

وتؤكد هذه البقية التالية للنص: زرع الله بستانا فى نفس الوقت الذى خلق فيه الإنسان.

وهكذا يظهر عالم النبات فى نفس وقت ظهور الإنسان على الأرض، وهذا علميا خطأ، فقد ظهر الإنسان على الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة لنباتات، وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات ملايين السنوات قد مرت بين الحدين.

(١) تكوين ٢: ٤.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٦.

ذلك هو الانتقال الوحيد الذى يمكن توجيهه إلى النص اليهودى للخلق، فيما أنه لا يحدد فى الزمن لحظة خلق الإنسان بالنسبة إلى تشكل العالم وتشكل الأرض، هذا الذى يضعه النص الكهنوتى فى نفس أسبوع الخلق، فإنه يفلت من انتقاد خطير كان يوجه لهذا الأخير^(١).

هذا هو رأى موريس بوكاي - بناء على وجهة نظره فى تحديد نص الرواية الثانية. لكننا لو تابعنا بقية فقرات هذه الرواية لوجدنا أنها قابلة لانتقادات كثيرة وخاصة فيما يتعلق بأشجار وأنهار الجنة وخلق حواء من ضلع آدم. ففى الفقرة الثانية يذكر النص:

"وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رءوس: اسم واحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع، واسم النهر الثانى جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى شرقى أشور، والنهر الرابع الفرات"^(٢).

ويعلق الباجى على أنهار الجنة بقوله "كيف يحسن أن يقال بأن النهر الخارج من عدن ينقسم أربعة أنهار فإن ظاهره أن الأرض التى نحن عليها متصلة بأرض الحبشة، فيمكن أن تجرى من الجنة إلى أرضنا ولو كان كذلك لاتصل بالجنة بعض الناس، السالكين فى الأرض مع تطاول السنين.

وأیضا فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيئتها أن الجنة محيطة بالأرض، فتكون أرضنا التى نحن فيها فى وسط الجنة، فنكون فى وسط الجنة وهو ظاهر الفساد"^(٣).

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٦.

(٢) تكوين ٢: ٨-١٤.

(٣) على التوراة ص ٢٠.

وقد ذكر ابن حزم أن في هذا الكلام على أنهار الجنة - من الكذب وجوها فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزئ:

أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفرق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي أسكن الله فيها آدم إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الأرض الذي هو في سماء الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدرى أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالة تنيس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال.

فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب في البحر الشامي إلى أربعة أميال من المصيصة، وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط من عمل أرمنية بقرب أمد من ديار بكر وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق متاخمة أرض العرب، وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من قالي قلا قرب أرمنية ثم يخرج إلى ملطية ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق، وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجلة فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها والله تعالى لا يكذب - وأخرى وهى قوله إن النيل محيط ببلد زويلة وجيحان محيط ببلد الحبشة، وهذه كذبة شنيعة فاحشة ما في جميع أرض السودان والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل أصلا ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد النوبة، وكذبة ثالثة وهى قوله إن ببلد زويلة اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلا إنما اللؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند وأنهار بالهند والصين وهذه فضائح لا خفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ولا إنسان يهاب الكذب.

ويضيف ابن حزم "فإن قال قائل فقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال: النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة، قلنا نعم هذا حق لا شك

فيه، ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلا، وهى أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسيل.

وليس كذك هذا الذى فى تورااة اليهود، لأن واضعها لم يدعها فى لبس من كذبه، بل يّين أنه عنى النيل المحيط بأرض زويلة بلد الذهب الجيد، ودجلة التى بشرقى الموصل، وجيحان المحيط ببلد الحبشة التى لم تخلق بعد، فلم يدع لطالب تأويل كلامه حيلة ولا مخرجا، وأيضا فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن فى نص توارتهم أن الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرقى عدن فى الأرض لا فى السماء كما نقول نحن، فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلا.

وينتهى ابن حزم على أنه لو لم يكن فى توارتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها موسى قط. ولا هى من عند الله تعالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر^(١).

وفىما يتعلق بإسكان آدم فى الجنة وتحذير الإله له بعدم الأكل من الشجرة تأتى هذه الفقرة:

"وأخذ الرب الإله آدم ووضعها فى جنة عدن ليعملها، وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجرة الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"^(٢).

ومما يؤخذ على هذه الفقرة أنه كيف يحسن أن يقال "ومن شجرة معرفة الخير والشر لا تأكل لأنك يوم تأكل منها موتا تموت، مع أنه أكل منها هو وحواء كما سيأتى - ولم يموتا"^(٣).

وهذا الكلام من كاتب هذه الرواية يصور الإله - جل سبحانه - بأنه قد نهاهما

(١) راجع الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٩٥-٩٦ مكتبة السلام العالمية بالقاهرة.

(٢) تكوين ٢: ١٥-١٧.

(٣) علاء الدين الباجى: التوراة ص ٣٠.

عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما مضللاً ومخفياً عنهما حقيقة هذه الشجرة فذكر لهما أن الأكل منها يفضي إلى الموت مع أن الأكل منها يفضي إلى رقى التفكير وانحسار أغشية الجهل وانبثاق نور المعرفة، ولكنه - أى الإله فى نظرهم - كان يريد إبقاءهما جاهلين حتى لا يشاركا فى صفة من أخص صفاته"^(١).

وتختتم الرواية الثانية بقصة خلق حواء من ضلع آدم فيقول السفر:

"وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فاصنع له معيناً نظيره، وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها على آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية، وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلعه وملاً مكانها لحماً، وبني الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً، وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا ينجعلان"^(٢).

يذكر جيمس فريزر أن كاتب هذه الرواية قد رأى أن الله أراد أن يخفف على الرجل وحشته إذ كان يتجول دون رفيق فى الجنة الجميلة التى كانت قد صنعت من أجله خلق له الطيور والوحوش وقدمها إليه فيما يبدو لتسليته، ولكى تؤنس وحشته وعند ذلك نظر الرجل إليها وسماها بأسمائها ولكنه كان لا يزال غير راض عن رفقتها خلق الله له فى النهاية المرأة من جزء من جسمه لا أهمية له وقدمها عليه لكى تكون زوجاً له"^(٣).

(١) راجع د/ على عبدالواحد وافي: الأسفار المقدسة ص ٢٧ اليهودية واليهود ص ٣٥ فقد ورد فى الإصحاح الثالث أن الإله قال حينما أكل آدم وزوجه من هذه الشجرة "هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا على الأبد" وسندرس هذا عند الحديث عن قصة الغواية.

تكوين ٣: ٢٢-٢٤.

(٢) تكوين ٢: ١٨-٢٥.

(٣) الفولكلور فى العهد القديم: الجزء الأول ص ٨٠.

وينقد علاء الدين الباجي العبارة قبل الأخيرة من تلك الفقرة التي تقول "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً"^(١) فيقول:

"كيف يحسن أن يقال هذا فإن التصاقه لو كان كذلك لالتصق بكل امرأة من زوجة أو غيرها وإنما التصق بها لأنها محل شهوته فقط ولم يلتصق بغيرها لأنها ليست محل شهوته"^(٢).

ويتنبه الباجي إلى وجود التناقض بين الروايتين دون أن يكون قد تم اكتشاف - القول بهما في عصره وإنما لاحظ التناقض بين الإصحاحين ومن ذلك قوله: "كيف يحسن أن يقال" فقال الرب الإله لا يحسن الإنسان أن يكون وحده، نصنع له معينا مثله"^(٣) بعد قوله قبل ذلك "صنعه ذكراً وأنثى، صنعهما وباركهما". والسؤال بعينه وارد على قوله بعد ذلك "ولم يجد آدم معينا له" فإنه قد صنع له معينا"^(٤).

تناقض الروايتين ومصدرهما:

هذا وقد أشار العلماء إلى وجود تناقضات كثيرة بين الروايتين: الأولى والثانية عن الخلق.

يقول جيمس فريزر "الذين يقرءون الكتاب المقدس قراءة فاحصة لا يمكن أن يغيب عنهم التناقض الصارخ بين قصتي الخلق اللتين تقعان في كل من الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين.

ففي الإصحاح الأول نقرأ كيف أن الله خلق في اليوم الخامس من بدء الخليقة السمك والطيور بل والكائنات التي تعيش في الماء أو الهواء وكيف أنه خلق في اليوم

(١) تكوين ٢: ٢٤.

(٢) على التوراة ص ٣١.

(٣) تكوين ٢: ١٨.

(٤) على التوراة ص ٣٠-٣١.

السادس - كل صنوف الحيوان التي تعيش على وجه الأرض وأخيراً خلق الإنسان الذكر والإنثى كليهما على صورته.

ومن هذه القصة الأولى نستنتج أن الله قد خلق صنوف الحيوان وأن الإنسان قد خلق بعد أن خلقت كائنات الأرض جميعاً فالله خلق صنوف الحيوان الدنيا أول الأمر ثم - أعقبها بخلق الإنسان، وأن الإنسان قد انقسم إلى ذكر وإنثى ثم خلقهما في آن واحد معا وأن كلا منهما كان يعيش بنفس الدرجة عظمة أصلهما الإلهي^(١).

ثم يقول "هذا ما نقرؤه في الإصحاح الأول من سفر التكوين فإذا نحن انتقلنا إلى الإصحاح الثاني انتابتنا الحيرة على نحو ما، عندما نفاجأ برواية تختلف تماماً عن هذه الرواية الخطيرة بل أنها لتتناقض معها كل التناقض إذ نفاجأ بها يثير فينا الدهشة وهو أن خلق الإنسان أولاً ثم خلق صنوف الحيوان الدنيا من بعده، أما المرأة فقد خلقها بعد فراغه من كل هذا وشكلها من ضلع انتزعه من الرجل في أثناء نومه كما لو كانت مجرد فكرة خطرت له فيها بعد"^(٢).

وأيضاً فمن الواضح أن نظام خلق الكائنات من حيث مهمتها معكوس في كلتا الروايتين:

ففي الرواية الأولى يبدأ الإله بعملية خلق السمك ثم يمضي بعد ذلك في خلق الطيور والوحوش حتى ينتهي إلى خلق الرجل والمرأة.

وأما في الرواية الثانية فهو يبدأ بخلق الرجل ويمضي بعد هذا إلى خلق الحيوانات الدنيا ثم يخلق في النهاية المرأة التي تشير بوضوح على أدنى أعمال الصنعة الإلهية.

بالإضافة إلى أنه ليس هناك في الرواية الثانية أدنى إشارة إلى أن كلا من الرجل والمرأة قد خلق على صورة الإله^(٣).

(١) الفولكلور في العهد القديم الجزء الأول ص ٧٩ بشيء من التصرف.

(٢) المصدر السابق ص ٧٩-٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٨٠.

وهذا التناقض البين بين الروایتين يفسره ببساطة أن الروایتين قد استمدھما كاتب السفر من مصدرین مختلفین ومستقلین أصلاً ثم جمع بينهما في كتاب واحد ونقلھما معا دون أن یجھد نفسه في أن یخفف من حدة التناقض فیھما أو یوائم بينهما. فرواية الخلق الأول مستمدة مما یسمونه بالمصدر الكهنوتي الذی ألفه كتاب كهنوتیون في أثناء السبي البابلي أو بعده^(١).

وأما رواية الخلق الثانية فمستمدة مما یسمى بالمصدر اليهودی الذی ألف قبل المصدر الكهنوتي بمئات السنين أى أنه ألف فيما یدو في القرن التاسع أو الثامن ق.م^(٢).

ویذكر فريزر أن الاختلاف بینَ یِنَّ وجهات النظر الدينية لدى كل من الكاتبین فالكاتب المتأخر أو الكهنوتي یصور الإله في صورة مجردة على نحو ما قد یتصوره الإنسان - وأنه خلق الكائنات جمیعاً بأن أمرها في بساطة أن تكون فكانت.

أما الكاتب المتقدم أو اليهودی فقد صور الإله في صورة حسية فهو یتصرف ویتكلم على نحو ما فعله الإنسان وهو یشكل الإنسان من الطین وفقاً لنموذج معین ویزرع جنة ویسیر فیها عندما یمیل الجو إلى البرودة ویطلب من الرجل والمرأة أن یظهرا من بین الأشجار التي كانا یختفیان وراءها ویصنع لهما أردية من الجلد لیرتديھا بدلاً من الغلالات الهزيلة المصنوعة من أوراق التین التي اهتدی غلیھا أول أبوین لکی یخفیا بها عورتھما خجلاً منها.

فالبساطة الجميلة بل المرح في القصة المتقدمة تتعارض مع الجدية البالغة في القصة المتأخرة، وإن كنا لا نملك إلا أن ندهش لذلك الطابع الحزين المتشائم الذی یتخفی وراء صور الحياة البهیجة في عصر البراءة، تلك الصورة التي رسمھا لنا الفنان اليهودی - الكبير^(٣).

(١) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم > ١ ص ٨٠، صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ٩٢، موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٤٤-٤٥.

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ٨٠.

ويضيف جيمس فريزر أن الرواية المتقدمة لا تتميز عن أختها المتأخرة بأنها أكثر زخرفة منها فحسب، بل تتميز بها فضلا على هذا بغنى عناصرها الفولكلورية فلقد أبقت على ملامح واضحة من البساطة البدائية طمسها الكاتب الثانى فى حرص.

وبناء على هذا فإنها تقدم من العناصر فى مجال المقارنة بالحكايات البدائية الساذجة التى حاول الناس عن طريقها فى العصور والبلاد المختلفة أن يشرحوا اللغز الكبير لبداية الحياة على وجه الأرض أكثر مما تقدمه الحكاية الكهنوتية^(١).

هذا ويذهب كثير من العلماء إلى أن أكثر النصوص التى تعبر عن اعتقادات السومريين والبابليين والآشوريين فى الخليفة وأصل الوجود يتفق مع المآثر اليهودية فى التوراة - مع الفارق فى صيغة الشرك (أى تعدد الالهة) فى الأديان الوثنية مقابل صفة الإله الواحد الخاص باليهود فى الديانة اليهودية.

ويرى هؤلاء العلماء أن أكمل هذه القصص القديمة التى عثر عليها علماء الآثار القصة البابلية المشهورة برسم الخليفة السبعة^(٢) وأن هناك تشابها كبيرا وواضحا بينهما وبين قصة الخلق فى التوراة^(٣).

والحقيقة أنه لا يمكن أن نتابعهم فى هذا الرأى على وجه الإطلاق، وإنما الذى يمكن أن نقوله فى هذا الشأن أننا أمام احتمالين:

الاحتمال الأول: هو أن التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام كانت خالية تماما من قصة الخلق وأنها كانت تشتمل على عدة وصايا وتشريعات فقط وأنها لم تكن تتعدى عدة إصحاحات من سفرى الخروج والتثنية كما ذكرت نصوص العهد

(١) المصدر السابق ص ٨٢، راجع تفاصيل هذه المقارنة ص ٨٢-١٠٣.

(٢) لأنها دونت على سبعة ألواح من الطين.

(٣) راجع تفاصيل ذلك على سبيل المثال طه باقر وبشير فرنسيس: الخليفة وأصل الوجود ضمن نصوص من الأدب العراقى القديم مجلة سومر العراقية ص ١-٣٦، ومن ١٧٥-١٣٤ المجلد الخامس ١٩٤٩م بغداد.

د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٣-١٧-٤١٨.

القديم وكما بيناه في الفصل الخاص بفقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام.

ومما يؤكد هذا الاحتمال أن سبينوزا قد ذكر أن أول سفر كتبه عزرا هو سفر التثنية وقد كونه من شرح سفر تورااة الله وبعض إضافات أضافها إليه، ثم شرع بعد ذلك في رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذ خلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة ثم أدخل في هذا التاريخ سفر التثنية في موضعه^(١).

وبناء على هذا الاحتمال يكون عزرا أو كتبة التوراة قد نقلوا قصة الخلق من النصوص - السومرية والبابلية والأشورية التي كانت تحت أيديهم وهم في بابل أو أنهم اطلعوا عليها قبل ذلك والتقطها مسامعهم ودونوها في وثائقهم ثم قاموا بتنقيحها حتى تلائم بعض معتقداتهم المساوية.

يذكر ول ديورانت أن أساطير الجزيرة كانت هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها ق.م.

ويقول "ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الدب البابلي في أثناء أسرهم"^(٢)، ولكنه يعود فيرجح أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمان طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى^(٣).

وأما الاحتمال الثاني: فهو أن تورااة موسى السماوية كانت تحتوى على قصة الخلق كما أنزلها الله سبحانه، وحدث أن فقدت هذه التوراة وقام اليهود بتضييعها كما رأينا، ثم حينما عثروا على أجزاء منها كانت تحتوى على قصة الخلق الأصلية أو على جزء

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٨١.

(٢) يذكر عصام الدين حنفى ناصف: أن اليهود بعد أن عادوا إلى أورشليم من موطن صخرتهم في بابل قد احتقبوا قصة تتعلق بخلق الدنيا ولكنهم ما لبثوا أن أحدثوا فيها من التعديلات ما يجعلها تلائم أفكارهم (اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٣٨).

(٣) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول: الشرق الأدنى ص ٣٦٨، راجع أيضا أ. و. ف توملين: فلاسفة الشرق ص ١١٧-١١٨ ترجمة عبدالحاميد سليم دار المعارف ١٩٨٠.

منها فقام الكتبة بخلط هذه القصة بأساطير الديانات الوثنية وأضافوا عليها تفصيلات لم تكن موجودة في قصة التوراة الحقيقية.

وعلى أى الاحتمالين فإن كتبة التوراة وخاصة في قصة الخلق قد اطلعوا على نصوص الأديان الوثنية وأخذوا منها بعد أن واءموا بينها وبين تصوراتهم سواء كان لديهم نصوص من توراة موسى أو صحف إبراهيم أو لم يكن لديهم.

جاء في مقدمة سفر التكوين من كتب الشريعة الخمسة طبعة الرهبانية اليسوعية ما يلي:

"لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية، فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية والخاصة بسومر وبابل وطيبة ووأوغاريت، ولا عجب في ذلك عند من يعلم أن البلاد التي أقام فيها إسرائيل كانت منفتحة على المؤثرات الخارجية.

وإلى جانب ذلك، كان شعب الله في تاريخه على صلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى.

ولكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر التكوين وأضافوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة على التقاليد الخاصة بشعبهم، فهم لم يكتفوا بالمحافظة على الإيمان اليهودي، بل أبرزوا أصالته^(١).

(١) الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة ص ٦٦ إصدار الرهبانية اليسوعية نشر دار المشرق بيروت توزيع المكتبة الشرقية بإشراف جميعات الكتاب المقدس في المشرق ١٩٨٦ م.

ويذكر د/ فيليب حتى إن مؤرخى التوراة لم يكتفوا بابتداء مروياتهم بالجد الأكبر للشعب العبرانى (الخليل إبراهيم) وإنما توسعوا فى قصة الإنسان ولخصوها مبتدئين بالخلقة وأخذوا فى ذلك موادهم من مصادر بابلية وأنه لم يصبح هذا الأمر محققا إلا بعد منتصف القرن الماضى حين كشف تفسير الكتابات المسمارية عن وجود ما يقابل قصص الخليفة وغيرها، غير أن هذه القصص - فيما يقول د/ حتى - هذبت وبسطت وصار لها مغزى أخلاقى على يد الكتاب العبرانيين ثم كتبت بشكل جميل حتى أصبحت قسما من تراث البشرية الأدبى وهى لا تزال بشكلها هذا تسلى وتعلم أجيالا من القراء فى جميع البلاد وفى مختلف اللغات^(١).

ويمكن أن نستخرج من قصة الخلق التوراتية ثلاثة عناصر يغلب على ظنى أنها ترجع إلى الأديان الوثنية.

وهذه العناصر هى:

١- تشبيه الإنسان بالله سبحانه.

٢- استراحة الرب فى اليوم السابع.

٣- خلق حواء من ضلع آدم.

أما فيما يتعلق بتشبيه الإنسان بالله سبحانه فإنه قد ورد ذلك فى الرواية الأولى "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا - خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه"^(٢).

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص١٩٢، ويذكر صموئيل هنرى هووك أن معظم المادة الميثولوجية - التى أخذها كتاب عبرانيون عن مصادر فى أرض الرافدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة - كانت تتم إعادة صياغة الأسطورة بطريقة تؤمن خلال المصطلح الرمزي - صورة عن النشاط الإلهية والعلاقة بين الله والإنسان كما يفسرها أبناء إسرائيل (منعطف المخيلة البشرية ص١١٦)، ويقول أيضا "لقد لعب الميثولوجيا دورا هاما فى تطور الدين اليهودى فقد استعيرت الأساطير من أديان البلدان المجاورة واستخدمت من قبل الكتاب العبريين للتعبير فى شكل رمزي عن قناعاتهم بدين الكون. وفوق كل شيء - لتقديم تاريخ شعبهم فى إطار "تاريخ الخلاص" وهو الذى يسجل لهف الله المتطور الذى طالب اليهود بأن يكونوا هدف الخلاص (المصدر السابق ص١٣٧).

(٢) تكوين ١: ٢٦، ٢٧.

يقول الباجي: "كيف يحسن أن يقال "كصورتنا وشبهنا" مع أن الله سبحانه منزّه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها والخالق مغاير للمخلوق ومستغن عنه. فإن قيل المراد خلق إنسان له قدرة على الخير والشر، وإرادة لها يفعل بقدرة ما يريده كما الله سبحانه قدرة وإرادة.

قلت: هذا. إن سلم. فلفظ الصورة لا يدل عليه، لأن لفظ الصورة مدلوله الهيئة والشكل، كما يقول: فلان صورته حسنة، والصورة في الحائط مليحة، واللفظ الدال على هذا أن يقال: صفاته صفاتنا. فلم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهاً للباطل إلى ما يوهمه^(١).

وكما يقول الإمام ابن حزم: "لو لم يقل إلا "كصورتنا" لكان له وجه حسن ومعنى حسن وهو أن يضيف الصورة على الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرود والحسن هذه صورة الله أى تصويره الله والصفة التى انفرد بملكها وخلقها لكن قوله: "كشبهنا" منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولا بد ضرورة.

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه^(٢).

وقد نفى القرآن الكريم المثلية عن الله سبحانه نفياً قاطعاً فقال عز وجل ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))^(٣).

ولذلك فإننى أرجح أن هذا التعبير التوراتى - فى خلق الإنسان وجعله مشابهاً للإله وكصورته - نابع من تأثر اليهود بالتصور الوثنى فى الديانات القديمة وخاصة عند البابليين الذين كانوا يقولون بمشابهة الآلهة بالبشر وتعتبر صفة التشبيه من أبرز الصفات وأهم الخصائص فى الديانة البابلية^(٤).

(١) على التوراة ص ٢٥-٢٦.

(٢) الفصل الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١١٧-١١٨.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) راجع الفصل الثانى من الباب الأول الخاص بدراسة الأديان الوثنية.

يقول الدكتور بحر عبدالمجيد "وثمة تأثير بابلي في تصوير القصة في سفر التكوين بصورة الرب حين يقول ليعمل الإنسان على سورتنا كشبهنا"^(١).

ويذكر الدكتور أحمد سوسة أن هناك تشابها بين المدونات السومرية والبابلية في صفة كون الإنسان خلق على صورة الإله أو الآلهة "فقد عزا السومريون والبابليون إلى آلهتهم صفات البشر جميعا لها عواطفها وميولها مثل البشر وه يتعيش وتأكّل وتتزوج وتسكن في بيوت هي المعابد المشيدة لها وفيها خدمها وطهاها وكهنتها ولكل إله زوج أو زوجات وسراى ومعشوقات وله بنات وأولاد، ومن ظواهر صفة التشبيه أيضا تأليه الملوك العظام في حياتهم وبعد مماتهم"^(٢).

العنصر الثانى: زعمهم استراحة الرب فى اليوم السابع.

وفىما يتعلق بالعنصر الثانى وهو (استراحة الرب فى اليوم السابع كما يزعمون) - فإن سفر التكوين يذكر ما نصه:

"وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا"^(٣).

والنص كما هو معروف هو ختام الرواية الأولى (الكهنوتية) عن الخلق ويفيد أن الرب قد انتهى من عملية الخلق فى ستة أيام، ومادام الرب كان يقوم بعملية الخلق فى ستة أيام متواصلة فلا بد - فى نظرهم - أنه تعب ويحتاج إلى الراحة ولذلك فإنه استراح - فى اليوم السابع ولأنه استراح فى اليوم السابع فإنه بارك هذا اليوم وقدهس. ولعل النص الأصلى للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام لم يكن يشتمل

(١) اليهودية ص ٤٦، راجع أيضا شوقى عبدالحكيم: الفولكلور والأساطير العربية ص ٧٤ - دار ابن خلدون.

(٢) مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٤١٩-٤٢٠، راجع أيضا الفصل الخاص بالديانات من الباب الأول من هذا البحث.

(٣) تكوين ٢: ٢-٣.

على الإشارة إلى اليوم السابع وربما اقتصر على بيان أن الخلق تم في ستة أيام كما ذكر القرآن الكريم دونها تحديد لبداية اليوم ونهايته.

ومما يرجح ذلك أن الرواية اليهودية التي هي أقدم عهدا لا تشير إلى اليوم السابع ولا إلى راحة الرب المزعومة فيه لكن الذي حدث أن الرب حينما فرض عليهم التزام الراحة في يوم السبت كنوع من الاختبار لهم ونهاهم عن العمل فيه^(١).

حاول الكهنة - بعد ذلك أن يثبتوا هذا التشريع وأن يدعموا هذا التقديس ففسروا أيام الخلق الستة على أنها ذات صباح ومساء وكأنها أيام من أيامنا العادية ثم قاسوا تلك الأيام على أيام الأسبوع السبعة، وما كان منهم إلا أن ذكروا أن الله سبحانه وتعالى تعب في الأيام الستة واستراح في اليوم السابع فعلى المؤمنين أن يقتدوا وأن يلتزموا بما فعل.

يتضح ذلك بجلاء من خلال النصوص التي أشارت إلى يوم السبت. يقول الدكتور حسن ظاظا:

"من المواضع التي اختلفت فيها الروايتان الخاصتان بالوصايا العشر^(٢): الموضع الذي تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله نفسه - جل سبحانه - استراح في هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة فهي تقول "اذكر يوم السبت لتقديسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب الهك لا تصنع عملا، أما أنت وابنك وابنتك وعبدك

(١) يقول الله تعالى مخبرا عن اليهود ((وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)) النساء: ١٥٤. ولعل هذا يوحى بأن الله قد حرم عليهم العمل يوم السبت. وينقل ابن كثير قول ابن عباس رضي الله عنه: "أن الله إنما افترش على بنى إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم. يوم الجمعة فخالفوا على السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله به فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره" (تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٠٦) راجع أيضًا تفسير المنار ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) حيث إن الوصايا قد وردت في كل من سفر الخروج والثنية وتكررت فيهما بنفس الألفاظ تقريبا وإن كان السفيران قد اختلفا في حكمة تعطيل العمل يوم السبت (الفكر الديني الإسرائيلي ص ١٩٩).

وأمتك وهيمتك ونزيلك الذى - داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر ولك ما فيها واستراح فى اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقلده^(١).

وفى رواية سفر التثنية يبدو أن الحكمة فى تقديس يوم السبت هى بكل بساطة تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء، ولا يرتبط ذلك هنا بأن الله استراح - فى اليوم السابع بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتححرر من السخرة والعبودية، عندما كان قوم موسى ما يزالون فى مصر عبيدا لفرعون يعملون بأمره ولا يحق لهم أن يستريحوا يوماً واحداً فى الأسبوع^(٢).

وعلى ذلك فإن التعليل الذى اخترعه كاتب سفر الخروج فى أن الله سبحانه استراح فهو قدوة للإنسان^(٣) أخذ به كاتب سفر التكوين حينما عرض لقصة الخلق.

ومن أجل ذلك يذكر موريس بوكاى أن من الواضح أن هذه "الراحة" التى يفترض أن - الله سبحانه قد أخذها بعد أن عمل ستة أيام، هى أسطورة، ولكن لها تعليل، إذ لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتى من النص الكهنوتى كتبه الكهنة أو الكتبة وهم الوريثون الروحانيون لحزقيال البنى النفى ببابل فى القرن السادس ق.م، ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتى الخلق اليهودية والألوهيمية وأعادوا صياغتهما على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التى كتب الأب ديفو عنها قائلاً إن طابعها "التشريعي" كان جوهرياً.

على حين لا يشير النص اليهودى الذى يسبق النص الكهنوتى بعدة قرون على راحة الله الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع، يدخلها الكاتب الكهنوتى فى روايته: إنه يقسم روايته على أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع وهو يضع محور الرواية على

(١) خروج ٢: ٨-١١.

(٢) د/ حسن ظاظا: المفكر الدينى الإسرائيلى ص١٩٩-٢٠٠ راجع سفر التثنية ٥: ١٢-١٥.

(٣) يتضح هذا بشكل أكثر فى رواية الخروج ٣١: ١٢-١٧ فقد ذكر الكاتب أن الرب فى اليوم السابع استراح وتنفس.

راحة السبت التى يعللها أمام المؤمنين مؤكداً على هذا بقوله أن الله هو أول من أحترمها، وابتدأ من هذه الضرورة العلمية انتقاد رواية الخلق بمنطق دينى ظاهر وإن كان هذا بشكل تسمح معطيات العالم بوصفه بالوهم^(١).

فدعوى استراحة الرب فى اليوم السابع بعد أن لحقه التعب هى من اختلاف الكاتب الكهنوتى ومزاعمه ويرد القرآن على هذه الدعوى بقوله تعالى: ((ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب))^(٢).

جاء فى تفاسير الطبرى وابن كثير والدر المنثور عن قتادة قوله فى تفسير هذه الآية أن اليهود - عليهم لعائن الله قالوا: خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوا وتأولوه"^(٣).

وأورد الطبرى والسيوطي^(٤) أن اليهود جاءوا على النبى ص فقالوا يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة فلما أخبرهم قالوا صدقت إن أتممت فعرف النبى ص ما يريدون فغضب فأنزل الله وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون.

ومعنى قوله تعالى: ((وما مسنا من لغوب)) أى من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال تبارك وتعالى فى الآية الأخرى: ((أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير))^(٥) وكما قال عز وجل: ((خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس))^(٦).

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٤٤-٤٥.

(٢) سورة ق: ٣٨.

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٦ ص ١١١-١١٢ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢٩ دار التراث القاهرة الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى المجلد السابع ص ٦٠٩-٦١٠ دار الفكر بيروت.

(٤) المصدرين السابقين.

(٥) الأحقاف: ٣٣.

(٦) غافر: ٥٧ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٢٩.

ويذكر الفخر الرازي أن المراد من هذه الآية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت^(١).

ويرى أن قولهم هذا لتحريف منهم للتوراة ذلك لأن الأحد والاثنين أزمان متميز بعضها عن بعض، فلو كان خلق السموات ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام آخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة^(٢).

ويقول الشيخ الباجي "كيف يحسن أن يقال" واستراح في اليوم السابع فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب، فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول شيء كن فيكون فذلك في حقه ممتنع^(٣).

وخلاصة الأمر أن زعم كاتب الرواية الأولى بأن الرب قد استراح لا يتفق مع تنزيه الله وجلاله، وبذلك فإن من المقطوع به أن هذا مما تأثر به الديانات القديمة من منطلق التصورات - الوثنية للإله حيث يروونه كالبشر يأكل ويشرب، يستريح كان منشورا أماما يأخذ منه ما يروقه وما يتفق مع ميوله الوثنية، ولذلك فإن موريس بوكاي أنهى كما قلت إلى أن هذه الاستراحة المزعومة أسطورة.

ويذكر الدكتور محمد بحر عبدالجيد نقلا عن بعض العلماء أن تنظيم مراحل الخلق بما فيه الإشارة إلى استراحة الرب في اليوم السابع يرجع إلى تأثير بابلي^(٤). وهو الأمر الذي لا نستبعده في هذا الشأن.

العنصر الثالث: قولهم إن حواء قد خلقت من ضلع آدم:

وأما فيما يتعلق بالعنصر الثالث وهو خلق حواء من ضلع آدم فإنه قد سبق أن تبين لنا أن هذه الفكرة موجودة في الرواية الثانية للخلق وكيف أن الله - سبحانه

(١) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) على التوراة ص ٢٧-٢٨.

(٤) د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص ٤٦.

حسب التصوير اليهودي - فقد لاحظ أن آدم وحيد فريد يفتقر إلى امرأة توفر له أنسه وتحفظ عليه جنسه فعقد العزم على أن يطرفه بما يشتهي غير أنه ولا ندرى لماذا لم يخلق المرأة من العدم الأصلي الذي - خلق منه الكون أن التراب الذي خلق آدم بل أوقع على الرجل سباتا وانتزع ضلعا من ضلوعه صاغ منه امرأة فارهة زفها إليه^(١).

ويرى الباحثون أن فكرة خلق حواء من ضلع الرجل قد انحدرت إلينا من التراث السومري - اللاسامي وظهرت في التراث السامي عند الورثة البابليين والحيثيين وانتقلت إلى الكنعانيين الفينيقيين متبدية في أسطورة الإله "موت". فكان أن نقلها العبريون إلى قصة الخلق في سفر التكوين وكذلك طوف بها الكنعانيون وطلعتهم البحارة الفينيقيون إلى كثير من الحضارات^(٢).

يذكر صمويل كريمر أن الدب السومري قد ترك أثره العميق في العبرانيين وأن من أكثر الأمور المثيرة في استعادة الآداب الرفيعة السومرية إنما هي في تقصى أوجه الشبه - والمطابقة بين الأفكار والبواعث السومرية والتوراتية^(٣).

ويضرب كريمر مثلا على أوجه الشبه والمضاهاة بين الآداب السومرية وآداب العبرانيين بالأسطورة السومرية المعنونة "انكى ونخرساج"^(٤).

(١) راجع النص الوارد عن ذلك في الرواية الثانية للخلق وتعليق جيمس فريزر عليها في هذا الفصل ص ٤٩٣ راجع أيضا عصام الدين كفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٥٣.

(٢) شوقي عبدالحكيم: الفولكلور والأساطير العربية ص ٧٣ دار ابن خلدون للطبع والنشر.

(٣) والشيء المؤكد بهذا الصدد - كما يقول كريمر - أن السومريين ما كان بإمكانهم أن يؤثروا في العبرانيين رأسا وبدون واسطة لأنهم (أي السومريين) كانوا قد زالوا من الوجود قبل أن يظهر العبرانيون في الوجود، ولكن لا يوجد أدنى ريب في أن السومريين قد أثروا تأثيرا عميقا في الكنعانيين الذي سبقوا استيطان البلاد التي عرفت بعدئذ باسم "فلسطين" وأثروا أيضا في جيرانهم كالأشوريين والبابليين والخوريين والآراميين. (من ألواح سومر ص ٢٤٠).

(٤) يذكر كريمر أن نص هذه الأسطورة قد نشر عام ١٩٥١ ولكن محتوياته بقيت غير واضحة إلى عام ١٩٥٤ حين نشرت نشرة متصلة عن النص وهذه القصيدة كانت مؤلفة من ٢٧ سطرا منقوشة في لوح مؤلف من ستة حقول وهو محفوظ الآن في متحف جامعة بنسلفانيا ويوجد نص صغير مكرر للنص الأول في متحف "اللوهر" سبق أن تعرف عليه إدوارد ييرا صاحب كتاب "كتبوا على الطين" (من ألواح سومر ص ٢٤٠-٢٤١) راجع نص هذه الأسطورة: المصدر السابق ص ٢٤١-٢٤٢.

ولعل أهم نتيجة توصل إليها في تحليله المقارن - كما يقول - ذلك التفسير الذى - تقدمه لنا القصيدة السومرية لتلك الفكرة التوراتية التى تعد من أشد الأمور المحيرة فى قصة الخلق الواردة فى التوراة ويعنى بذلك العبارة المشهورة التى تصف خلق حواء "أم جميع البشر" من "ضلع آدم".

ويتساءل كريمر: فلماذا خلقت من الضلع؟ وما الذى دفع القصاص العبرانى أن يختار الضلع دون سائر أعضاء الجسم الأخرى ليخلق منه المرأة التى عنى اسمها "حواء" بحسب تفسير التوراة له "تلك التى تحى أى تسبب الحياة".

ويجيب بأنه سبب ذلك يكون واضحا إذا افترضنا أن أساسا سومريا كالذى تقدمه لنا قصيدة "دلمون" هو الذى استندت إليه قصة الفردوس فى التوراة.

ففى هذه القصيدة السومرية كان أحد أعطاء الإله "إنكى" الذى أصابه المرض هو "الضلع" والكلمة السومرية للضلع هى "تي" ودعيت للإلهة التى خلقت من أجل أن تشفى "ضلع" أنكى باسم (نن - تى) أى "سيدة الضلع" ولكن الكلمة السومرية "تي" تعنى أيضا "أحيا" أو "جعله يحيا".

وعلى هذا فيعنى اسم الإله "نن - تي" السيدة التى تحى، أو "سيدة - الضلع" وهكذا صارت "سيدة الضلع" فى الأدب السومرى تعنى أو تطابق بطريق التورية والتلاعب بالألفاظ أيضا "السيدة التى تحيى" فكانت هذه التورية التى تعد أقدم تورية أدبية من نوعها قد نقلت وخلدت فى قصة الفردوس التوراتية^(١).

هذا وقد ذكر جيمس فريزر أن من الروايات المألوفة فى تاهيتى أن الإله "تاروا" الإله الأكبر نادى الرجل باسمه فلما جاء إليه سلط عليه النوم فلما استغرق فى نومه

(١) ويذكر كريمر أنه توصل إلى هذا الأساس المحتمل لتفسير قصة "الضلع" التوراتية بوجه مستقل فى عام ١٩٥٤. ولكن الفكرة نفسها سبق أن اهتمت إليها قبل ثلاثين عاما الباحث المسماى الشهير "الأب شاييل" على ما أخبره المستشرق الأمريكى "وليم أولبرايت" الذى أشرف على نشر كتابه، وهذا مما يعزز ذلك الافتراض ويقربه من الحقيقة (راجع من ألواح سومر ص ٢٤٤-٢٤٥، أساطير سومر: ضمن كتاب أساطير العالم القديم ص ٨٣، صموئيل هنرى هوك: منعطف المخيلة البشرية ص ٩٧).

انتزع منه عظمة مع عظامه وصنع منها امرأة قدمها إلى الرجل يتخذ منها زوجة له ومن هذين الزوجين تناسلت البشرية فيها بعد".

وهذه الحكاية المأثورة بعينها قد دونت في مناطق أخرى من بوليزيا على جانب تدوينها في تاهيتي فأهالى فاكؤموا أو جزيرة قادوئيش يقولون: أن الرجل الأول خلق من حجر، وأنه قرر بعد مرور فترة من الزمن أن يخلق امرأة، فجمع ترابا وشكله في صورة - امرأة، ثم انتزع ضلعا من جنبه الأيسر وزج به في تثال المرأة، فدبت فيها الحياة تواء، وأطلق عليها اسم "إيفي" أى الضلع واتخذ منها زوجة له ومنهما معا تناسل الجنس البشرى فيما بعد.

وقد روى كذلك أن الماء وريبين يعتقدون أن المرأة الأولى قد خلقت من ضلع الرجل الأول.

ويرى فريزر أن انتشار هذه الحكاية على هذا النحو في بولينزيا يثير الشك فيما إذا كانت كما اعتقده "البعض" مجرد تكرار لحكاية الكتاب المقدس كما سمعها الأهالى عن الأوربيين أم لا.

وينتهى إلى أن قصة خلق أول امرأة من ضلع أول رجل تصادفنا في أماكن أخرى في شكل روايات شديدة الشبه بحكاية الكتاب المقدس، إلى درجة أننا لا يمكن أن نعدّها مستقلة عنها.

ويذكر أننا لا نستطيع أن نشك في أن مثل هذه الأفكار الساذجة كانت مألوفة لدى - البابليين والمصريين القدماء والإغريق والعبريين ثم انتقلت إلى الشعوب المتحضرة القديمة عن طريق أجدادهم الهمجيين أو المتبربرين ومثل هذه الحكايات يرويها الهمجيون - الذى يعيشون اليوم"^(١).

والواقع أنه من الممكن ترجيح الرأى الذى يقول بأن اليهود قد استقوا هذه الفكرة (خلق حواء من ضلع آدم) من الأديان الوثنية وكانت هذه الفكرة نابعة من

(١) راجع جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ص ٨٥-٨٨.

نظرة الشعوب الوثنية إلى المرأة في احتقارها والتقليل من شأنها - وتمثل اليهود تلك النظرة في ذكرهم أن المرأة هي السبب في سقوط آدم وأنها هي التي أكلت من الشجرة بإغواء الحية كما سنرى ذلك في قصة الغواية.

يذكر الأستاذ سيد قطب أنها نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجة ويستريح إليها.

وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان، ووظيفة الزوجية في تكوينه.

وهي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، يوم أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء الإنساني، وتعتبرها لعنة ونجسا وفخا للغواية تحذر منها تحذيرا شديداً، ويوم أن كانت الوثنيات لا تزال - تعدها من سقط المتاع أو على الأكثر خادما أدنى مرتبة من الرجل ولا حساب له في ذاته على الإطلاق^(١).

ومما يشجعني على ترجيح هذا الرأي أن القرآن الكريم لم ينص صراحة في آياته على أن حواء خلقت من ضلع آدم وكذلك السنة النبوية الشريفة فإن ما ورد فيها من أحاديث أشارت إلى أن حواء خلقت من ضلع دون أن تنص على أنها من ضلع آدم.

يقول الله تعالى في أول سورة النساء: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء))^(٢).

يقول الفخر الرازي في تفسير ((وخلق منها زوجها)): المراد من هذا الزوج هو حواء وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان:

القول الأول: وهو الذي عليه الأكثرون: أنه لما خلق الله آدم ألفى عليه النوم ثم

(١) في ظلال القرآن ج٩ ص١٤١١ دار الشروق الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.

(٢) النساء: ١.

خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه^(١).

والحقيقة أن أكثر المفسرين^(٢) يحكون بهذا التفسير قصة التوراة في خلق الإنسان وأنه لولا هذه الرواية التوراتية ما خطر ذلك على بال قارئ القرآن فكل الروايات التي جاءت عن خلق حواء من ضلع آدم مشوبة بالإسرائيليات لا يعتمد عليها^(٣).

القول الثاني: وهو اختيار أبى مسلم الأصفهاني: أن المراد من قوله ((وخلق منها زوجها)) أى من جنسها وهو كقوله تعالى ((والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا))^(٤) وكقوله ((إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم))^(٥)، وقوله ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم))^(٦).

ويعلق الإمام الرازى على هذا القول الثاني بأن هناك من قوى رأى الأول عليه

(١) التفسير الكبير ج٩ ص١٦١، ويذكر الرازى أن هؤلاء الأكثرين قد احتجوا على هذا القول بقول النبي ص أن المرأة خلقت من ضلع فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمعت بها "والواقع أن - المفسرين قد اعتمدوا في هذا التفسير على رواية التوراة وأما فيما يتعلق بالحديث المشار إليه فإن المتبادر فيه الذى اعتمده الشراح في تفسيره أن المراد بخلقها منه أنها ذات - اعوجاج وشذوذ تخالف به الرجل كما يشير عليه ما رواه ابن حبان عن أبى هريرة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فهو على حد قوله تعالى: ((خلق الإنسان من عجل)) الأنبياء: ٣٧ - راجع تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٤٨، طبعة عيسى الحلبي الشيخ محمد رشيد رضا: تفسير المنار ج٩، ص٤٣٢.

(٢) من أمثال: الطبري راجع تفسيره ج٧ ص٥١٥-٥١٦، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٤٨، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص١-٢.

(٣) راجع تفسير المنار مجلد ٢ ج٤ ص٢٧٠، د/ محمد البهي: تفسير سورة النساء ص١٢ شكر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠ سيد قطب: الظلال ج٨ ص١٢٦.

(٤) النحل: ٧٢.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

(٦) التوبة: ١٢٨. وقد أورد الشيخ رشيد رضا هذه الآيات وأمثالها وعلق عليها فذكر أنه لا فرق بين عبارة الآية المذكورة في أول سورة النساء وعبارة هذه الآيات فالمعنى في الجميع واحد، ومن ثبت عنده أن حواء خلقت من ضلع آدم فهو غير ملجأ إلى إلصاق ذلك بالآية وجعله تفسيرا لها وإخراجها عن أسلوب أمثالها من الآيات راجع تفسير المنار ج٤ ص٣٣٠ نشر دار المعرفة بيروت.

لكى يصح قوله تعالى ((خلقكم من نفس واحدة)) إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس - مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة.

ويدافع الرازى عن قول أبى مسلم ويحيب على هذا الاعتراض بأن كلمة "من" لا ابتداء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال خلقكم من نفس واحدة، وأيضا فلما ثبت أنه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً أيضاً على خلق حواء من التراب وإذا كان الأمر كذلك فأى فائدة فى خلقها من ضلع آدم^(١).

وقد فصل الإمام الرازى الحديث فى هذا الموضوع عند تفسيره للآية الأخرى المذكورة فى سورة الأعراف فقال فى قوله تعالى ((خلق منها زوجها ليسكن إليها)) إنه تعالى لما كان قادرا على أن يخلق آدم ابتداء فما الذى دلنا على أن نقول إنه تعالى خلق حواء من جزء من أجزاء آدم؟

ولم لا نقول: إنه تعالى خلق حواء أيضا ابتداء؟

وأیضا الذى يقدر على خلق إنسان من عظم واحد فلم لا يقدر على خلقه ابتداء وأيضا الذى يقال: إن عدد أضلاع الجانب الأيسر أنقص من عدد أضلاع الجانب الأيمن فيه مؤاخذه تنبئ عن خلاف الحس والتشريح، وانتهى الإمام الرازى بعد كلام طويل إلى أن المراد من هذه الآية أنه سبحانه خلق من النوع الإنسانى زوجة آدم، والمقصود التنبيه على أنه تعالى جعل زوج آدم إنسانا مثله^(٢).

وجاء فى تفسير المنار أن قوله تعالى: ((وجعل منها زوجها ليسكن إليها)). معناه جعل لها زوجا من جنسها فكانا زوجين ذكرا وأنثى، كما قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)) كما أنه خلق من كل جنس وكل نوع من الأحياء زوجين اثنين.

(١) التفسير الكبير ج٩ ص١٦١.

(٢) التفسير الكبير ج٥ ص٩٢ الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م راجع أيضا البحر المحیط لأبى حیان ج٣ ص١٥٤ دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

قال عز وجل: ((ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)).

وأنا نشاهد أن كل خلية من الخلايا التي ينمى بها الجسم الحى تنطوى على نويين ذكر وأنثى يقترنان فيولد بينهما خلية أخرى، وهلم جرا^(١).

ولذلك فإن الأستاذ سيد قطب يذكر أن الذى يمكن الجزم به هو فحسب أن الله خلق لآدم زوجا من جنسه فصارا زوجين اثنين، والسنة التى نعلمها عن كل خلق الله هى الزوجية، فهى سنة جارية وهى قاعدة فى كل خلق الله أصلية، إذا سرنا مع هذه السنة فإن لنا أن نرجح أن خلق حواء تم على نفس الطريقة التى تم بها خلق آدم^(٢).

ويذكر الدكتور محمد البهى أن الأخذ بتفسير الأكثرين ربما يخل بهدف سورة النساء فالسورة جاءت فى المقام الأول لتوضح أن المرأة ينبغى أن لا تستضعف وبالتالي ينبغى أن لا يتعدى عليها بسلب حقوقها إذ أنها مساوية للذكر - وهو الذى يتعدى عليها ويستضعفها - فى الاعتبار البشرى.

فالقاعدة الأساسية التى تقيم عليها السورة ما يطلب فيها من أمر ونهى وبالأخص فيما يتعلق بوضع المرأة فى الأسرة والحياة الاجتماعية هى قاعدة المساواة فى الاعتبار البشرى وهذه القاعدة تستبعتها رواية التوراة فى خلق الأنثى من ضلع آدم^(٣).

وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى ((وخلق منها زوجها)) يظهر بطريق الاستخدام بحمل النفس على الجنس وإعادة المضير عليه بمعنى أحد الزوجين أن يجعل العطف على محذوف يناسب ذلك كما قال الجمهور أى وحد تلك الحقيقة أو لا ثم خلق لها زوجها من جنسها^(٤).

(١) الشيخ رشيد رضا تفسير المنار ج٩ ص٥١٧ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

(٢) فى ظلال القرآن ج٨ ص١٢٦٨.

(٣) د/ محمد البهى: تفسير سورة النساء ص١٢.

(٤) تفسير المنار ج٤ ص٢٧١.

فالمراد بالنفس هنا الحقيقية أو الطبيعة البشرية، ومن الطبيعة البشرية الواحدة التى لها خصائص الإنسان خلق الله زوجين: الذكر والأنثى فالأنثى مساوية فى الاعتبار البشرى للذكر والتفرقة بينهما بالذكورة والأنوثة لا توجب التفرقة فى الاعتبار لكل منهما^(١).

وتعبر آية أخرى فى سورة فاطر عن هذه المساواة بعبارة واضحة يقول الله تعالى: ((والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه))^(٢).

فالأية تذكر أن الأصل الأول فى خلق الإنسان ذكرا وأنثى هو التراب ثم النطفة بعده.

ومن هذه النطفة كانت الذكورة والأنوثة معا وبذلك كان الأصل أو الطبيعة الأولى للذكر والأنثى معا من الإنسان واحدة والنطفة ليست نطفة الرجل وحده، وإنما هى نطفة مختلطة ساهم فيها الذكر والأنثى على السواء: ((إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج))^(٣)، وهكذا دور الأنثى ودور الذكر سواء^(٤).

هذا بالإضافة إلى أن الله تعالى خاطب الناس فى عصر التنزيل بمثل ما حكاه لهم فى هذه الآية^(٥) عن نشأة جنسهم فى كونه تعالى خلق لهم أزواجا من أنفسهم فقال ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة))^(٦) - فهذا المعنى عام لا خاص بالإنسان الأول^(٧).

(١) تفسير سورة النساء للدكتور البهى ص ١١.

(٢) فاطر: ١١.

(٣) الإنسان: ٢.

(٤) د/ البهى: تفسير سورة النساء ص ١١-١٢.

(٥) المقصود بالآية هنا آية افتتاح سورة النساء أو الآية فى سورة الأعراف وهى قول الله تعالى: ((هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)) الأعراف: ١٨٩.

(٦) الروم: ٢١.

(٧) الشيخ رشيد رضا: تفسير المنار ج ٩ ص ٤٣٢.

فإن معنى هذه الآية الأخيرة - كما يقول الشيخ محمد عبده - أن الله سبحانه خلق أزواجاً من جنسنا ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر^(١).

قصة الخلق في القرآن

وأخيراً فإنه لا بد من الإشارة سريعاً إلى قصة الخلق كما عرضها القرآن الكريم من منطلق هيمنته على ما لدى اليهود حيث لديه القول الفصل من لدن حكيم خبير.

والملاحظ أن القرآن الكريم يختلف عن العهد القديم من حيث إنه لا يقدم رواية كاملة عن الخلق فبدلاً من الرواية الواحدة المستمرة نجد في أماكن متعددة من القرآن فقرات تذكر بعض جوانب الخلق وهي تشتمل على كثير أو قليل من التفصيلات حول أحداث الخلق.

ولكى تكون هناك فكرة واضحة عن الطريقة التي سبقت بها هذه الأحداث، لا بد من تجميع الفقرات المتناثرة في عدد هام من السور القرآنية^(٢).

وهناك أيضاً بينها اختلافات جلية فعلى سبيل المثال: تذكر رواية التوراة اليهودية دون أى غموض تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم الراحة وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع وسبق أن ذكرت أن هذه الطريقة في السرد التي استخدمها كهنة القرن السادس ق.م تستجيب لثبات الحضر على ممارسة السبت وأن كلمة يوم كما يفهم من التوراة اليهودية تعنى المسافة الزمنية بين إشارتين متواليتين للشمس أو غروبين متواليتين وذلك بالنسبة لسكان الأرض واليوم وقد تحدد بهذا المعنى يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها^(٣).

(١) راجع تفسير المنار ج ١ ص ٢٨٠ نشر دار المعرفة.

(٢) قام موريس بوكاي بتجميع الآيات الخاصة بالخلق في القرآن الكريم ودرسها دراسة تفصيلية. راجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٥٧-٢٣٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨ راجع أيضاً النقد الموجه إلى روايتي الخلق في تورات اليهود في بداية هذا الفصل.

وواضح تماما - كما يقول موريس بوكاي - أن نتحدث عن "الأيام" بهذا المعنى الذى تحدد على حين أن العملية المركبة التى ستؤدى إلى ظهورها، أى وجود الأرض ودورانها لم تكن قد انشئت بعد عند أولى مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة^(١).

أما القرآن الكريم فقد ذكر فعلا أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام^(٢)، لكن لا يفهم من ذلك ضرورة أن تكون أياما كأيامنا ذات صباح ومساء كما عرض سفر التكوين، وخاصة أن الله سبحانه يبين لنا أن اليوم عنده كألف سنة مما يحسب البشر ((وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون))^(٣).

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله سبحانه قد خلق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك فى ستة أيام كما أخبر بذلك فى غير ما آية من القرآن.

واختلفوا فى هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ويروى ذلك فى رواية الضحاك عن ابن عباس^(٤).

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١٥٨ وسوف نبين بمشيئة الله فى بحث مستقل وشامل مسألة هذه الأيام الست بين التوراة والقرآن الكريم والعلم الحديث.

(٢) يقول الله تعالى فى سورة السجدة: ((الله الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش)) السجدة: ٤، وهناك آيات أخرى كثيرة تشير إلى ذلك.

(٣) الحج: ٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٢٠، ويذكر الشيخ رشيد رضا أن كل ما روى فى تحديد أيام الخلق بأيام الأسبوع عن الأخبار والآثار مأخوذة من الإسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع، وأما الحديث الذى رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة والذى يبين أن الخلق بدأ يوم السبت وانتهى يوم الجمعة وهو أقواها فهو مردود بمخالفة مثنه لنص كتاب الله (تفسير المنار ج ٨ ص ٤٤٩).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الحديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخارى وغيره.

(راجع تفصيل ذلك فى مجموع الفتاوى ج ١٧ ص ٢٣٥-٢٣٧).

وجاء فى تفسير ابن كثير أن هذا الحديث قد رواه مسلم فى صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال فى ستة أيام ولهذا تكلم البخارى وغير واحد من الحفاظ فى هذا الحديث وجعلوه من رواية أبى هريرة عن كعب الأخبار ليس مرفوعا (ج ٢ ص ٢٢٠) ويذكر الألوسى أن هذا الحديث مخالف للقرآن فهو غير صحيح وإن رواه مسلم (روح المعانى ج ٨ ص ١٣٣).

فلا يعقل أن تكون الأيام الستة من أيام أرضنا، التي يحد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا، فإن هذه الأيام إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض فكيف يكون أصل خلقها في أيام منها^(١).

يذكر الإمام ابن تيمية أن الله سبحانه خلق الليل والنهار تبعاً للسموات والأرض فإن الله إذا أطلع الشمس حصل النهار، وإذا غابت حصل الليل، فالنهار بظهورها والليل بغروبها^(٢).

فمن الممكن جداً أن تفسر الستة أيام على أنها ست مراحل أو ست فترات.

وقد نبه إلى ذلك الإمام الفخر الرازي فقال: (في ستة أيام) إشارة إلى ستة أطوار والذي يدل عليه ويقرره هو أن المراد من الأيام لا يمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة لأن اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب، وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت^(٣).

وبناء على ذلك من حقنا أن نفهم فيم يتعلق بخلق العالم المراد من قول الله تعالى أن الأيام فترات زمنية طويلة رقمها بالعدد "٦" ولا شك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلى تشكل العالم هو ست مراحل ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جداً تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها وتصبح شيئاً تافهاً^(٤).

هذا ومن المؤكد أن ما جاء في القرآن الكريم عن الخلق لا يوجد بينه تعارض على حين ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك اليوم قد أعطى عن هذه

(١) تفسير المنار ج ٨ ص ٤٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٥٩٧ جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وولده محمد طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

(٣) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ١٨٣-١٨٤.

(٤) دراسة الكتب المقدسة ص ١٦٠.

الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية، وكيف لا ندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق في التوراة قد كتبت بأقلام كهنة عصر النفى إلى بابل، وقد كان لهؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية التي أشرت إليها آنفا فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية^(١).

وإذا كانت رواية التوراة اليهودية قد أضافت إلى الرواية الأصلية عدة زخارف خيالية وبعض تفصيلات وهمية فإنه لا بد من التأكيد على الاختلاف العميق لتصريحات القرآن في هذا الموضوع إذ أنها خالية تماما من التفاصيل الوهمية المصاحبة للمعتقدات الموجودة في قصص الخلق البابلية واليهودية بل إن تصريحات القرآن على العكس مطبوعة بالإيجاز في القول وبالاتفاق مع المعطيات الحديثة للعلم^(٢).

فإذا كانت هذه هي الحقائق التي جاء بها القرآن، ولأنه قد صرح بها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فلا يمكن مطلقا إعطاء هذه الحقائق تفسيراً يشكك أدنى شك في مصدرها من الوحي الإلهي.

ومن الجدير بالذكر أن موريس بوكاي قد ذكر هذا الكلام في كتابه الأنف ذكره والذي ظهرت طبعته الأصلية الأولى باللغة الفرنسية سنة ١٩٧٦م ثم ينشر بعد ذلك بالإنجليزية في سنة ١٩٧٨م، وصدر في الطبعتين بعنوان "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم".

ثم توسع في دراسته لهذا الموضوع في كتاب لاحق بعنوان "ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة"^(٣).

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٧٢، يذكر موريس بوكاي أن هذا الاختلاف بين رواية التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أمام الاتهامات وكلها عفوية - التي اتهم بها سيدنا محمد ص منذ بدايات الإسلام والتي تقول بأن محمداً ص قد نقل روايات التوراة فيما يتعلق بموضوع الخلق فإن الاتهام لا يتمتع بأى أساس، كيف يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرنا أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر وذلك باستبعاد أخطاء علمية وبالتصريح وحده بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا، ويرى أن هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) المصدر السابق ص١٧٣.

(٣) ترجمة ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ.

أكد فيه على ما توصل إليه من قبل بشأن القرآن الكريم، وانتهى إلى أنه بينما يختلف مفهوم خلق العالم في القرآن الكريم عن الأفكار التي وردت في التوراة، إلا أن هذا المفهوم يتفق تمامًا مع النظريات العامة الحديثة عن تكوين الكون ونشأته، وأن هناك بسطًا للقضايا بما يتفق تمامًا مع الآراء الحديثة بشأن حركات الأجرام السماوية وتطورها، وأن القرآن الكريم يتميز بمعالم أصيلة تميزه عن التوراة حيث إنه يهدف إلى إيضاح التأكيدات المتكررة للقدرة الإلهية، ويقدم لنا وصفًا تفصيليًا عن طريقة تطور الظواهر الطبيعية وأسبابها وآثارها، وفيما يتعلق بأصل الإنسان ونشأته فإنه يذكر أن ما جاء به القرآن الكريم بهذا الشأن يثير دهشة كثير من الناس لا ريب، فالتفصيلات التي أوردتها التوراة في وصف الخلق - وهي غير مقبولة عمليًا - لا وجود لها في القرآن، وإنما هو يحتوى - حقًا - على آيات بينات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل ويستحيل تفسير وجود هذه الآيات البينات بالمنطق البشري - إذا وضعنا في اعتبارنا مستوى المعارف التي كانت سائدة وقت نزول القرآن^(١).

(١) راجع المصدر السابق ص ٢٠-٢١ / ١٧٩-١٨٠ / ١٨٥.

المبحث الثانى

مظاهر التأثر فى قصة الغواية أو "قصة آدم وحواء" ^(١)

لقد تبين لنا أن الرواية الثانية للخلق فى سفر التكوين تذكر أن الرب بعد أن جبل آدم ترابا من الأرض قام بغرس جنة فى عدن شرقا وأسكنه فيها، وأنه أنبت من الأرض الأشجار الشهية للنظر والجيدة للأكل ووضع بجانب الأشجار فى الجنة شجرتين: شجرة الحياة فى وسطها وشجرة معرفة الخير والشر.

ورأينا كيف سمح الرب لآدم أن يأكل من كل الأشجار وحذره من أن يأكل من الشجرة الأخيرة وتوعده بالموت إن فعل ذلك.

وقد انتهت هذه الرواية للخلق بمسألة خلق حواء من ضلع آدم وبأنهما كانا يعيشان حياتهما فى الجنة فى سعادة وهناء ^(٢).

ويذكر فريزر أن الكاتب اليهودى قد صور عن طريق إلقاء قليل من الضوء - ولكن بريشة فنان ماهر - الحياة السعيدة التى عاشها الأبوان الأولان فى جنة السعادة التى خلقها الرب لهما ليسكنها فيها، هناك نمت فى وفرة كل الأشجار التى تعطى الثمار الطيبة وتسعد العين بمرآها، وهناك عاشت صنوف الحيوان فى وئام مع الإنسان ومع بعضها بعضا، وهناك لم يكن الرجل والمرأة يعرفان الخجل، لأنهما لم يكونا يعرفان العيب فقد كان هذا عصر البراءة ^(٣).

(١) لقد أثرت أن أسميها قصة الغواية أو قصة آدم وحواء خلافا لما اشتهر من أنها قصة السقوط وإن كان هذا التعبير سيرد على السنة الباحثين كما سنرى.

(٢) راجع نص الرواية الثانية للخلق فى سفر التكوين ٢: ٤-٢٥.

(٣) الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) الجزء الأول ص ١٠٥ ترجمة د/ نبيلة إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٨٣.

ولكن عصر البراءة هذا لم يستمر كثيرًا وهذه الحياة السعيدة لم تدم طويلًا، إذ سرعان ما غشى الغمام ضوء الشمس، ويتنقل كاتب سفر التكوين فجأة من قصة خلق حواء وتقديمها لآدم ليحكى لنا قصة سقطوهما^(١) الخزينة وفقدانها للبراءة، وطردهما من جنة عدن، وما قدر لهما هما ونسلهما من بعد من العمل والحزن والموت، ويصور جيمس فريزر ذلك فيقول:

"ففى وسط الجنة نمت شجرة المعرفة، معرفة الخير والشر، التى حرم الرب على آدم أن يأكل من فاكهتها قائلا: "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"^(٢).

ولكن الحية كانت ماهرة، كما كانت المرأة ضعيفة ومن السهل أن يغربها، فذهبت الحية على حواء وأغرته أن تأكل من الثمار المشؤمة، وقدمت حواء بدورها الثمار لزوجها فأكلها كذلك، وما كادا يتذوقان الثمار حتى تفتحت عيونها على الحقيقة وأدركا أنها عريانان، فسترا عورتيهما، وقد ملأهما الخزي والارتباك، بغطاء من أوراق التين، وفي هذه اللحظة ولى عصر البراءة إلى غير رجعة.

وبعد أن خفت وقدة حر الظهيرة، وانتشرت الظلال فى ربوع الجنة، أخذ الرب يتمشى كما كانت عادته (!!))، وفى ساعة العصر الرطبة^(٣)، وسمع الرجل والمرأة وقع خطواته (!!)) وربما سمعا كذلك حفيف الأوراق وهى تتساقط تحت قدميه (!!)) (إذا كان يمكن لأوراق الشجر فى الجنة أن تتساقط) فاختبأ بين الأشجار، ولما علم من الزوجين الخجولين أنها عصيا أمره وأكلا من شجرة المعرفة ثارت ثورة غضبه،

(١) المقصود بسقوطها أى وقوعها فى الخطيئة وتعرف بقصة السقوط فى الاصطلاح المسيحى ويبدو أن هذا المصطلح لم يكن قد أطلق فى اليهودية قبل أن تبلور عقيدة الخلاص المسيحية وتعتمد على خطيئة آدم.

(٢) تكوين ٢: ١٧.

(٣) هذا الوصف استمده جيمس فريزر من تعبير سفر التكوين نفسه فقد ورد فى النسخة الكاثوليكية "فسمعا صوت الرب الإله وهو متمشى فى الجنة عند نسيم النهار" تكوين ٣: ٨، وفى النسخة البروتستانتية "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار" تكوين ٣: ٨.

ولعن الحية، وحكم عليهما بأن تزحف على بطنها وأن تأكل التراب، وأن تكون عدو الإنسان على الأبد، ولعن الأرض وقضى عليها أن تنبت الشوك والحسك، ولعن المرأة وحكم عليها أن تلد أولادها في ألم وأن تكون خاضعة لزوجها، ولعن الرجل وقضى عليه، أن يستخرج خبز يومه من الأرض بعرق جبينه، وأن يعود في نهاية حياته إلى التراب كما خلق من التراب.

وخفت ثورة غضب الرب!! بعد أن نطق بهذه اللعنات المتعددة (!!)، ومع ذلك فإن الرب الغاضب، بل الرؤوف بحق، أشفق على المذنبين إلى حد ما وصنع لهما رداءين من الجلد، ليرتدياهما بدلا من الغلالات المصنوعة من ورق التين.

أما آدم وحواء فقد انسحبا إلى الوراء من خلال الأشجار في رداءهما الجديدين والخزى يشيع في وجهيهما، في حين كانت الشمس تختفى شيئا فشيئا جهة الغرب والظلال تتراكم في الجنة المفقودة^(١).

هكذا بكل ما في هذه القصة من تصور شنيع لمقام الربوبية جل وعلا علواً كبيراً. هذا هو ملخص قصة الغواية أو السقوط في التصور اليهودي ويمكن لنا أن نناقشها فقرة فقرة كما وردت في سفر التكوين:

الفقرة الأولى:

"وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها

(١) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم > ١ ص ١٠٥-١٠٦، راجع أيضا تكوين ٣: ١-٢٤، عصام الدين حفني ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٥-١٦٤.

فأكل، فانفتحت أعينها وعلم أنها عريانة، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر"^(١).

ولعلنا لاحظنا من خلال عرض ملخص القصة ومن خلال نص الفقرة الدور الكبير والرئيسي الذي لعبته الحية في إغواء حواء بالأكل من الشجرة فنريد أن نعرف ما هي الحية في التصوير اليهودي أو كما وردت في أسفار العهد القديم؟.

يذكر صاحب القاموس أن الحية هي حيوان يزحف على بطنه^(٢) لها رأس وذنب^(٣) لكن ليس لها أطراف، وتسمى اسما شاملا في العبرية نحاش^(٤) وإذ تتلوى في سيرها يكون فمها معرضا للاحتكاك بالتراب الذي تلحسه^(٥) ولدغة بعض أنواعها تصب سما مميتا في الجرح^(٦) وبعضها يمكن أن يرقى^(٧) وهي موجودة في البرية وفي المناطق المأهولة وعلى الطرق وفي السياجات وعلى الصخور وفي الجدران^(٨).

والحيات المحرقة التي لدغت بنى إسرائيل في البرية وسببت لهم الموت كانت نوعا من الحيات الموجودة في الصحراء العربية وفي غيرها تحدث لدغته ألما ناريا محرقا من الالتهاب والعطش^(٩).

وأما حية التجربة المذكورة في قصة الإغواء فكانت - كما ورد في القاموس - كحية عادية ولكنها كانت تفوق وحوش البرية في المكر والدهاء، وبعدما تورطت في تجربة الإنسان لعنت بين الوحوش^(١٠).

(١) تكوين ٣: ٧-١.

(٢) تكوين ٣: ١، ١٤.

(٣) تكوين ٣: ١٥، خروج ٤: ٤.

(٤) تكوين ٣: ١٣ عدد ٢١: ٩.

(٥) ميخا ٧: ١٧ وقارن تكوين ٣: ١٤.

(٦) عدد ٢١: ٦ مزمر ٥٨: ٧ أمثال ٢٣: ٣٢.

(٧) جامعة ١٠: ١١.

(٨) تكوين ٤٩: ١٧ عدد ٢١: ٦ أمثال ١٩: ٣٠ جامعة ١٠: ٧٨ عاموس ٥: ١٩.

(٩) عدد ٢١: ٦ تشنية ٨: ١٥.

(١٠) تكوين ٣: ١، ١٤ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٢-٣٣٣.

فدور الحية كما هو وارد في سفر التكوين واضح تماما في إغواء حواء وإغرائها بالأكل من الشجرة المحرمة ولكن بعض المعاصرين حاولوا في شرحهم لدور الحية في إغواء حواء أن يفسروا قصتها بالرمزية والمجاز.

يتساءل جرهاردوس فوس قائلا: على أى وجه نفهم الدور الذى قامت به الحية في السوط ومدى اتصالها بالروح الشريرة، ويجب بأن هناك أكثر من رأى لتفسير ذلك:

أما الرأى العصرى الذى يبغض الاعتراف بصحة الكتاب المقدس فهو يرى أن القصة كلها مجرد قطعة رمزية لم يقصد الكاتب منها وصف حادثة واحدة محددة بل محاولات مستمرة للخطية للدخول إلى قلب الإنسان وهكذا تكون الحية رمزاً ومجازاً مثل بقية القصة.

ويذكر أن هذا الرأى تنافى مع هدف القصة الواضح في سفر التكوين والتي تتحدث عن حية فعلية يقارن بينها وبين جميع الحيوانات التى خلقها الله فإن كانت الحيوانات الأخرى حقيقية فلا بد أن تكون الحية حية حقيقية وليست شيئا آخر ويستشهد بما ورد في العدد ١٤ من سفر التكوين من أن العقاب ينطق به بعبارات تستلزم وجود حية حقيقية^(١).

هذا وقد أشار فوس إلى أكثر من رأى واختار الرأى التقليدى القديم الذى يسلم بوجود حية حقيقية وقوة شيطانية استخدمت هذه الحية مطية لتنفيذ مخططها، ويرى أن هذا ليس أمرا مستحيلا لكنه يعترف بأن العهد القديم لم يتعرض لهذا الوقوع ويحاول الدفاع عن رأيه ولكننا نضرب صفحا عن هذا الرأى وذلك الاتجاه فهو اتجاه مسيحى في تفسير إغواء الحية لآدم لم يكن موجودا قبل المسيحية في اليهودية^(٢).

(١) علم اللاهوت الكتابى: الإعلان الإلهى في العهد القديم والجديد ص٥٩ ترجمة د/ عزت زكى دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢ م.

(٢) راجع هذا الاتجاه المسيحى في المصدر السابق ص٥٩-٦١ وقد قام الأخ الزميل الدكتور أحمد عجيبة بعرض قصة السقوط من وجهة نظر المسيحية وانبرى في أبطالها في رسالة الماجستير التى قدمها إلى كلية أصول الدين بطنطا بعنوان "الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه" ١٩٨٥ م.

وهكذا فهناك حية حقيقية فى التصور اليهودى قامت بإغواء وإغراء حواء بالأكل من الشجرة المحرمة.

وإذا ما أردنا مناقشة نص هذه الفقرة الأولى من الإصحاح الثالث فإننا نتساءل مع الشيخ علاء الدين الباجى:

"كيف يحسن أن يقال: فقالت الحية للمرأة: ليس موتا تموتان، ولكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالألهة تعلمان الخير والشر"^(١).

أفكانت الحية التى هى من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء، وأفهم منهما وأعلم بحقائق الأمور، وبمراد الله تعالى منهما، ومع تمام علم آدم، كما تقدم قبل هذا فى قوله (وخلق الله كل وحش الأرض وكل طير السماء، وأتى بهم على آدم لينظر ما يسميهم وكل اسم أسماهم به آدم ولقب به نفسا حية فهو اسمها"^(٢).

فأين هذا من ذاك؟

فإن قيل: لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة، قلت تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها، وجعل من آدم وحواء، وهو قوله: "وأعطت لبعليها أيضا معها فأكل، فانفتحت أعينها الاثنان، وعلمتا بأنهما عريانان"^(٣).

وأیضا: فكيف يحين أن يقال: "كالآلهة ولم يعرف يومئذ إلا إله واحد، ولم يوجد إلى الآن كفر ولا شرك ولا تكثر فى المعبود.

وأیضا: فكيف يحسن أن يقال: "وتكونان كالألهة"، تعلمتا الخير والشر" أفكان آدم وحواء جاهلين، لا يعلمان الخير والشر، مع تمام علم آدم كما تقدم؟.

ولو كانت الحية التى لم تأكل منها جاهلة بالخير والشر، وهذا كلامهما، وهذا علمهما كما تقدم:

(١) تكوين ٣: ٤-٥.

(٢) تكوين ٢: ١٩.

(٣) تكوين ٣: ٦-٧.

فإن قيل: لعلها تكلمت بهذا لتعليم إبليس إياها، ولأن إبليس من بين أنبيائها تكلم به.

قلنا: هذان: كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة، على أن نقول: كيف يصح تكلم الحية وليست ناطقة؟^(١).

ثم إنه كيف يحسن أيضا أن يقال: "ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكّل"^(٢)، "مع أنها لم تأكل منها إلى الآن ولم تعرف طعمها، ولا أنها طيبة أم لا؟"^(٣).

ويواصل الشيخ الباجي نقده الموضوعى فى تلك النقطة فيكشف عن مدى التناقض الذى وقع فيه كاتب القصة فى تحليل رائع ومحاجة بالغة "كيف يحسن أن يقال: "فانفتحت أعينهما الاثنان، وعلمتا بأنهما عريانان" أفكانا أعميين قبل الأكل أو منطبقى الأعين؟ مع قوله قبل هذا "ورأت المرأة أن الشجرة طيبة الأكل، شهية لنظر العين وحسنة المنظر"^(٤).

فأين هذا من ذاك؟.

أم كانا جاهلين بأنهما عريانان مع تمام علم آدم كما تقدم؟.

فأين هذا الجهل التام مع ذلك العلم التام؟.

فإن قيل: لعل المراد انفتاح أعين البصيرة، لا عين البصر؟.

قلت: هذا تأويل مخالف للظاهر، مع أنه لا يصح، لأن العاصى لا يناسبه أن يترتب على معصيته، انفتاح بصيرته، بل المناسب أن تعمى بصيرته^(٥).

وأهم ما يؤخذ على هذه الفقرة أن الحية - حسب زعمهم - قد كذبت الرب بينت لحواء وآدم أنها لن يموتا وأن الرب قال لهما ستموتان حينما تأكلان من شجرة

(١) على التوراة ص ٣٢.

(٢) تكوين ٣ : ٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) على التوراة ص ٣٢-٣٣.

(٥) المصدر السابق ص ٣٣.

المعرفة، وهو غير صحيح، وذكرت لهما أن الرب يعلم أنها لو أكلتا منها ستنتفح أعينهما ويكونان كالله عارفين الخير والشر ولذلك فإنه خوفكما وكذب عليكما، والعجيب أن الفقرة القادمة قد أثبتت نصوصها - ادعاء - صدق كلام الحية وكذب الرب - تعالى عما يقولون - فهما لم يموتا بعد أن أكلتا من الشجرة وفي الفقرة الثالثة يظهر كاتب السفر الرب في صورة الخائف - تعالى عما يقولون - من معرفة آدم وحواء وأنه فعلا كان يقصد خداعهما.

وهذا ما سيتبين لنا في هاتين الفقرتين:

الفقرة الثانية:

"وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخترأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة، فنأدى الرب الإله آدم وقال أين أنت، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاخترأت، فقال من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت، فقالت المرأة: الحية غرتنى فأكلت فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه، وقال يسود عليك، وقال للمرأة تكثيرا كثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وعلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسبب التعب تأكل منها خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود.

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصا من جلد وألبسهما^(١).

(١) تكوين ٣: ٨-٢١.

وهذه الفقرة كما نرى تتحدث عن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: اكتشاف الرب للأكل من الشجرة.

الأمر الثاني: معاقبة الرب لآدم وحواء وتنصل كل منهما من التهمة.

الأمر الثالث: إصدار العقوبات على كل من الحية والمرأة والرجل.

ففيما يتعلق بالأمر الأول: فإن الشيخ علاء الدين الباجي يتساءل: كيف يحسن أن يقال "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الفردوس عند المساء، فاختمى آدم وزوجته من وجه الرب الإله في وسط "شجر الفردوس"^(١)، مع أن الرب سبحانه وتعالى منزّه عن الصوت، ماشيا.

وأياضا: فإن آدم أتم علما من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفى من الرب - سبحانه - في شجر الفردوس، وهذان السؤالان وراوان بعينهما على قوله بعد هذا "فقال: سمعت صوتك ماشيا في الفردوس، فخفت لأنى عريان فاختميت"^(٢).

ثم إنه كيف يحسن أن يقال: "ودعا الرب الإله آدم، وقال له: آدم، أين أنت؟"^(٣). مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه^(٤).

وأياضا كيف يحسن أن يقال: فقال له: من عرفك أنك عريان؟"^(٥).

أكان آدم محتاجا في معرفة نفسه أنه عريان، إلى من يعرفه بذلك؟.

ما على هذا في الجهالة مزيد، ولا يتوهم في حق آدم مثل هذا، بل ولا في حق أجهل آحادنا نحن^(٦).

وكتبة التوراة في هذا الأمر إنما صوروا الإله بصورة البشرية حيث نسبوا إليه

(١) تكوين ٣: ٨.

(٢) تكوين ٣: ١٠.

(٣) تكوين ٣: ٩.

(٤) على التوراة ص٣٣.

(٥) تكوين ٣: ١١.

(٦) على التوراة ص٣٣-٣٤.

المشى والتنزّه فى الجنة وقت المساء، وأنه اكتشف خطيئة آدم مصادفة، ثم إن اختباء آدم منه وسؤال الله له أين أنت كل هذا يعكس تصور اليهود فى نظرتهم للذات الإلهية مما يعنى أن أقلام الكتبة وأهواءهم كانت لها دور كبير فى صياغة القصة، وأنها متأثرة فى ذلك بالأديان الوثنية.

وفىما يتعلق بالأمر الثانى فإن كاتب السفر يذكر أن الرب عاتب آدم على أكله من الشجرة فإذا بآدم يهرب من هذا العتاب ويلقى بالتهمة على كاهل حواء بل إنه يتحدث عنها فى احتقار وتجاهل "المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت".

وهنا يقول الشيخ الباجى: "كيف يحسن أن يقال إن آدم اعتذر عن معاتبة الله إياه فى أكل الشجرة المنهى عن أكلها فى قوله "هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها بقول: "إن المرأة التى جعلت معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت".

وكيف يليق بآدم أن يعتذر عن معصية الله بأن المرأة أعطته فأكل^(١).

وحينما توجه الرب لمعاينة حواء ألقت بالتهمة على الحية وأنها هى التى غرّتها وزينت لها الأكل من الشجرة^(٢).

وأما فى ما يتعلق بالأمر الثالث (العقوبات التى أصدرها الرب على كل من الحية والمرأة والرجل).

فبالنسبة لعقوبة الحية فإن الرب أصدرها بعد أن صرفت المرأة التهمة عن نفسها وحولتها إلى الحية فقال لها الرب "لأنك فعلت معلونة أنت من جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه^(٣).

(١) تكوين ٣: ١٢.

(٢) على التوراة ص ٤٤٣.

(٣) تكوين ٣: ١٣.

ويفهم من ذلك:

١- أن الحياة كانت قبل أن تجترم إحداها هذا الذنب تمشى فى الجنة منتصبة.

٢- وأنها كانت تتغذى بغذاء كالذى يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان.

٣- وأنها غدت الآن تستف التراب.

٤- وأن التراب وهو خليط من مواد غير عضوية يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الحيوانى^(١).

وبالنسبة لعقوبة المرأة أو حواء:

فإن الرب قد حكم بها عليها دون أن يهتم بمحاولتها صرف التهمة عن نفسها:
"وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"^(٢).

يقول عصام الدين حفى ناصف "فأما أوجاع الحمل والولادة فهى من معقبات المدنية والترف ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاهية العيش ورفاهية الشعور على حين لا يشعر بها المتوحشون إلا هونًا ما.

ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات المتوحشة والمستأنسة أما سيادة الذكر على الأنثى فهو القانون السارى فى عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل^(٣).
وأما بالنسبة لعقوبة آدم فقد حكم بها الرب عليه لأنه سمع لقول امرأته وأكل من الشجرة تحت إغرائها:

"ملعونة الأرض بسبب، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكا وحكسا تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود"^(٤).

(١) عصام الدين حفى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص ١٦٠-١٦١.

(٢) تكوين ٣: ١٦.

(٣) اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص ١٦٢.

(٤) تكوين ٣: ١٧-١٩.

وهكذا أصبح الجنس البشرى كله آثمًا بإثم آدم وحواء وحقت عليه كل اللعنة من أجل ثمرة واحدة من ثمار الفاكهة أكلت وكان أكلاها على غير خبر بالخير والشر فألى فضولهما مرد الخطيئة الأولى فى العالم حيث أسست المسيحية كلها على هذه الحكاية ففى إنكارها إنكار للمسيحية من ألفها إلى يائها^(١).

والحقيقة أن إغواء الحية لحواء وإغراء حواء لأدم وسقوطهما معا فى الخطيئة حسبما ورد فى سفر التكوين كل ذلك يصور أفكارا قديمة كانت شائعة بين شعوب العالم القديم ولا تزال تجد لها صدى حتى الآن فى الأوساط الثقافية والشعبية حيث يعتقد أن المرأة هى أساس الشر والبلاء ومنبع الرجس والنجاسة وأنها استجابت لإغراء الحية المزعومة فتسببت فى طرد آدم من الجنة وفى محنة الجنس البشرى وأحزانه.

ولكن قبل أن نبين مصدر هذا الاعتقاد من الأديان الوثنية ينبغى أن ننتهى من الفقرة الثالثة والأخيرة فى قصة الغواية والتى نتحدث عن مخاوف الرب من أكل آدم من شجرة الحياة بعد أن أكل من شجرة المعرفة فقام بطرده من الجنة.

الفقرة الثالثة والأخيرة:

"وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها، فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة^(٢).

يقول الإمام ابن حزم: "حكايتهن عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيرا من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم

(١) عصام الدين حفى ناصف: المصدر السابق ص١٦٣، ولمزيد من التفاصيل عن أهمية وخطورة عقيدة الخلاص فى المسيحية راجع رسالة الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه المشار إليها سابقا.

(٢) تكوين ٣: ٢٢-٢٤.

يكن إلا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحق، ونحمده إذ هدانا للملة الزهراء الواضحة التى تشهد سلامها من كل دخل بأنها من عند الله تعالى"^(١).

وينقد الشيخ الباجى هذه الفقرة من ثلاثة أوجه:

أحدها: كيف يحسب أن يقال: "وقال الرب الإله: كأن آدم قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر"^(٢)؟ أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب فضلا عن أنها تكتسب بالأكل؟ وأيضا: فإن قوله: "كواحد منا" يدل على تكثر الرب سبحانه.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال عقب هذا: "عساه الآن يقدم يده، فيأخذ من شجرة الحياة، فيأكل منها، فيحى إلى الدهر" فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته، بل بسبب بعض المأكولات وأن الله خشى من حياته الأدبية، بسبب أكل الشجرة، فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبا لعلم الخير، وأكل الثانية موجبا للحياة الأدبية، كما هو ظاهر اللفظ، لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى، أكل من الشجرة الثانية ضرورة من غير تأخير، إذ قد علم الخير والشر، فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلا.

وأيضا فإن لفظ "عسى" لتوقع ما يشتهي المتكلم فلا يناسب هذا المحل بل المناسب لفظ "أخشى"^(٣).

وثالثها: كيف يحسن أن يقال "وأمر الكروبيم"^(٤) ولهب النار المتقلبة ليحفظ

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج١ ص٩٧ مكتبة السلام العالمية القاهرة.

(٢) تكوين ٣: ٢٢.

(٣) على التوراة ص٤٣.

(٤) ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن: الكروبيم هم ملائكة يرسلون من قبل الله أن يقيمون فى حضرته تعالى أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها ويقال عنهم إنهم ذوو جناحين أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت (راجع مزيدا من التفاصيل ص٧٧٩).

طريق شجرة الحياة^(١) عقيب قوله: "فأخرجه الرب الإله من فردوس النعيم ليعمل في الأرض"^(٢).

فإن آدم في الأرض، خارج الفردوس، فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله، حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهى داخل الفردوس؟.

وأيضاً: فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكناً لدخله الآن كل واحد منا أو بعضنا، ولكان المناسب له أن يقال: ليحفظ دار الفردوس، التى هى دار النعيم، لئلا يدخلها آدم العاصى بعد إخراجه منها سواء أكل من الشجرة أم لا.

وأيضاً فتخصيص لفظ: الإخراج، بإخراجه من الفردوس، التى هى فى وسط الجنة كما تقدم - ما وجهه؟ مع أنه أخرج من الجنة مطلقاً إلى الأرض، ولم يقل: فأخرجه من الجنة؟^(٣).

وإذا كانت نصوص هذه الفقرة بهذا الشكل من الضعف إن ما توحى به من تصور اليهود فى شأن الإله يجعل القصة أشد بعداً عن التصور السماوى للأحداث.

فالقصة بهذا النص تصور لنا أن الرب قد طرد آدم وحواء لا لمجرد مخالفتها للمحظور الذى حذرهما منه الرب، ولكن لأنها سلباه صفة كان يود أن يستبقياها لنفسه دون البشر وهى معرفة الخير والشر، ومن ثم فقد أسرع الرب فى طردهما من الجنة قبل أن يتمكن من أن يسلباه صفات إلهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود، وذلك إذا ما تهورا وأكلا من الشجرة الثانية وهى شجرة الحياة، بل إن الرب ظل يخشى من أن يسطو الإنسان على شجرة الخلد خلصة ولذلك فقد جعل "لهيب سيف متقلبة لحراسة طريق شجرة الحياة"^(٤).

ويذكر الدكتور السيد بكر أن الأثر البابلي ظاهر فى صورة الكروبيم وهى تحرس شجرة الحياة فالفن البابلي حافل بصورة الشجرة المقدسة والكائنات الجنية التى تحرسها.

(راجع تفاصيل ذلك: هوامش موسكاتى ص ٣٠١-٣٠٤).

(١) تكوين ٣: ٢٤.

(٢) تكوين ٣: ٢٣.

(٣) على التوراة ص ٣٤-٣٥.

(٤) تكوين ٣: ٢٤.

يذكر الأستاذ سيد قطب أن الأساطير الإغريقية واليهودية قد تركزت تصورًا قبيحًا تافها للعلاقة بين الإله والإنسان في أذهان الأوروبيين ظل يسيطر على تصوراتهم حتى بعدما دخلوا في المسيحية.

ثم يشير إلى الأسطورة الإغريقية التي تصور كبير الآلهة "زيوس" غاضبًا على الإله "برومنيوس" لأنه سرق النار المقدسة "سر المعرفة" وأعطاه للإنسان، من وراء ظهر كبير الآلهة، الذي لم يكن يريد للإنسان أن يعرف، لئلا يرتفع مقامه فيهبط مقام كبير الآلهة ويهبط معه مقام "الآلهة" ومن ثم أسلمه إلى أفعط انتقام وحشى رهيب! ^(١).

وكذلك الأسطورة اليهودية التي تصور الإله - سبحانه - خائفًا من أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة - بعدما أكل من شجرة المعرفة - فيصح كواحد من الآلهة! ومن ثم يطرد الإنسان من الجنة، ويقيم دونه ودون شجرة الحياة حراسا شدادا ولهيب سيف متقلب! ^(٢).

يذكر جيمس فريزر أن شجرة الحياة كانت تقف مع شجرة المعرفة جنبًا إلى جنب وسط الجنة ومع ذلك فإن هذه الشجرة الرائعة لا تلعب أى دور فى قصة السقوط الحقيقية، فعلى الرغم من أن ثمارها كانت تتدلى منها يانعة القطوف، وعلى الرغم من أنه لم يكن يحول بين الإنسان وبين هذه الثمار أى تحریم إلهى، على عكس ما حدث مع شجرة المعرفة فإن أحدا من الأبوين لم يفكر فى قيمة تناول شيء من فاكهتها اللذيذة فتعيش إلى الأبد.

ولكن يبدو أن شخوص المأساة الكبيرة وقد تركزت أبصارهم حول شجرة المعرفة، لم يبصروا شجرة الحياة، بل إن الرب نفسه لم يتذكر هذه الشجرة ^(٣) العجيبة

(١) راجع تفاصيل هذه الأسطورة فى كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٤٠-٤١ الطبعة الأولى للمؤتمر الإسلامى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

(٢) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ١٣٣-١٣٤، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م دار الشروق القاهرة/ بيروت.

(٣) يعتبر فريزر بهذا بناء على ما انطبع فى ذهنه بعد قراءة النص التوراتى.

- تعالى عما يقولون - التى تقف بإمكانياتها غير المحدودة مهمة وسط الجنة، إلا بعد أن قضى الأمر وانتهى كل شيء.

وقد خشى الرب - تعالى عما يقولون - بعد أن أصبح الإنسان صنوه فى المعرفة عندما أكل من ثمار شجرة المعرفة، أن يصبح لذلك خالدا مثله إذا ما أكل من شجرة الحياة ولذلك فقد أسرع بطرده من الجنة، وعين فريقا من الملائكة الذين يحملون سيوفاً لامعة لتحرس الشجرة من كل من يقترب منها حتى لا يتسنى لأحد أن يأكل من فاكهتها السحرية فيعيش إلى الأبد"^(١).

ولكن ما المراد بالشجرتين المذكورتين: شجرة الحياة وشجرة المعرفة؟.

أما فيما يتعلق بشجرة الحياة فهى كما يقول صاحب القاموس: شجرة وسط الجنة ثمرها يمنح الإنسان حياة خالدة، وعندما أخطأ آدم وحواء طردهما السيد من الجنة لئلا يأكلا من شجرة الحياة ويعيشا إلى الأبد، ولو كانا يعيشان إلى الأبد بخطيئتهما لصار العالم جميعاً مقيماً لذلك دبر الله طريقاً آخر لإعادة الإنسان إلى الحياة، ويذكر أنه سرعان ما صار التعبير "شجرة الحياة" تعبيراً شعرياً استخدمه كاتب الأمثال إشارة على مصادر البركة العظيمة فى حياة الإنسان"^(٢).

وأما شجرة المعرفة فلسنا ندرى - فيما يقول عصام حفننى ناصف - ما هى هذه الشجرة ذات القوى السحرية؟ ولم نهى عن الأكل من ثمرها وعد تمييز الإنسان بين الخير والشر عملاً عدائياً نحوه.

ويواصل عصام الدين حفننى ناصف تعجبه فيقول: "إن تمييز الإنسان بين الخير

(١) راجع الفولكلور فى العهد القديم ج١ ص ١٠٦، ١٠٧ ويصور عصام الدين حفننى هذا الموقف بقوله "وخشى يهوه أن يعود آدم على الجنة ويأكل من ثمار شجرة الحياة فيخلد، فأقام على باب الجنة سرية من الملائكة يذودون عنه ذلك المتطفل إن طوعت له نفسه أن يرجع، ونصب عند الباب سيفاً ينفث ناراً ولا ينى يضرب فى الهواء عن اليمين وعن الشمال ويغير اتجاهاته من تلقاء نفسه ليقطع خط الرجعة على آدم إذ كان من الجنة غير بعيد (اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص ١٦٣).

(٢) قاموس ص ٥٠٧ وقد لاحظنا أن صاحب القاموس لم يستطع أن يضيف تفسيراً فاكتمفى بأن تحدث عنها كما نص عليها سفر التكوين.

والشر هو بدء إدراكه الخلقى ومستهل مقدرته على توحيد مصيره وهو ارتقاء لا انحطاط فلم يترتب على أكل الإنسان منها إقصاءوه من الجنة؟^(١).

ويذكر جرهاردوس في أن شجرة معرفة الخير والشر أكثر غموضاً من شجرة الحياة لذلك تضاربت حولها الآراء.

فهناك التفسير الأسطوري الميثولوجي الذي نادى بأن حكاية شجرة المعرفة جزء من الأساطير الوثنية أدخل في نص الكتاب وأن الفكرة فكرة وثنية فالآلهة - في العقائد الوثنية - تغار من الإنسان لئلا يحصل على شيء هو امتياز قاصر على الآلهة والحصول على هذا الشيء يرتبط بالأكل من الثمار ولذلك فهي تحرص كل الحرص على أن لا يأكل الإنسان من ثمار الجنة، أى أن منع الأكل كان هدفه هو حرمان الإنسان من معرفة الخير والشر التي هي وقف على الآلهة فحسب.

أما مفهوم ومحتوى هذه المعرفة ومداها فتضارب الآراء فيه وبحسب أحد هذه الأساطير كانت هذه المعرفة ترتبط بارتقاء الإنسان وتطوره من حلتة الحيوانية إلى المستوى الإنسانى العاقل، لقد كانت الآلهة ترغب في بقاءه في مرتبة الحيوان ولذلك نهته عن الأكل من الثمرة التي تمنحه الفهم والإدراك^(٢).

وفي رأى آخر تضع الأسطورة الإنسان في مكانه أسمى فقد كان له الفهم منذ البداية ولكنه يحيا حياة بربرية بدون أية ثقافة.

ولقد شاءت الآلهة أن يبقى في مستواه الهمجي، بعيداً عن الارتقاء في سلم الحضارة التي هي وقف على الآلهة وإننا لنجد هنا نفس الفكرة: خوف الآلهة من الإنسان ورغبتها في بقاءه على ما كان عليه والاختلاف هو في التفسيرات المختلفة للمقصود من معرفة الخير والشر^(٣).

والحقيقية أنه بالرغم من رفضنا كمسلمين مثل هذه التفسيرات حيث إن القرآن

(١) اليهودية في العقيدة والتاريخ ص٥٤.

(٢) علم اللاهوت الكتابي ص٥٢-٥٣.

(٣) المصدر السابق ص٥٣.

الكريم قد عرض قصة آدم وحواء عرضا سماويا وصافيا نقيا بعيدا عن الشوائب والأوشاب^(١) إلا إننى أجد العذر لأصحاب هذه التفسيرات بعد أن يطلعوا على قصة الغواية في سفر التكوين.

فالقصة بلا شك تفتح الباب على مصراعيه أمام المقارنات بين التصور اليهودي والتصورات الوثنية عن الصراع بين الآلهة والإنسان حول الخلود وهو موجود بوضوح في الديانات القديمة.

وقد حاول جيمس فريزر أن يفسر الخلط الذى اعترى حكاية الشجرتين فافترض أنه كان هناك فى الأصل قصتان متميزتان ومختلفتان عن السقوط ثم مزج بينهما كاتب سقيم فى غير حذق فأفسدهما^(٢).

وأيا ما كان الأمر فإن فريزر يذكر أن الصفات الشائنة التى نسبت إلى الرب من حقد وحسد وجبن وغير ذلك - ظلت بقعة سوداء فى حق الصفات الإلهية بتأثير قصة سفر التكوين.

ذلك أن الإله - وفقا لهذه القصة - قد نفس على الإنسان امتلاكه للمعرفة والخلود معا ورغب فى أن يستبقى هذه الصفات الطيبة لنفسه وخشى أن يصبح الإنسان مناوئا لخالقه إذا ما استحوذ على أحدهما أو كليهما، الأمر الذى لم يكن من الممكن للرب أن يتقبله بحال من الأحوال.

ومن ثم فقد حذر الإنسان - وفقا لهذه القصة - أن يأكل من شجرة المعرفة، ولما لم يكثرث الإنسان لهذا التحذير طرده الرب من الجنة، وأوصد بابها دون أن يحول بينه وبين الشجرة الأخرى التى إن هو أكل من ثمارها أصبح خالداً.

وينتهى فريزر إلى أن الدافع الذى تقدمه القصة دنيء، كما أن السلوك الذى تنسبه للرب يستحق الازدراء.

(١) سأشير فى نهاية هذا المبحث إشارة خاطفة إلى قصة آدم كما وردت فى القرآن الكريم.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: الفولكلور فى العهد القديم ج١ ص ١٠٧-١٠٩.

وفضلا على هذا فإن كلا من هذا الدافع وذلك السلوك يتناقض مع سلوك الرب
إزاء الإنسان في بداية الأمر كما صورته القصة، فقد كان الرب بعيداً كل البعد عن
أن ينفس على الإنسان شيئاً، بل إنه بذل كل ما فى وسعه لكى يجعله سعيداً
هائثاً^(١).

والآن وبعد أن ناقشنا قصة الغواية أو السقوط كما وردت فى سفر التكوين وكما
صورها الكاتب اليهودى وتبين لنا مدى الاضطراب والتناقض اللذين وقعا فيها
والصورة المزرية التى صوروا بها الرب - سبحانه - نريد بعد كل هذا أن نضع أيدينا
على بعض الأفكار التى تسربت إلى هذه القصة من الثقافات والديانات الوثنية التى
عاصرها اليهود فى تاريخهم القديم.

ومن أبرز هذه الأفكار فكرتان رئيسيتان:

الأولى: إغواء الحية لحواء.

الثانية: إغراء حواء لآدم كونها أساس الشر ومصدر البلاء.

فيما يتعلق بالفكرة الأولى يذكر فريزر أنه ربما ساورنا الشك فى أن الحية فى القصة
الأصلية قد أثبتت لنفسها مكاناً مرموقاً بأن استولت على البركة التى حرمت منها
الجنس البشرى، إذ أنها فى الواقع أكلت هى نفسها من شجرة الحياة فاكسبت
الخلود، فى الوقت الذى أغرت فيه الأبوين الأولين أن يأكلا من شجرة الفناء^(٢).

ويرى فريزر أنه ليس مغالياً فى هذا الفرض إذ أن هناك حكايات بدائية ليست
بالقليلة تحكى عن أصل الموت أن الحيات سعت فى تدبير حيلة لتسخير الإنسان أو
لتلقى الروح فى قلبه حتى تحتفظ لنفسها بالخلود الذى كان الإنسان معنيا به.

فكثير من البدائيين يعتقدون أن الحيات وبعض أنواع من الحيوانات تجدد شبابها
وتحيا على الأبد، وذلك عن طريق تغييرها جلدها مرة كل عام^(٣).

(١) المصدر السابق ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق ص ١١٠.

(٣) راجع حكايات البدائيين فى ذلك المصدر السابق ص ١١٣-١٣٥.

ويبدو أن الشعوب السامية قد عرفت هذه العقيدة كذلك: فالحية - وفقا لرأى الكاتب الفينيقي القديم "سانشو نياثون" - كانت أطول الحيوانات عمرا، لأنها كانت تجدد شبابها على الدوام عندما تغير جلدها^(١).

وإذا كان الفينيقيون قد اعتقدوا أن الحية معمرة، وأن سبب هذا يرجع إلى تغييرها لجلدها، فليس ببعيد أن جيرانهم وأترابهم العبرانيين كانوا يعتقدون الاعتقاد نفسه، والشيء الذى لا جدال فيه هو أن العبريين كانوا يعتقدون أن النسر تجدد شبابها عندما تغير ريشها.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يعتقدون بالمثل أن الحية كذلك يتجدد شبابها بتغيير جلدها؟^(٢).

على أن فكرة خداع الحية للإنسان وسلبها منه الخلود عن طريق استيلائها على عشب الخلود الذى كانت الآلهة تقصد الاحتفاظ به للجنس البشرى تتمثل فى الواقع فى ملحمة جلجامش^(٣) التى تعد معلما من المعالم الأدبية القديمة لدى الجنس السامى، أكثر قدما من سفر التكوين.

ففى هذه الملحمة نقرأ كيف أن أوتنا بيشيتم الإنسان المؤله، أفشى للبطل

(١) المصدر السابق ص ١١.

(٢) الفولكلور فى العهد القديم ص ١١.

(٣) يذكر علماء الآثار والمؤرخون أن ملحمة جلجامش تعد أنفس وأبداع إنتاج أدبى جاءنا من الشرق القديم وتعتبر من أعظم المآثر الأدبية فى تاريخ الآداب البشرى حتى سماها البعض بـ الأوديسية البابلية من حيث أنها كالأوديسية المرمونية تخلد أقدم قصص الأبطال والبطولة وتزخر بالمادة الأسطورية والدينية، وقد انتشرت هذه الملحمة فى جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم ودخلت إلى آداب الأمم الأخرى وأول من ترجمها هو جورج سميث عام ١٨٧٢م، وبطل الملحمة الذى تدور عليه حوادث الرواية هو ملك أو حاكم اسمه جلجامش وهو شخصية تاريخية مذكورة فى إثبات الملوك الأقدمين وتروى الملحمة كيف أنه كان يبحث عن الخلود وماذا فعل فى سبيل ذلك (راجع قصة هذه الملحمة ونصها وشرحها ومزيدها من التفاصيل عنها طه باقر وبشير فرنسيس: ملحمة جلجامش والطوفان بحث فى مجلة سومر المجلد السادس ١٩٥٠ من سلسلة نصوص من الأدب العراقى القديم بغداد العراق، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ٢٣٩-٢٤٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٦ ص ٤٢-٨٠.

جلجامش سر وجود نبات له مقدرة سحرية على إعادة الشباب إلى الإنسان، يطلق عليه اسم "الرجل الكهل يعود شاباً" وكيف أن جلعجامش اهتدى إلى هذا النبات، وأصابه الزهو بأنه سيأكل منه ويسترجع شبابه الذى ولى.

ثم كيف أن حية تسللت قبل أن يأكل جلعجامش هذا العشب، وسرقت النبات السحري بينما جلعجامش يستحم فى المياه الباردة فى أحد الينابيع أو الغدران، ثم كيف أن جلعجامش بعد أن فقد الأمل فى اكتساب الخلود، جلس وبكى^(١).

ويرى صموئيل هنرى هووك أن تسلل الحية وقيامها بسرقة النبات السحري يعتبر عنصراً أسطوريا تكوينياً دون شك يفسر سبب قدرة الأفعى على تجديد حياتها بسلخ جلدها القديم^(٢).

وفى قصة الخطيئة الفارسية يظهر دور الحية فى إغواء الزوجين الأولين من البشر والذين يسميان "مشيا ومشانه"^(٣).

وهناك أيضاً قصة إفريقية تتناول موضوع الخلود وتقول القصة إن الإله كلف الحية بأن تحمل البشر ثمار شجرة الخلود ولكن هذه المخلوقات الماكرة أكلت هذه الثمار وهذا هو السبب فى أن الحية تغير جلدها دون أن تموت^(٤).

ولذلك كان كثير من الأقدمين يعبدون الأفعى أو الحية ويتخذونها رمزا للخلود ولقدرتها الظاهرة على الفرار من الموت بتبديل جلدها^(٥).

ولا شك أنهم كانوا يعجبون بقدرتها الفائقة على طرح جلدها وتجديد جسمها كل سنة وعلى إصابة من تعضه بالموت المباشر^(٦) فكانت عبادة الحية شائعة فى مصر القديمة وكريت وغيرهما من بلاد الشرق^(٧).

(١) راجع المصادر السابقة وراجع أيضاً جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم ج١ ص١١١.

(٢) صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص٤٥.

(٣) عصام الدين حنفى ناصف: اليهودية فى العقيدة والتاريخ ص١٤٤.

(٤) راجع المصادر السابقة وراجع أيضاً: جيمس فريزر الفولكلور فى العهد القديم ح ص١١١.

(٥) صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص٤٥.

(٦) يذكر د/ فيليب حتى: أنه حتى اليوم قد يتردد الفلاح السورى فى قتل حية سوداء إذا وجدها فى

منزله على أساس أنها قد تكون حاميتها (تاريخ سورية ج١ ص١٣٢).

(٧) د/ فيليب حتى: المصدر السابق ص١٣٢.

وفي تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة على أنهم عبدوا الأفعى ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التي وجدت في أقدم آثارهم، ومنها الأفعى النحاسية التي صنعها موسى - كما يزعمون - والتي عبدها اليهود في الهيكل إلى أيام حزقيا ملك يهوذا (حوالي ٧٢٠ ق.م)^(١).

ويقول بعض العلماء إن قبيلة لاوى التي أصبح معظم أفرادها كهنة الديانة اليهودية كانت تقدر الحية وأنهم هم الذين أدخلوا في اليهودية تقديسها وكانوا يقدمون لها القرابين^(٢).

وعلى أى حال فإن الحية أو الأفعى كانت تبدو حيوانا مقدسا لليهود كما كانت تبدو لشعوب كثيرة غيرهم وذلك لأنها رمز للذكورة المخصصة من جهة ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود^(٣).

وهكذا شاعت فكرة تقديس الحية وكونها رمزا للخلود في أساطير الأديان الوثنية انطلاقا من التفسيرات الخرافية حول تغيير جلدها مما أدى إلى عبادتها من قبل كثير من الشعوب القديمة التي عاصرت اليهود في تاريخهم القديم.

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد أن هذه الأساطير الخاصة بالحية كانت كلها متداولة وانتقى اليهود منها ما شاءوا وصاغوا منها قصة السقوط^(٤).

(١) ول ديورانت: حصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٣٩ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٣، والأفعى النحاسية أو حية النحاس يزعم اليهود أن موسى صنعها وأقامها على عمود في البرية حسب قول الرب لكى ينظر إليها بنو إسرائيل الذى لدغتهم الحياة المحرقة لكن في السنين التالية بدأ اليهود يعبدونها ويستخدمونها كصنم حتى حطمها حزقيا.

(٢) د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص ١٦، ملوك أول ١ : ٩، وجاء في الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية أن هناك إحدى فرق اليهود تسمى بالأفعويين وهم عبدة الأفعى وقيل إنهم كانوا أكثر من فرقة ومنهم من عبد الأفعى ضد إله التوراة لأنها كانت سببا في غواية حواء وه عندهم رمز الحياة أو لقوة الحياة شأنهم شأن عبدة الشيطان، وفي التوصية الثالثة من البروتوكولات "الأفعى رمز لسيطرة اليهود" كاللويثان الأسطوري القابض على زمام العالم (راجع د/ عبدالحليم الحفنى: الموسوعة النقدية ص ٥٠-٥١).

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٣٩
(٤) اليهودية ص ٤٤.

ويشير العقاد إلى تصور اليهود بأن الحية هي صاحبة الغواية ويرى أنه كان جريا على سنن الأقدمين الذين كانوا يحددون بين الضرر الحسى وبين الخطيئة الأخلاقية وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان^(١).

وقد عثر علماء الآثار على نقش سومرى يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد أمام الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلى عذقان من التمر من طرفيها ويشاهد الرجل ماذا يده اليمنى نحو العذق أمامه ليقطف من ثمره كما تشاهد المرأة وهى مادة يدها اليسرى نحو العذق الذى أمامها لتقطف من ثمره أيضا، ثم تشاهد الحية وهى منتصبه على ذنبها خلف المرأة تغريها فى الأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله.

وهذا النقش التاريخى وضع قبل التوراة بزهاء ألفى عام ويرجح كثير من العلماء أن اليهود قد اطلعوا على فكرة هذا النقش والذى يعكس وجود الحية ودورها فى إغواء حواء - لدى البابليين ورثوا الحضارة السومرية - بثقافتها وديانتها^(٢).

وهذا النقش يدل أيضا على أن فكرة إغواء الحية لحواء كانت منتشرة فى الأديان الوثنية القديمة بل فى أقدمها وهى الديانة السومرية.

ويذكر جيمس فريزر أن الشعوب البدائية تحكى حكايات تروى فيها كيف أن الحية قد دبرت مكيده للإنسان لتحرمه من حق الخلود^(٣).

وهذا النوع من الحكايات - كما يقول - ينتشر انتشارا كبيرا فى أنحاء العالم، وليس غريبا أن نجدها منتشرة بين الشعوب السامية.

(١) إبليس ص-٨٩، وفكرة أن تكون الحية مجرد رمز إلى الشيطان فكرة مسيحية حيث زعم المسيحيون أن الشيطان قد اتخذ الحية مطية لإغوائه وقد دلفت إليهم أيضا من الأساطير الوثنية (راجع جرها رودس فوس "علم اللاهوت الكتابي" ص-٦٠-٦١ والدكتور أحمد عجيبة: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه.

(٢) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص-٤٢٧-٤٢٨ تاريخ حضارة وادى الرافدين ج١ ص-٤٤٤-٤٤٣ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣.

(٣) راجع هذه الحكايات: الفولكلور فى العهد القديم ج١ ص-١١٣-١٣٥.

ويبدو أن قصة سقوط الإنسان التي تروى في سفر التكوين تعد رواية مختصرة لهذه الأسطورة البدائية، فهي في حاجة إلى قليل من الإضافة حتى يكتمل تشابهها بمثيالاتها التي لا تزال القبائل البدائية تحكيها في كثير من بقاع العالم.

فالجزء المحذوف في الحكاية العبرية، وربما كان الجزء الوحيد هو الذى يتمثل في سكوت القاص عن ذكر أكل الحية من فاكهة شجرة الحياة، وما نتج عن ذلك من حصول هذا الحيوان الدنيء على الخلود^(١).

أما فيما يتعلق بالفكرة الثانية وهى فكرة إغراء حواء لآدم وكونها هى أساس الشر والبلاء ومنبع الرجس والرذيلة^(٢) فإن ول ديورانت يذكر أن المرأة - فى معظم القصص الشعبية عن الجنة والأساطير الوثنية التى كانت شائعة فى الديانات الوثنية القديمة هى الأداة التى تتخذها الحية أو يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان فى الشر - الجميل سواء كانت هذه المرأة هى حواء أو بندورا أو بوسى الواردة فى الأساطير الصينية.

فقد جاء فى قصص شى جنح أن "كل الأشياء كانت فى بداية الأمر خاضعة للإنسان ولكن امرأة أُلقت بنا فى ذل الاستعباد، فشقاؤها إذن لم يأتنا من السماء بل جاءت به المرأة لأنها هى التى أضاعت الجنس البشرى "آه ما أشقاك يا بوسى! لقد أشعلت النار التى أحرقتنا والتى تزداد كل يوم ضراما.. لقد ضاع العالم وطغت الرذيلة على كل شيء"^(٣).

وفى أساطير المصريين القدماء أن إيزيس وأوزوريس كانا يعيشان معا فى الفردوس وظللها السعادة وتحف بهم الهناءة وما فتئنا فى تلك الحال إلى أن استبدت

(١) الفولكلور فى العهد القديم ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) يرى جيمس فريزر أن كاتب سفر التكوين يشير إلى حقارة شأن المرأة حين يعزو محنة الجنس البشرى وأخزانه إلى سلوك الأم الأولى الذى يتسم - كما ورد فى السفر - بالحماقة الساذجة وإلى شهوتها التى أطلقت لها العنان (الفولكلور فى العهد القديم ج ٨١-٨٢).

(٣) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٩.

بايزيس الرغبة في أن تستقي من ماء الخلود فمضى أوزوريس يطلبه فكانت تلك
عشرته^(١).

وقد فشت هذه الأساطير وغيرها في مختلف الشعوب، وكلها تجمع على أن المرأة
الأولى اقترفت الخطيئة الأولى انقيادًا للإغراء، وما يزال الناس في الشعوب المتقدمة
يقولون "فتش عن المرأة" وأنه ليس للرجل إلا أن يلقي على المرأة تبعة أخطائه
والويل للضعيف^(٢).

ويذكر العلماء أن تعليل كاتب سفر التكوين لآلام المرأة عند الولادة وسيادة
الرجل عليها بأنها سبب تحريض حواء لآدم على الأكل من شجرة المعرفة وبأنها
عقوبات من الرب على ذلك يذكر العلماء بأن هذا كله ترجع مصادرة إلى أساطير
وثنية^(٣).

ويذكر كريم أن ما ورد في القصيدة السومرية (التي أشرت إليها آنفا) من أن
مولد الآلهات غير ألم أو مخاض هو أساس اللعنة على حواء بأن يكون نصيبها أن
تحمل وتلد أولادها بالألم^(٤).

وانطلاقاً من هذا فإن المرأة كانت أهم ما اتجه إليه التحريم عند البدائيين فآلاف
الخرافات نشأت عن المرأة لتجعلها آناً بعد آناً محرمة للمس خطرة، نجسه^(٥).

ويذكر ول ديورانت أن منشيء الأساطير في أنحاء العالم لم يكونوا أزواجاً موفقين
لأنهم متفقون جميعاً على أن المرأة أساس الشر كله، ويرى أن هذه الفكرة قد تسربت
إلى الديانتين اليهودية والمسيحية من مئات الأساطير الوثنية^(٦).

(١) عصام الدين حنفى ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤.

(٣) د/ محمد بحر عبدالمجيد: اليهودية ص ٤٣.

(٤) صموئيل نوح كريم: أساطير سومر ضمن كتاب أساطير العالم القديم ص ٨٢.

(٥) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ص ١١٩.

(٦) المصدر السابق ويذكر عصام الدين حنفى أن اليهود يعدون المرأة في حال الطمث (الحيض) وعق
بالولادة محرمة ونجسة فمن مسها لحقته النجاسة وحق عليه التطهير وهكذا أصبحت المرأة تستشعر
العار يجللها حين تحيض وحين تحمل (اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٧).

فقد اتخذت الأساطير اليونانية امرأة خيالية تسمى (باندورا) ينبوع آلام الإنسان ومصائبه، كما جعلت الأساطير اليهودية حواء العين التى تشق منها جداول الآلام والشدائد.

وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء من تأثير عظيم فى سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة، وما كان لها من مفعول قوى فى حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب وكذلك أو دونه بقليل كان تأثير الأسطورة اليونانية عن (باندورا) فى عقولهم وأذهانهم، فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقا من الدرك الأسفل، فى غاية من المهانة والذل فى كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية^(١).

وفى أوربة المسيحية اعتبر الآباء المسيحيون من نظريتهم الأولية الأساسية أن المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور وهى للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء، فبحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة، وينبغى أن تستحى من حسننها وجمالها، لأنه سلاح إبليس الذى لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً، لأنها هى التى قد أتت به من الرزء والشقاء للأرض وأهلها، يقول ترتوليان أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها مبينا نظرية المسيحية فى المرأة: "إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله ومشوهة لصورة الله - أى الرجل -".

وكذلك يقول كرائى سوستام الذى يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية فى شأن المرأة: "هى شر لا بد منه، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى عموه"^(٢).

(١) راجع كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودى ص ١٢-١٣ دار الفكر بيروت.

(٢) راجع أيضا المصدر السابق ص ٢١-٢٢.

ولعل من الأهمية بمكان أن أشير هنا إلى قصة آدم وحواء كما وردت في القرآن الكريم كنوع من التعقيب القرآني على ما ذكرناه من أباطيل التوراة اليهودية ولكي يتبين لنا ما اعترى هذه القصة - كغيرها من القصص الديني - من تغيير وتبديل:

لقد تعرض القرآن بشيء من التفصيل لقصة آدم وحواء في الجنة في ثلاث سور:

في سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

وفي سورة الأعراف يقول سبحانه: ﴿وَيَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٢﴾ فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وفي سورة طه يقول سبحانه مشيرًا إلى إبليس: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿٢٠﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿٢١﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿٢٢﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿٢٣﴾﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا

(١) البقرة: ٣٥-٣٦.

(٢) الأعراف: ١٩-٢٥.

تَخْصِفَانِ عَلَيَّهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٦﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٧﴾.

ويهمنا هنا أن نشير إلى عدة نقاط من خلال فهم هذه النصوص القرآنية وهى:
النقطة الأولى: أن القرآن الكريم قد عرض لعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة بدون أن يبدو فى أى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث.

وهذا عكس ما ورد فى رواية التوراة حيث خلعت على الرب سبحانه صفات إنسانية بل صفات غير محببة إلى النفس البشرية فقد طرد آدم وحواء وفقا لهذه القصة التوراتية لا لمجرد مخالفتها للمحظور الذى حذرهما منه الرب ولكن لأنها سلباه صفة كان يود أن يستبقياها لنفسه دون البشر وهى معرفة الخير والشر ومن ثم فقد أسرع الرب فى طردهما من الجنة قبل أن يتمكنوا من أن يسلباه صفات إلهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود، بالإضافة إلى ما عرضته من أن الرب كان يتمشى فى الجنة فى المساء الرطب وهو ينادى آدم الذى اختبأ وراء الشجر ولم يكن يعرف آنذاك أنه قد أكل من الشجرة المحرمة، ثم قام باستجوابه مع حواء واستنتج من ذلك أنها قد أكلت من شجرة المعرفة وأن الإنسان بذلك قد أصبح أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح فكان لزاما على الرب أن يطرده من الجنة حتى لا تمتد يده على شجرة أخرى هى "شجرة الخلد" فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء^(٢).

النقطة الثانية: أن القرآن الكريم أشار إلى شجرة واحدة^(٣) - منهى عنها ودون أن يبين حقيقتها ويحدد ماهيتها فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٤).

(١) سورة طه: ١١٢-١١٧.

(٢) د/ على عبدالواحد وافي: الأسفار المقدسة فى الديان السابقة للإسلام ص-٢٧، ٢٨، د/ نبيلة إبراهيم مقدمة الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) ص-١٠، ١٢.

(٣) على عكس ما ورد فى توراة اليهود أن الجنة فيها شجرتان محظوران على الإنسان أن يأكل منهما وهما شجرة المعرفة وشجرة الحياة.

(٤) البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩.

﴿الَمْ أَهْنَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ﴾^(١).

أما وصف الشجرة بأنها شجرة الخلد فقد جاء ذلك على لسان الشيطان من باب الخداع والكذب على آدم وعلى سبيل الإغراء له حتى يأكل منها ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَقَدَّمُ هَلْ أَذُكُّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٢).

وتبين لنا سورة الأعراف أن الشيطان قد وسوس لأدم وحواء بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٣).

فكل هذا داخل في إطار الوسوسة والتضليل وليس له أى أساس من الصحة اللهم إلا في تصور الشيطان الرجيم، ولعل هذا كان مذكورا في القصة الأصلية التي نزلت على سيدنا موسى أو على الأنبياء من قبله ولكن اليهود ذكروه على أنه من أقوال الرب وادعوا عليه سبحانه أنه قد تخوف من أكل آدم من شجرة الخلد بعد أن أكل من شجرة المعرفة^(٤).

وإذا كان القرآن الكريم قد عرض لأمر الشجرة بهذه الصورة التجريدية فإن المفسرين قد خاضوا في وصفها وتحديد طبيعتها إلى غير ذلك مما نقلوه عن الإسرائيليات^(٥).

وقد تنبه الطبري إلى خطورة هذا الخوض في وصف تلك الشجرة فقال: "والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن

(١) الأعراف: ٢٢.

(٢) طه: ١٢٠.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) من المحتمل أن تكون التوراة الأصلية قد أشارت إلى شجرة واحدة منهى عنها ولم تحدد طبيعتها كما حدث في القرآن الكريم، لكن كتبه اليهود أخذوا يجتهدون في تحديد طبيعة ومعرفة حقيقة الشجرة فنقلوا عن الأديان الوثنية حكاية الشجرتين: المعرفة والحياة ووضعوها في نص القصة على أنها قد أنزلت على موسى وقد تبين لنا قبل ذلك بطلان نسبة التوراة الحالية إلى سيدنا موسى بطلانا تاما.

(٥) راجع على سبيل المثال تفسير الطبري جـ ١ ص ٥١٩-٥٢٠.

دلالة على أى أشجار الجنة كان نبيه آدم أن يقربها، ينص عليها باسمها ولا بدلالة عليها... فالصواب فى ذلك أن يقال: لا علم عندنا بأى شجرة كانت على اليقين لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك من القرآن ولا فى السنة الصحيحة.

فأنى يأتى ذلك، وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به^(١).

ويذكر الفخر الرازى أنه ليس هناك من الظاهر ما يدل على التعيين فلا حاجة أيضا إلى بيانه لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن يعرفنا عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا فى الكلام لا يجب على الحكيم أن يبينه بل ربما كان بيانه عبثا^(٢).

النقطة الثالثة: أن القرآن الكريم قد نص صراحة على أن الشيطان هو الذى وسوس لآدم وحواء فأزلهما عن الشجرة وأخرجهما من الجنة، دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى ما ورد فى سفر التكوين عن الحية وكيف أغوت حواء وكيف حلت بها عقوبة الرب إلى آخر ما ذكرناه.

لكن المفسرين قد تجاوزوا ما نص عليه القرآن وأخذوا يفسرون كيف دخل الشيطان إلى الجنة فلم يجدوا أمامهم إلا الإسرائيليات فنقلوا ما فيها من أن الشيطان قد دخل فى جوف الحية وكان للحية أربعة قوائم فلما دخلت الحية الجنة خرج هو من جوفها وأخذ يوسوس لآدم وحواء، وذكروا أيضا عقوبة الحية وعقوبة حواء وآدم بمثل ما وردت فى سفر التكوين^(٣).

وقد نقل ذلك ابن جرير عن وهب بن منبه وغيره من مسلمة أهل الكتاب وتابعه المفسرون بدورهم.

(١) تفسير الطبرى ج ٥ ص ٥٢٠-٥٢١ طبعة دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٩ حققه وعلى حواشيه: محمود محمد شاكر راجعه وخرج أحاديث: أحمد محمد شاكر.

(٢) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٤ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

(٣) راجع تفسير الطبرى ج ١ ص ٥٢٥-٥٣٣.

ويذكر الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة أن كثيرًا من التفاسير بالمأثور قد نقلت هذه الإسرائيليات عن تفسير الطبري، وأن أغلب كتب التفسير بالرأى ذكرت هذا أيضًا، وكل هذا من قصص بنى إسرائيل الذى تزايدوا فيه، وخلطوا حقا بباطل، ثم حمله عنهم بعض الصحابة والتابعين وفسروا به القرآن الكريم، ويرحم الله ابن جرير فقد أشار بذكره الرواية عن وهب إلى أن ما يرويه عن ابن عباس وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب وياليت لم ينقل شيئًا من هذا، وياليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا^(١).

النقطة الرابعة: أن القرآن الكريم لم ينسب وسوسة الشيطان إلى حواء وحدها ولم يذكر أنها أكلت أولاً من الشجرة ثم قامت بإغواء وإغراء آدم مثلما ذكرت رواية التوراة، وإنما نص القرآن كما رأينا أن الشيطان قد وسوس لكل منهما، وأنها أكلا معا بقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٢).

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾^(٣).

﴿فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾^(٤).

بل إن الآيات التى وردت فى سورة "طه" تنسب وسوسة الشيطان إلى آدم وحده وتنسب إليه أيضا المعصية والغواية يقوله تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَفَادُمُ هَلْ أَتُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣﴾﴾^(٥).

وتبين الآيات الكريمة أن الله قد عهد إلى آدم وأنه هو الذى نسى ولم

(١) راجع الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٢٥٠-٢٥٤.

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢٢.

(٥) طه: ١٢٠-١٢١.

يكن له العزم الذى يمنعه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(١).

وكل هذا يعنى أن القرآن الكريم لم يلق بالمسئولية على حواء وأنها هى التى ارتكبت الخطيئة الأولى كما يشاع الآن وأنها أساس الشر ومنبع الرجس والبلاء مما يرجح أن كتبة التوراة قد نقلوا ذلك عن الأديان الوثنية كما سبق أن بينت.

والعجيب فى الأمر أن المفسرين^(٢) نقلوا أسطورة الحية بما تحتوى عليه من أنها أغوت حواء أولا فأكلت من الشجرة ثم قامت هى بدورها بإغراء آدم حتى نزلت العقوبة بحواء إلخ إلخ.

هذا ولا يفوتنا أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد ذكر صراحة أن آدم قد تاب إلى الله فاستجاب الله توبته وكذلك حواء.

﴿ثُمَّ أَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٣).

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

وبناء على ذلك فليس هناك ضرورة ولا حاجة إلى ما يقال عن خطيئة آدم الموروثة أو سقوط آدم الموروث وكونه سببا للخلاص المسيحى إلى غير ذلك مما استحدث من عقائد^(٥).

وبهذا يكون قد تبين لنا أن قصة آدم وحواء كما وردت فى القرآن الكريم تختلف عن قصة التوراة اختلافا جوهريا... ففضلا على اختلافهما فى طريقة العرض فإنهما تختلفان فى المغزى والهدف.

(١) طه: ١١٥.

(٢) راجع على سبيل المثال تفسير الطبرى ج١ ص٥٢٦-٥٣٢.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) لقد ناقش الزميل الدكتور/ أحمد عجيبة هذا الموضوع مناقشة واسعة فى دراسة الماجستير التى قدمها إلى كلية أصول الدين بطنطا تحت عنوان "الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه".

فإذا كان آدم قد أخرج من الجنة في قصة القرآن الكريم فلأن سكناه في الأرض كانت مقدرة له من قبل دليل قوله تعالى للملائكة قبل خلقه آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ولما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ص أنه قال: احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين عاماً؟.

قال النبي ص: "فحج آدم موسى"^(٢).

فإذا كان عصيان آدم لله مقدرًا له من قبل فإن هدف القصة يتضح بعد ذلك وهو تأكيد النوازع الإنسانية وإبراز جوانب الضعف فيها التي جعلتها موضعاً لإغراء الشيطان على الدوام، فالمسألة تتعلق بتحريم وعصيان لهذا التحريم أو هي بتعبير آخر اختبار لطبيعة الجنس البشري، تلك الطبيعة التي لازمت الإنسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم وهي التي تتمثل في ضعفه أمام قوة الإغراء المادي.

وبناء على ذلك فإن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكر والندم وطلب المغفرة تعبر عن تجربة البشرية المتجددة المتكررة وكانت هذه التجربة نوعاً من التربية لهذا الخليفة الإنسان وإعداداً، كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه، وتدريباً له على تلقى الغواية وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين وقد اقتضت رحمته الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً استعداداً للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيراً.

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي راجع روايات الحديث في جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ج ١٠ ص ١٢٤-١٢٧ تحقيق وتحرير وتعليق عبدالقادر الأرناؤوط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م نشر الحلواني ودار البيان.

أما فى قصة التوراة فقد أخرج الله آدم من الجنة غيظا منه وحنقا عليه، لأنه أصبح نده فى المعرفة، وقد تصور أن البلاء سيكون أكبر من ذلك لو أنه أكل من شجرة الخلد^(١).

وما قدروا الله حق قدره تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

ومن ثم يصبح لزاما أن نقول إن هذه التحريفات البشرية الأسطورية التى وقعت فيها الديانات الوضعية القديمة، واقتبستها منها اليهودية أو تدلت فيها، هى زيادات طارئة على أصل صحيح لازم البشرية منذ آدم على توالى الرسل، وأن هذا الأصل الصحيح لا سبيل إلى معرفته إلا بالاقتصار على ما جاء به القرآن الكريم دون تأويل أو زيادة أو نقصان.

(١) راجع سيد قطب: فى ظلال القرآن ج١ ص ٥٩ د/ نبيلة إبراهيم: مقدمة الفولكلور فى العهد القديم (التوراة) ص ١١، ص ١٣.

المبحث الثالث

مظاهر التأثر فى قصة الطوفان

ومن القصص الدينى التى سأبحثها أيضا فى هذا الفصل قصة الطوفان اليهودية أو كما وردت فى تواراة اليهود.

وتقع هذه القصة فى الإصحاحات: السادس والسابع والثامن من سفر التكوين^(١).

وتتلخص وقائع قصة الطوفان وتجرى أحداثها - كما وردت - على النحو التالى:

لما عم الفساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى:

فقد رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض، فحزن أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض، وإن استثنى من ذلك نوحا لأنه "كان رجلا بارا كاملا فى أجياله، وسار نوح مع الله"^(٢).

وتزداد شرور الناس وتمتلئ الأرض ظلما، ويقرر الرب نهاية البشرية، إذ تحدت إلى شر وغواية، ويحيط نوحا علما بما انتواه، أمرا إياه بأن يصنع فلگا ضخما " ثلاثائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضة، وثلاثين ذراعا ارتفاعه.

وأن يكون طلاؤها بالقار والقطران من داخل ومن خارج، حتى لا يتسرب إليها

(١) . اعتمدت على النسخة البروتستانتية فى نقل النصوص حيث إنها قائمة على النص العبرى اليهودي

(٢) . راجع تكوين ٦: ٥-٩.

الماء، وأن يدخل فيها اثنين من كل ذى جسد حى، ذكر وأنثى، فضلا عن امرأته وبنيه ونساء بنيه، هذا إلى جانب طعام يكفى من فى الفلك وما فيه^(١).

ويكرر الرب أوامره لنوح فى الإصحاح التالى، فيأمره أن يدخل الفلك ومن معه، "ومن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكر وأنثى، ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكر وأنثى، ومن طيور السماء أيضا سبعة ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض".

ذلك لأن الرب قرر أن يغرق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام عن طريق مطر يسقط على الأرض بعد أربعين يوما وأربعين ليلة، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوى إلى السفينة ومعه أهله، "ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى، كما أمر الله نوحا"^(٢).

وفى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من عام ستمائة من حياة نوح بدأ الطوفان، "وانفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء، واستمر الطوفان أربعين يوما على الأرض".

وتكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت جميع الجبال الشاخحة التى تحت كل السماء، خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه، ومات كل جسد كان يدب على الأرض، ومن الناس والطيور، والبهائم، والوحوش، وكل الزحافات، وبقي نوح والذين معه فى الفلك فحسب^(٣).

ومضت مائة وخمسون يوما نقصت من بعدها المياه، حتى إذا ما كان اليوم السابع عشر من الشهر السابع استقرت الفلك على جبل أراط، ثم ظهرت رؤوس الجبال

(١). راجع تكوين ٦: ١١-٢٢. راجع أيضا مورييس بو كاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٥٢، د/ محمد بيومى مهران: دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٤٠٥ : بحث فى كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض العدد الخامس ١٩٧٥ م.

(٢) راجع تكوين ١: ٧-٩.

(٣) تكوين ٧: ٦-٢٤.

في اليوم الأول من الشهر العاشر، ثم تمضي أربعون يوما، وبعدها يرسل نوح غرابا ثم حمامة تعود بعد فترة، لأنها لم تجد مقرا لرجلها، ثم يعود نوح فيرسلها ثانية بعد سبعة أيام آخر، فتعود ومعها ورقة زيتون خضراء، ويكرر نوح المحاولة بعد سبعة أيام آخر، فلا تعود إليه الحمامة^(١).

وفي أول الشهر الأول من السنة الواحدة بعد الستمائة من حياة نوح "نشفت المياه عن الأرض" "فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف". "وكلم الله نوحا قائلا: أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيوانات التي معك من كل ذى جسد الطيور والبهائم والدبابات التي تدب على الأرض أخرجها معك"^(٢).

وبعد أن خرجوا جميعا من الفلك "بنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدثته، ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت"^(٣).

يذكر جيمس فريزر أن نقاد العهد القديم يجمعون على أن قصة الطوفان اليهودية كما هي مدونة في سفر التكوين تجمع بين قصتين أو روايتين متميزتين في أصلهما ومتناقضتين تناقضا جزئيا، وأن المؤلف مزج بينهما لكي يكون منها قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل، ومع ذلك فقد مزج بينهما بطريقة فجأة للغاية بحيث لا يفوت القارئ ما فيها من تكرار وتناقض، حتى وإن كان القارئ غير مدقق في قراءته...^(٤).

(١) تكوين ٨: ١ - ١٢.

راجع أيضا د/ محمد بيومي مهران: المصدر السابق ص ٤٠٥ - ٤٠٦ قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨١ - ٥٨٢.

(٢) تكوين ٨: ١٣ - ١٧.

(٣) راجع سفر التكوين ٨: ١٨ - ٢١.

(٤) الفولكلور في العهد القديم (التوراة) ص ١٧٧ راجع أيضا صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ١١.

فليس في التوراة إذن رواية واحدة فقط عن الطوفان بل روايتان حرتا في عصور مختلفة:

١- الرواية اليهودية: وترجع إلى القرن التاسع ق. م.

٢- الرواية الكهنوتية: وترجع إلى القرن السادس ق. م.

ولا تأتى هاتان الروايتان كل إلى جانب الأخرى وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر إحداهما في عناصر الأخرى وترجعان إلى مصدرين متميزين بشكل جلي: المصدر اليهودي والمصدر الكهنوتي^(١).

ومع أن المصدرين متميزان كل هذا التميز إلا أن فقرات كل مصدر تتعاقب بالتبادل مع فقرات المصدر الآخر.

وتشير جيدا تعليقات ترجمة سفر التكوين للأب ديفو الأستاذ بمدرسة الكتاب المقدس إلى هذا التوزيع للفقرات بين المصدرين:

فالرواية تبدأ وتنتهى بفكرة يهودية، وهناك بالإجمال ١٠ فقرات يهودية، وبين كل فقرة منها توجد فقرة من النص الكهنوتي (أى بالإجمال ٩ فقرات كهنوتية).

وهذه النصوص الخاصة بالطوفان متعددة الأصول ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث، فبين النصين توجد تناقضات صارخة، ويقول الأب ديفو "إنهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التى أدت إلى الطوفان، كما يختلف زمن وقوعه وتختلف أيضا عدد الحيوانات التى شحنها نوح بالسفينة"^(٢).

يذكر جيمس فريزر أنه بجانب أن كلا المصدرين (اليهوى والكهنوتي) يختلف عن الآخر اختلافا بينا في أسلوبه^(٣) وطبيعته وينتميان إلى عصور مختلفة فإن العنصر

(١) راجع المصدرين السابقين، موريس بوكاي: دراسة في الكتب المقدسة ص٥٢، ٢٤٤، هذا وقد عرض جيمس فريزر بشيء من التفصيل للفروق بين المصدرين: اليهوى والكهنوتي على وجه العموم وليس في الطوفان فقط الفولكلور في العهد القديم ج١ ص١٧٧ - ١٨٢.

(٢) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص٥٢، ٢٤٤.

(٣) يذكر حسين ذو الفقار صبرى: أن التباين الواضح بين الروايتين من حيث الصياغة والأسلوب أدل على تناقضهما من أى اختلافات في التفاصيل: فالرواية "اليهودية" تنبض بحيوية وخيال، بينما النص "الكهنوتي" وإن كان جافا بالقياس فهو يتميز بدقة وتدبر (توراة اليهود ص١١).

التفصيلية التي تتألف منها قصة الطوفان في سفر التكوين والتي أسهم في كتابتها كلا الكاتبين اليهودي، والكهنوتي يتميز بعضها عن بعض من حيث اللفظ والمادة^(١).

فإذا بدأنا بوجوه الاختلاف الشكلية فإن أول ما يلفت النظر هو اختلاف اسم الرب في كلا المصدرين فهو في المصدر اليهودي (يهوه) وهو في المصدر الكهنوتي "الوهيم"^(٢).

وإلى جانب هذا الاختلاف اللفظي الجوهرى بين المصدرين، هنا اختلافات لفظية أخرى لا تبدو واضحة في "الترجمة الإنجيلية المعتمدة"^(٣).

على أن الاختلافات المادية بين الحكايات (اليهودية والكهنوتية) لا تزال تلفت النظر إلى أكثر من ذلك وحيث إن الاختلافات تصل في بعض الحالات إلى حد التناقض القاطع فإن إثبات أن هذه الحكايات مستمدة من مصدرين منفصلين تصل إلى حد اليقين:

١- فالحكاية اليهودية عن الطوفان تميز بين الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة وبينما أخذ نوح معه في الفلك سبعا من كل صنف من صنوف الحيوان الطاهر لم يأخذ معه سوى زوج من صنف الحيوان النجس.

أما الكاتب الكهنوتي فلم يميز من الجهة الأخرى بين صنوف الحيوان على هذا النحو بل جعلها تدخل الفلك وهى على قدم المساواة مع بعضها البعض وإن قصر عددها بدون تمييز على زوج من كل صنف^(٤).

(١) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ج١ ص ١٧٧، ١٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) راجع تفصيل ذلك: الفولكلور في العهد القديم ج١ ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٨٤، موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٥٢ ففى الرواية يأمر "يهوه" نوحا بأن يأخذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة ذكورا وإناثا ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأثنى (تكوين ٧: ٢ - ٣) أما فى الثانية فلا تمييز طاهرة كانت الحيوانات أم غير ذلك وإنما يدخل منها إلى السفينة اثنان اثنان ذكر وأثنى كما أمر الله (الوهيم) نوحا (تكوين ٧: ٨ - ٩).
والسؤال الآن: هل أمر الله نوحا أن يأخذ "سبعة سبعة" أو "اثنين اثنين"؟ =

والسبب في هذا الاختلاف البين - كما يقول النقاد - هو أن الكاتب الكهنوتي لم يفرق بين ما هو طاهر من الحيوان وما هو نجس، على أساس أن هذه التفرقة قد أوحى بها الرب لموسى لأول مرة، ومن ثم فإن نوحا لم يكن يعرفها.

أما الكاتب الذى لم يتعب نفسه بالتفكير في هذا الموضوع، فقد ادعى أن التفرقة بين صنوف الحيوان على أساس الطهارة والنجاسة كانت معروفة لدى الجنس البشرى منذ العصور الأولى، كما لو كانت هذه التفرقة تركز على أساس طبيعى واضح كل الوضوح بحيث لا يخطئها أحد^(١).

٢- ثم إن هناك اختلافا جوهريا آخر بين الكاتبين يتعلق بدوام مدة الفيضان فقد ظلت الأمطار تهطل في قصة الكاتب اليهودى مدة أربعين يوما وأربعين ليلة، ثم ظل

= أو أن نوحا - وحاشى نبي الله أن يكون كذلك - قد عصى أمر ربه؟ أو أن هذا خطأ من الكاتب؟ وإذا كان ذلك كذلك، ففي أى النصين كان الخطأ، أفي نص الأمر أم في نص التنفيذ؟ علما بأن نص التنفيذ قد تكرر مرة ثانية في التكوين "ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة (٧: ١٥ - ١٦) كما أن الواضح من نص التكوين هذا أنه يضغط على أن ما أمر به الرب "اثنين اثنين" ولكنه في التكوين (٧: ٢) يختلف عن ذلك كثيرا (راجع حسين ذو الفقار صبرى تورا اليهود ص ١١، د/ محمد بيومى مهران: قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٤٠).

هذا وقد تنبه إلى ذلك الشيخ الفقيه علاء الدين باجى قبل أن يكتشف العلماء فكرة ازدواجية القصة فنراه يقول: كيف يحسن أن يقال "ومن كل البهائم... اثنين اثنين" (٦: ٢٠ - ٢١) فإن ظاهره أنه يدخل معه من كل أمة "اثنين اثنين" وقد ذكره أيضا في (تكوين ٧: ٨ - ٩ / ٧: ١٥) مع أنه ذكر عقبيه في (تكوين ٧: ٢ - ٣) من الدواب الطاهرة سبعة سبعة: ومن غير الطاهرة اثنين اثنين (وهذا تناقض بين الكلامين) على التوراة ص ٤٥، ويعلق مرة أخرى على النص السابق (٧: ٢ - ٣) ويذكر أنه يناقض ما تقدم من أنه يدخل معه من كل أمة اثنين اثنين.

فإن قيل: إنه مخصص لذلك وليس مناقضا له لأنه خص السبعة بالطاهرة والاثنين بغير الطاهر، وإنما يكون مناقضا له لأنه خص السبعة بالطاهر والاثنين بغير الطاهر، وإنما يكون مناقضا للوجعل الجميع سبعة سبعة.

قلت: هذا كلام صحيح، لكنه يكون مناقضا لو جعل الجميع "سبعة سبع".

قلت: هذا كلام صحيح، لكنه صرح في تكوين (٧: ٨ - ٩) بقوله: "ومن الطير الطاهر ومن الطير غير الطاهر ومن البهائم ومن الدبيب الذى يدب على وجه الأرض: اثنين اثنين من كل شيء دخلوا مع نوح (فبطل التخصص وتحقق التناقض) على التوراة ص ٤٦ - ٤٧.

(١) جيمس فريز: الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ١٨٤ صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ١١٣.

نوح في فلكه بعد ذلك مدة ثلاثة أسابيع قبل أن ينحسر الماء بمقدار يمكنه من الرسو بسفينته.

ووفقاً لهذا الحساب فإن الفيضان يكون قد دام واحداً وستين يوماً.

أما في الرواية الكهنوتية فقد أخذ الطوفان يهطل مدة مائة وخمسين يوماً وبعدها أخذت المياه في الانخفاض.

أما مدة الطوفان في العموم فقد استغرقت اثني عشر شهراً وعشرة أيام وحيث إن الشهور تقدر بثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً، وإذا أضفنا إلى هذا الرقم عشرة أيام أخرى فإن المدة تكون حيثئذ سنة شمسية كاملة، أي ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً.

وحيث إن الكاتب قد حسب مدة الفيضان بما يساوي سنة شمسية فإنه يمكننا أن ندعى ونحن مطمئنون - فيما يقول جيمس فريزر - أن هذا الكاتب قد عاش في الزمن الذي استطاع فيه اليهود أن يصححوا الخطأ في التقويم عن طريق مراقبتهم للشمس^(١).

وقد تنبه الشيخ الباجي إلى التناقض في مدة الطوفان فذكر أنه كيف يحسن أن يقال "وكان المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة (تك ٧: ١٢) وكذا عقيبه (٧: ١٧) مع قوله بعد ذلك "وتعالى الماء على الأرض مائة وخمسين يوماً (تكوين ٧: ٢٤) فإنها إخباران متناقضان عن مدة الطوفان.

فإن قيل: يمكن أن يكون الإخبار الأول: إخباراً عن مدة نبع الماء، ووقوع المطر فقط، والإخبار الثاني: إخباراً عن مدة النبع ووقوع المطر وإقامة الماء بعد ذلك بلا مطر.

قلت: هذا ممكن في نفسه لكن يبطله قوله عقيب ذكر المائة وخمسين يوماً "وذكر الله نوحاً، وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك، وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء

(١) الفولكلور في العهد القديم ج١ ص ١٨٤ - ١٨٥، موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٥٣.

ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً، وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه" (تكوين ٨: ١ - ٣).

إن هذا الكلام ظاهره: أن انقطاع المطر والنبع كان هو نقصان الماء بعد المائة وخمسين يوماً، فتتحقق التناقض.

وأيضاً فإن قوله "وذكر الله نوحاً، وكل الوحوش يومهم أن طول المدة كان بسبب النسيان، وهو باطل^(١)".

٣- بالإضافة إلى الاختلافين السابقين فإن الروایتين تختلفان في سبب الطوفان.

ففى أولاهما يقرر "يهوه" القضاء على البشرية إذ تحدت إلى شر وغواية (تكوين ٦: ٥-٧).

أما فى الرواية الثانية فإن الله (الوهيم) - لاحظ مرة أخرى الاختلاف بين "يهوه" هناك وبين الله "الوهيم" هنا - إنما يتخذ قراره إذ يرى أن الأرض قد فسدت جميعها كل ما عليها من حى (تكوين ٦: ١١-١٢)^(٢).

٤- ومرة رابعة يختلف الكاتبان فى عامل أو مصدر الفيضان فبينما يعزوه الكاتب اليهودى إلى الأمطار العارمة التى تتهاطل على الأرض أربعين يوماً بلياليهم دون انقطاع (تكوين ٧: ٤-١٢).

يعزوه الكاتب الكنوتى إلى تدفق المياه الباطنية إلى جانب سقوط الأمطار الغزيرة فلم يكن المطر وحده، وإنما انفجرت أيضاً ينابيع الغمر العظيم من أسفل كما من فوق (تكوين ٧: ١١) فكان أن أنهار "الجلد" الذى نصبه الإله عند بدء الخليقة فاصلاً بين المياه السفلية والتى فى السماء (تكوين ١: ٦-٧)^(٣).

(١) على التوراة ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) . حسين ذو الفقار صبرى: تواراة اليهود ص ١١ من مجلة المجلة ١٩٧٠م.

(٣) . راجع جيمس فريزر: المصدر السابق ص ١٨٥، موريس بو كاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٥٢، حسين ذو الفقار صبرى: تواراة اليهود ص ١١.

٥- ومرة خامسة فإن الرواية اليهودية لا تحدد تاريخ وقوع حدث الطوفان من حياة نوح بينما الرواية الكهنوتية تحده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة^(١).

٦- وأخيرا فإن الكاتب اليهودى يحكى عن بناء نوح للهيكل وتقديمه الضحية للرب شكرا له على إنقاذه من الطوفان، فى حين أن الكاتب الكهنوتى لا يذكر شيئا عن بناء الهيكل أو تقديم الضحية.

وسبب هذا بدون شك - فيما يقول فريزر - هو أنه لم يكن هناك هيكل سوى هيكل أورشليم من وجهة نظر القانون اللاوى الذى انشغل به الكاتب الكهنوتى؟. كما أن تقديم الضحية من قبل رجل عادى مثل نوح يعد عملا غير لائق فى نظر الكاتب الكهنوتى - لم يحدث من قبل، كما يعد تعديا كبيرا على حقوق رجال الدين لم يفكر الكاتب الكهنوتى لحظة فى أن ينسبه إلى الشيخ المبجل^(٢).

وبناء على ذلك فإن الموازنة بين الراويتين اليهودية والكهنوتية تؤكد بصورة واضحة النتيجة التى توصل إليها النقاد وهما أنها كانا فى الأصل مستقلين وأن الحكايات اليهودية تعد بحق أقدم الحكايات الكهنوتية^(٣).

هذا وبالإضافة إلى تلك التناقضات والاختلافات التى توصل إليها العلماء

(١). موريس بوكاي: المصدر السابق ص ٥٣.

(٢). الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ١٨٥، صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ١١٣.

(٣). جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ١٨٦. على أنه من الواضح أن الكاتب اليهودى كان يجهل قانون المكان المقدس الواحد الذى يحرم تقديم الضحية فى أى مكان غير أورشليم، ولما كان هذا القانون قد أعلنه الملك "يوشا" لأول مرة ونفذه عام ٦٢١ ق.م. فإنه يترتب على هذا أن المصدر اليهودى قد ألف هذا التاريخ بزمان يحتتمل أن يكون طويلا.

وهذا السبب نفسه يؤكد أن المصدر الكهنوتى قد ألف بعد هذا التاريخ بزمان ليس بالقصير فيما يبدو، حيث إن الكاتب يعترف ضمنا بقانون المكان المقدس الواحد، حينما رفض أن ينسب إلى نوح عملا يخالفه، ويترتب على هذا أنه بينما يكشف الكاتب اليهودى عن لون بعينه من البساطة القديمة، حيث أرجع بكل بساطة النظم الدينية فى عصره وطبيعة هذا العصر إلى عصور الحياة الأولى، فإن الكاتب الكهنوتى على التاريخ تطبيقا دقيقا (المصدر السابق ج ١ ص ١٨٦).

والنقاد بين روايتى التوراة فإن قصة الطوفان اليهودية تعد غير مقبولة فى إطارها العام.

ويرجع ذلك إلى سببين يتضحان - كما يقول موريس بوكاي - على ضوء المعارف الحديثة:

(أ) يعطى سفر التكوين للطوفان طابعا عالميا.

(ب) وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهودى للطوفان تاريخا، فإن الرواية الكهنوتية تحدد زمن الطوفان فى عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة من هذا النوع^(١).

والحجج التى يستند إليها هذا الحكم هى ما يلى:

تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث حينما كان عمر نوح ستمائة عام وتعطى نفس هذه الرواية إشارات عن موقعه الزمنى بالنسبة لآدم وبالنسبة لإبراهيم وذلك من خلال قائمة الأنساب (وهذه الأنساب أيضا هى كهنوتية المصدر) وحسب الحسابات المعمولة بعد الرجوع إلى إشارات سفر التكوين، والتى تقول إن نوحا قد ولد بعد ١٠٥٦ عاما من آدم فإن الطوفان يكون قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم.

وبالنسبة إلى إبراهيم فيحدد سفر التكوين أن الطوفان قد وقع قبل ميلاده بمائتين واثنين وتسعين عاما.

ولما كان العلماء يرجحون أن إبراهيم كان يعيش فى حوالى ١٨٥٠ ق.م فإن زمن الطوفان يتحدد إذن على حسب التوراة بالقرن الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين ق.م.

ولكن كما يقول سفر التكوين فإن الطوفان قد عم كل الجنس البشرى وكل الكائنات الحية التى خلقها الله قد أعدمتم على الأرض حسب هذه الرواية.

(١) . دراسة الكتب المقدسة ص ٥٣، ٢٤٤ - ٢٤٥.

إن البشرية والأمم هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم بحيث إنه عندما يولد إبراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا، فإنه يجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات.

ويتساءل موريس بوكاي: كيف يمكن لإعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل إلى هذا الحد؟ ويجب: إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولة. ويضيف إلى ذلك أن المعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة.

إذ أنه كيف يمكن أن نتصور اليوم أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) في القرن الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين ق.م.^(١)

ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها إلى الأجيال التالية فالمعارف التاريخية الحديثة تسمح بتأكيد هذا.

فعلى سبيل المثال نجد أن مصر كانت هذه الفترة بالنسبة لها هي التي تسبق الدولة الوسطى (٢١٠٠ ق.م) وهذا بالتقريب هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة وفي بابل أيضا كانت أسرة أور الثالثة^(٢)

ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث إعدام البشرية برمتها كما تقول التوراة، وبالنظر إلى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر فيه كل الحضارات.

وبناء على ذلك ومن وجهة النظر التاريخية يمكن التأكيد بأن قصة الطوفان كما تقدمها التوراة تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة ولاشك أن وجود روايتين متناقضتين هو دليل حاسم على تعديل البشر لهذه القصة^(٣).

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٥٣، ٢٤٥.

(٢) راجع الفصل الثاني من الباب الأول الخاص بالديانات وسنجد أن الشعوب القديمة يرجع وجود بعضها إلى عصور موعلة في القدم.

(٣) راجع تفاصيل ذلك: موريس بوكاي: المصدر السابق ص ٥٣ - ٥٤، ٢٤٥ - ٢٤٦، صموئيل هوك: منعطف المخيلة البشرية ص ٤٠، ٢٤٥ - ٢٤٦، عصام الدين حفي ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٦٨ - ١٦٩، ١٧٤: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ٣٦.

ويذهب كثير من العلماء أمثال: صموئيل نوح كريم^(١)، وصموئيل هنرى هووك^(٢) وجيمس فريزر^(٣)، وول ديورانت^(٤)، وويلز^(٥)، وغيرهم^(٦) - بل يكادون يتفقون - على أن قصة الطوفان كما وردت في سفر التكوين ليست قصة عبرية خالصة أصيلة وإنما أخذها الإسرائيليون من قصص وتراث ما بين النهرين، ولكن القصة لم تنقل بطريقة عمياء وإنما تصرفوا فيها بطريقة تتفق وأهداف كتابهم المقدس، ذلك لأن القصة التوراتية هي نفس القصة التي وجدت على ألواح مكتوبة منذ فترة ترجع إلى ما قبل عصر إبراهيم عليه السلام^(٧).

ويذكر صموئيل نوح كريم^(٨) أننا الآن صرنا متأكدين من أن قصة الطوفان التي وردت في التوراة لم تكن في الأصل من وضع مدونى أسفار التوراة وذلك منذ أن اكتشف جورج سميث اللوح الحادى عشر من ملحمة جلجامش وحل رموزه والذي يشتمل على قصة الطوفان البابلية^(٩).

(١) من ألواح سومر ص ٢٥١ وما بعدها.

(٢) منعطف المخيلة البشرية ص ٣٥.

(٣) الفولكلور في العهد القديم ص ١٨٦ وما بعدها.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

(٥) موجز تاريخ العالم ص ٩٠.

(٦) من أمثال ليوناردو ولّى، وأدولف لودز، وستانلى كوك، وجورج بارتون، وجاك فيجان، ويونجر

(د/ محمد بيومى مهران: دراسة حول قصة الطوفان ص ٤١٥ - ٤١٦).

(٧) د. محمد بيومى مهران: المصدر السابق نقلا عن ليوناردو ولّى.

(٨) من ألواح سومر ص ٢٥١.

(٩) يوجد لدى البابليين قصة مفصلة عن الطوفان فقد عثر جورج سميث في خرائب نينوى على لوح "ساردانا بوليس" وخلاصة هذه القصة أنه لما شاع الفساد والانحلال عول "انليل" على إغراق البشر ثم أرسل إلى "لوتونشيتيم" ليصنع فلكا ينجو به هو وأهله وتصف القصة كيف أن الآلهة بعد أن خلقت البشر لم تلبث أن غضبت عليهم فأرسلت عليهم طوفانا عارما لتهلكهم وتمحو به سئ أعمالهم وكيف أن إله الحكمة قد أشفق على البشر واعتزم أن ينجي منهم على الأقل رجلا واحدا وظل الطوفان مهتاجا وغص البحر بالخلق ثم بكت الآلهة على حين غفلة وعضت بنان الندم على غفلتها وسوء تدبيرها وتساءلت "عمن سيقرب لها القربان المعتاد؟" ولكن "أوتونشيم" كان قد بنى فلكا ونجا من الطوفان وحط على جبل نيزير وأرسل يامة تستطلع، ثم قرر أن يقرب القربان للآلهة وقبلت الآلهة قربانه وهى مندهشة شاكرة، و"شمت الآلهة الرائحة الزكية، واجتمعت كالذباب فوق القربان؟؟؟".

ويذهب إلى أن قصة الطوفان البابلية هي بدورها سومرية الأصل^(١) إذ أن قصة الطوفان السومرية تتفق في ملامحها الأساسية مع قصة الطوفان البابلية التي تحتوي عليها ملحمة جلجامش تلك القصة التي تتميز عن أختها السومرية بطولها البالغ وكثرة حوادثها.

ففي كلتا القصتين قرر إله كبير "انليل" أو "بل" أن يهلك الجنس البشرى عن طريق إغراق الأرض بالأمطار.

وفي كليهما حذر إله آخر هو "انكي" أو "ايا" رجلا من حدوث الكارثة، وقد أنقذ هذا الرجل الذي قبل النصيح بأن لجأ إلى السفينة التي أمره الإله ببنائها.

وفي كلتا الحكايتين بلغ الفيضان ذروته في اليوم السابع، وفي كليهما يقدم الإنسان ضحية للآلهة بعد أن انتهى الطوفان، ثم رفعته الآلهة بعد ذلك إلى مصافها.

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بين القصتين فيتمثل في اسم البطل فيهما فهو في السومرية يدعى "زيودسودو" وفي البابلية يدعى "أوتناشتيم" أو "أثرخاسيس"^(٢).

= راجع تفاصيل قصة الطوفان البابلية : ول ديوارنت : قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٢١٨ طه باقر وبشير فرنسيس : ملحمة جلجامش والطوفان مجلة سومر ص ٤٢ - ٨٠ د/ فاضل عبد الواحد: ثم جاء الطوفان المجلد ٣١ من مجلة سومر ص ٧ - ٣٧ سنة ١٩٧٥ م، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٠٤ ج ٦ ص ٣١٧ - ٣٦٤ جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ص ١٦٢ - ١٧٣، صموئيل هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ٣٨ - ٤٨.

(١) لقد تأثر الكتاب البابليون بقصة الطوفان السومرية بصورة مباشرة فأخذوا موضوعها وخطوطها العريضة ولكنهم اضافوا إليها كما فعلوا ذلك بالنسبة لمعظم التأليف الأدبية ذات الاصل السومري، وقد تم العثور على قصة الطوفان السومرية في بداية هذا القرن ونشرها لأول مرة الاستاذ بوبل عام ١٩١٤ وعلى الرغم من أن الباحثين لم يعثروا إلا على النصف السفلى من اللوح الذى نقشته عيه قصة الخلق السومرية فإن هذا القدر يكفى مع ذلك لأن يمدنا بالخطوط الأساسية لقصة الطوفان السومرية ويظهر من تفاصيل هذه القصة أنها تتناول بصورة رئيسية ثلاث قضايا اساسية أولها خلق الإنسان والكائنات وثانيها حدوث الطوفان الذى أريد به القضاء على البشر كليا، وثالثها أن هناك منقادا يقوم ببناء سفينة للنجاة وأنه يكافأ مقابل ذلك بالخلود.

راجع تفاصيل الحديث عن الطوفان السومرية: جيمس فريزر المصدر السابق ص ١٧٣ - ١٨٥، د/ فاضل عبد الواحد: ثم جاء الطوفان ص ٥ - ٧، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ١٧٦، راجع أيضا المصادر السابقة الخاصة بالقصتين.

وفيمما يتعلق بالعلاقة بين قصة الطوفان السومرية وبين قصة الطوفان التوراتية فإن العلماء قد ذهبوا على أنها يتفقان من حيث أن كليهما تعالج موضوع خلق الإنسان وحادثة الطوفان بوصفها حادثتين حدثتا في فجر تاريخ الحياة، وترتبط إحداها بالأخرى كل الارتباط وأكثر من هذا فإن القصة السومرية تتفق مع المصدر اليهودي وتعارض المصدر الكهنوتي في الوقت نفسه من ناحية أن الإله خلق الإنسان أولا قبل خلقه صنوف الحيوان^(١).

أما بخصوص العلاقة بين حكايتي الطوفان العبرية والبابلية فإن جيمس فريزر يذكر أنه ربما كانت المقارنة بينهما كافية لأن تؤكد أن كلتا الحكايتين لم تنشأ في الأصل مستقلة، بل إن من المؤكد أن إحداها اعتمدت على الأخرى، أو أنها استمدتا معا من أصل واحد.

ويرى أن وجوه الاتفاق بين الحكايتين تتعدد حتى تشمل التفاصيل الجزئية بحيث لا يمكننا أن نرجع هذا إلى محض الصدفة^(٢).

ومن هذه التفاصيل الجزئية أن في كلتا الحالتين أرسل الرجل الذي أنقذ طائرين غرابا وحمامة ليرى عن طريقهما ما إذا كانت مياه الطوفان قد انحسرت عن الأرض.

(١). جيمس فريزر: المصدر السابق ج ١ ص ١٧٤.

(٢). الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ١٨٦، وقد كان للشيخ الباجي تعليق ومؤاخذه على حكاية إرسال الغراب ومن بعده الحماسة كما ورد ذلك في سفر التكوين يقول الشيخ: "كيف يحسن أن يقال وكان بعد أربعين يوما فتح نوح طاق التابوت... وأرسل الغراب ينظر إن كان قد قل الماء (تكوين ٨: ٦) مع أنه قد قال قبله "فظهرت رؤوس الجبال في اليوم الأول من الشهر العاشر (تكوين ٨: ٥) فإذا كانت قد ظهرت رؤوس الجبال من قبل ذلك بأربعين يوما، بل وتزداد ظهورا في تلك المدة فكيف يحتاج في معرفة أن الماء قد قل إلى إرسال غراب أو غيره، فإنه بالمشاهدة ترى رؤوس الجبال بعد أن كان الماء مرتفعا عليها خمسة عشر ذراعا فيعلم نقصان الماء، ثم يذكر الشيخ الباجي أنه كيف يحسن أن يرسل نوح الحماسة بعد ذلك فلم تجد موضعا لرجليها مع أن رؤوس الجبال قد ظهرت من قبل ذلك فإنها تجد لرجليها موضعا على رؤوس الجبال.

ثم إن بعثها وبعث الغراب لكشف ذلك يستدعي أن يعرف لغة الطير ولم يثبت ذلك لنوح ولا لغير سليمان - عليه السلام - ولو كان يعلمها وأمرها بلغتها لما خالفت في المرة الثالثة لما بعثها حيث أرسلها فلم ترجع (على التوراة ص ٥٠ - ٥١).

وفي كليهما عادت الحماة إلى السفينة لأنها لم تجد مكانا تستقر فيه أما الغراب فلم يعد في كلتا الحكايتين.

وفي كليهما رست السفينة على جبل، وفي كليهما اشتهت الآلهة رائحة الشواء الطيبة فسكن غضبها.

ومن المحتمل أنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون البطل الذى أنقذ من الطوفان فى الحكاية البابلية - وفقا لرواية "بيروسوس" هو ملك بابل العاشر، وأن يكون نوح فى الحكاية العبرية هو الرجل العاشر فى نسل آدم^(١).

وهكذا تتعدد وجوه الشبه بين الحكايتين البابلية والعبرية فى مجموعتهما، فإذا شئنا بعد ذلك أن نتعمق التفاصيل فإننا نجد أن الحكاية البابلية أقرب إلى الحكاية اليهودية منها إلى الحكاية الكهنوتية.

فكل من الرواية اليهودية والبابلية تعطى أهمية للعدد سبعة:

فقد حذر نوح فى الرواية اليهودية من حدوث الطوفان سبعة أيام على التوالى كما أخذ معه فى السفينة سبعا من كل صنف من صنوف الحيوانات الطاهرة.

ثم إن المسافة الزمنية بين إطلاقه طائرا وآخر كانت سبعة أيام، وبالمثل دام الطوفان فى الرواية البابلية حتى بلغ قمته سبعة أيام كما أن البطل فيها وضع مجموعات من أوعية التضحية فوق الجبل، وكانت كل مجموعة تتكون من سبعة أوعية.

وتؤكد كل من الروايتين البابلية واليهودية أن باب السفينة أوصد بعد أن دخلها الرجل وأسرته وصنوف الحيوانات التى اختارها.

وفي كليهما صورت الحادثة المثيرة: حادثة إرسال الحماة ثم الغراب من السفينة كما أن الضحية قدمت كلتا الحكايتين وقد اشتهت الآلهة رائحة الشواء وسكن غضبها^(٢).

(١) جيمس فريزر: المصدر السابق ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨، صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ١٠٩ - ١١٠، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٤٣٣ - ٤٣٥.

على أننا نجد من ناحية أخرى أن الحكاية الكهنوتية في سفر التكوين تقرب من الحكاية البابلية في بعض التفاصيل المحددة، أكثر من اقتراب الرواية اليهودية. ففي كل من الروایتين: الكهنوتية والبابلية أصدرت الآلهة تعليمات محددة إلى البطل لبناء السفينة.

وبناء هذه التعليمات، بنيت السفيتان في أنها طليت في كل منها بالقار أو القطران ورسّت كل منهما على جبل، واستقبل البطلان بركة الإله عند خروجهما^(١).

هذا وقد عرض قاموس الكتاب المقدس لقصتي الطوفان: السومرية والبابلية وانتهى الكاتب إلى أنه لجلي أن بين الرواية العبرية والرواية البابلية عناصر مشتركة كثيرة، وربما رجعا كلاهما إلى مصدر واحد^(٢).

ونقل الأب ديلي في كتابه "تاريخ شعب العهد القديم" جدولاً وضعه أحد العلماء ويظهر في هذا الجدول أوجه الشبه والقرابة بين رواية الكتاب المقدس ورواية التقاليد البابلية^(٣).

بل إن صموئيل هنرى هووك وضع نقاط التشابه والاختلاف بين نسخة الكاتب اليهودي - ونسخة الكاتب الكهنوتي وبين اعتماد النسختين على مصادر أرض الرافدين في شكل جداول^(٤).

فإذا كانت القصتان اليهودية والبابلية عن الطوفان تتشابهان إلى هذا الحد فكيف يمكننا أن نفسر هذا التشابه؟

يذكر فريزر أن الرواية البابلية لا يمكن أن تكون مستمدة من الرواية العبرية حيث إن الرواية البابلية أقدم من الرواية العبرية بما يقرب من أحد عشر أو اثني عشر قرناً.

(١) جيمس فريزر: المصدر السابق ص ١٨٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨٢ - ٥٨٤.

(٣) تاريخ شعب العهد القديم ص.

(٤) منعطف المخيلة البشرية ص ١١٢.

وفضلا عن ذلك فإن الحكاية العبرية في جوهرها، كما لاحظ "تسيمرن" تقضى بأن يكون البلد المشار قابلا لحدوث الفيضانات مثل بابل الذى لا يدع مجالا للشك فى أن الحكاية "نشأت أصلا فى بابل، ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلسطين"^(١).

والواقع أنه لا يمكن قبول رأى فريزر وغيره من العلماء على وجه الإطلاق حيث إن قصة الطوفان الأصلية ترجع إلى الوحى السماوى سواء كان هذا الوحى قد نزل على سيدنا نوح أو من خلال صحف الخليل إبراهيم عليهما السلام.

بالإضافة إلى أنه من المحتمل جداً أن تكون التوراة الأصلية قد تضمنت إخبار الله لسيدنا موسى بحادث الطوفان.

لكن من المقطوع به على هدى القرآن الكريم، وعلى ضوء الدراسات التى ذكرتها عن فقدان اليهود للتوراة المنزلة وتحريفهم لها، من المقطوع به أن الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية بما تحتوى عليه من قصص وغيرها ليست وحيا خالصا ولا يمكن أن يعتد بكل ما فيها بل إن ثبوت تحريفها وتغييرها جعلنا لا نميز فيها بين الصحيح والفاسد.

وانطلاقا من هذا كله فإن اليهود يكونون قد خلطوا ما تبقى لديهم من وحى بما كان - يتردد على ألسنة الشعوب القديمة وبما شاع فى أوساطهم الثقافية والشعبية.

ثم أنهم قد اطلعوا على قصتى الطوفان: السومرية والبابلية وهم فى بابل حيث - كان التراث العراقى القديم تحت أيديهم وتبها لهم النظر فيه فعكفوا عليه وأخرجوا لنا تلك القصة التى بين العلماء تناقضها ثم اكتشفوا ازدواجها وأرجعوها إلى روايتين: - يهوية، وكهنوتية.

ولاشك أن هذه الاختلافات الكثيرة والتناقضات الصارخة ترجح أن اليهود قد تلاعبوا بنصوص القصة الأصلية وأضافوا إليها من أهوائهم ثقافتهم المتعددة.

ولعل الذى يستوقف النظر حقا تلك الأوصاف البشرية التى خلعوها على الرب أثناء عرضهم لقصة الطوفان.

(١). الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ١٨٨.

فقد ذكر مثلاً في سبب الطوفان أن الرب حينها: "رأى أن شر الإنسان قد كثر في الأرض حزن أنه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال أحو عن وجه الأرض الانسان - الذي خلقته، الانسان مع بهائم ودبابات لأنى حزنت أنى عملتهم"^(١).

فهكذا صور اليهود الله سبحانه بصورة لا تليق به... جعلوه غير مدرك لأبعاد- ما يصنعه... غير عارف بما سيحدث من الإنسان مستقبلاً، حتى يندم على خلقه لأنه لم يتوقع منه أن ينحرف.

يقول الشيخ الباجي "كيف يحسن أن يقال : "وتأسف الله على آدم اذ خلقه على الأرض "فإن الله سبحانه لا يتأسف على شيء، لأنه يعلم بما يكون قبل أن يكون فلا يفعل إلا كما يريد، فلا يلحقه فيه ندم ولا تأسف - سبحانه وتعالى - وإنما ذلك في حق عاجز جاهل بعواقب الأمور"^(٢).

وأيضاً فإن كتبة الطوفان قد ذكروا أن نوحاً عليه السلام بعد أن انحسر الطوفان بنى مذبحاً للرب وأصعد له محرقات عليه "فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان... ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت"^(٣).

فإلى هذا الحد تؤثر فيه رائحة الشواء حتى يندم أشد الندم على إهلاك البشر بالطوفان ويعزم في قلبه على أنه لن يعود أبداً ليلعن الأرض ويهلك الأحياء.

يقول الدكتور بدران محمد بدران "هكذا صور كتبة التوراة اله إسرائيل تندم لأنك خلقت الانسان. ثم تعود فتندم لأنك ندمت أنك خلقت الإنسان. صوروك بصورة الإله المرتشى... لمجرد أن نوحاً أحرق لك بعض البهائم والطيور وصعدت رائحة الشواء لك في السماء ندمت.. لأنك عرفت أن الانسان طيب وليس شريراً

(١) تكوين ٦: ٥ - ٧.

(٢) على التوراة ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) تكوين ٨: ٢١.

كما تصورت وظهر ندمك في أنك جعلت الأرض خصبة له طول العام ونوعت الجو خلقت البرد والحر والصيف والشتاء فعلت كل هذا من أجل رائحة الشواء التي تنسمنها لهذا السبب يكثر الإسرائيليون من حرق الذبائح" (١).

بل إن كتبة قصة الطوفان بالغوا في هذا الشطط حينما ذكروا أن الرب قد أخذ على نفسه ميثاقا مع نوح وبنيه "أقيم ميثاقا معكم فلا ينقض كل ذى جسدا أيضا بمياه الطوفان ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض" (٢).

فإن لفظ "العهد" بأنه لا يقع الطوفان على الأرض أبدا سواء أفسد أهلها أو لم يفسدوا، لا يحسن لوجهين:

أحدهما: أنه لا يناسب نفس الشرائع فإنها محشوة بتهديد المكلفين بعقوبات الدنيا والآخرة على معاصيهم ليخافوا، فيستقيموا على طاعته سبحانه وتعالى فإن إعلامهم بعدم المؤاخذة، لا سيما بلفظ المعاهدة غير المناسب لذلك النفس بل هو ينافيه.

وثانيهما: إن المسامحة بالمؤاخذة يكفى فيه لفظ العفو عن المعصية، أو ترك التكليف بتجريمها فأما استمرار التكليف مع المعاهدة على ترك المؤاخذة فلا وجه له ولا تحسن هذه المعاهدة إلا في مهادنة طائفتين من البشر، لتأمن كل منهما من شر الأخرى: فيؤمنها شرها أيضا، تعالى الله عن ذلك (٣).

ولكى لا ينسى الله هذا الميثاق جعل لنفسه علاقة ليتذكره بها هذه العلامة هي قوس السحاب أو ما يسمى بقوس قزح (٤).

"وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر، ووضعت قوسى فى السحاب فتكون

(١). التوراة: العقل . العلم . التاريخ ص ٤٦ .

(٢). راجع سفر التكوين ٩: ٨ - ١١ .

(٣). علاء الدين الباجي: على التوراة ص ٥٥ - ٥٦ .

(٤). ورد فى قاموس الكتاب المقدس - أن قوس قزح عبارة عن نصف دائرة ملونة تحدثها أشعة الشمس على نقط الماء الساقطة - ويظهر بأجلى بيان إذا كان الناظر بين الشمس من الجانب الواحد والسحاب من الجانب الآخر ويظهر أيضا بقرب الشلالات والنوافير (قاموس ص ٧٤٧).

علامة ميثاقى بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض ويظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاقى - الذى بينى وبينهم وبين كل نفس حية فى كل جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض، وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل جسد على الأرض^(١).

فهل الله سبحانه قد ندم على إحداث الطوفان وهل يأخذ على نفسه الميثاق بعدم - تكرار هذا الطوفان مرة أخرى، وهل هو ينسى حتى يذكره أحد؟
يذكر الشيخ الباجى أن كون القوس علامة العهد لا يحسن لوجهين:

أحدهما: إن القوس لا يكون فى كل غمام، بل فى القليل من أوقات الغمام، وهو وقت رقة الغمام حيث لا يكون موجبا لكثرة الأمطار التى يخاف منها الطوفان فلا تحصل العلامة وقت الحاجة إليها بل وقت الاستغناء.

وثانيهما: أن عهده بأنه لا يرسل الطوفان عليهم أن لم يعتمدوا على صدقة، فقوله: إن القوس علامة لعهده، لا يعتمدون أيضاً على صدقه، وإن اعتمدوا على صدقه فلا حاجة إلى هذه العلامة التى لا تناسب الطوفان ولا عدمه، ولا تنطلى إلا على ضعيف العقل، ثم ان قوله " وليكن قوس فى الغمام أراه وأذكر عهدي " يفهم منه : أن رؤية القوى تذكره - سبحانه وتعالى بالعهد.

وهذا لا يتوهمه أحد من العقلاء أن النسيان يجوز تطرقه إليه - سبحانه - حتى يتذكر برؤية القوى، فيكف يجوز أن يخبر به - سبحانه - عن ذاته المقدسة^(٢).

ولا شك أن قصة قوس قزح هذه تشبه رواية الأساطير ولا تليق بكتاب مقدس ولا بأى فكر علمى... ويأتى سؤال يقول: أليس الله بخالق الكون وواضع ناموسه؟

(١) تكوين ٩: ١٢-١٧.

(٢) على التوراة ص ٥٦-٥٧.

ألا يعرف اله اسرائيل إن قوس قزح يظهر في السماء حاويا ألوان الطيف السبعة عند التقاء أشعة الشمس ببخار الماء فتتكسر أشعة الشمس في مناشير بخار الماء التي تحلل - بدورها شعاع الشمس مكونة قوس قزح^(١).

والواقع أن تصوير كتبة التوراة للرب بأنه بعد أن تنسم رائحة الشواء قد ندم على حدوث الطوفان وعزم في نفسه على عدم تكراره، وقال لا أعود ألعن الأرض أبدا وأخذ على نفسه الميثاق ووضع قوس قزح علامة لتذكره بهذا الميثاق، وكل هذا يذكرنا بالرواية البابلية التي ورد فيها أن الآلهة تجمعن على مذبح الذبيحة كما يجتمع الذباب واستنشقت الرائحة الزكية، وأخذت بعض الآلهة تؤنب الآلهة الأخرى التي أحدثت الطوفان ثم أخذت الآلهة جميعا ميثاقا على نفسها بعدم إهلاك البشر مرة أخرى ووضعوا عقد عشتار اللازوردي كذكرى^(٢).

ويذكر الدكتور محمد عبد المجيد أن قصة الطوفان - كما وردت في التوراة - تتشابه مع أساطير الطوفان السومرية والبابلية وخاصة أسطورة جلجامش في التراث البابلي في بعض تفاصيله.

فقد احتوت على عبارات تنافي العقيدة الموسوية ومثال ذلك أنه عندما أراد الكاتب أن يمهد لقصة الطوفان استخدم عبارة "بنى ألوهيم" وهذه العبارة حرفيا تعنى "أبناء الأرباب" وربما نقل الكاتب العبارة البابلية.

ويبدو أن كاتب التوراة قد تأثر في تمهيده في الاصحاح السادس (١-٧) بما جاء في أسطورة "أنوماليس" من ازعاج الآلهة الأبناء للآلهة الكبار، وتفكير الآلهة الكبار في التخلص من الآلهة الصغار بالإبادة.

فكما تذكر الأسطورة البابلية أن الآلهة الصغار تكاثرت وسيبت الازعاج للآلهة الكبار، يذكر سفر التكوين أن بنى الإنسان تكاثروا وكثرت خطاياهم وندم الرب على خلقهم وفكر في التخلص منهم بالطوفان، وكما غضب يهوه في قصة نوح فقد

(١) د/ بدران محمد بدران: التوراة . العقل . التاريخ . ص ٤٧ .

(٢) راجع الإشارة إلى قصة الطوفان البابلية في هذا الفصل .

غضب انليل في قصة الطوفان البابلية على الناس بعد تكاثرهم وازدياد ضجيجهم^(١).

ولكن إذا كان اليهود قد أخذوا بعض حكاية الطوفان عن البابليين فمتى وكيف تم ذلك؟.

يذكر جيمس فريزر أنه من المحتمل كل الاحتمال أن اليهود قد عرفوا هذه الحكاية البابلية أثناء تعرفهم على التراث البابلي إما عن طريق الروايات الشفهية أو المدونة وذلك في أثناء أسرهم في بابل أو ربما بعد عودتهم إلى فلسطين^(٢).

ويحق لنا أن نفترض أن العلاقة الوثيقة بين البلدين التي مهد لها الغزو البابلي لفلسطين ربما أدت على نحو ما إلى انتشار الأدب البابلي في فلسطين. كما أدى هذا - السبى إلى انتشار الأدب اليهودى في بابل.

وبناء على وجهة النظر هذه فإن بعض هذه التفصيلات التى تختلف فيها الرواية الكهنوتية عن الرواية اليهودية وتتفق فيها مع الرواية البابلية قد نقلها الكتاب الكهنوتيون مباشرة عن المصادر البابلية، وهذه التفصيلات تتعلق ببناء السفينة وطلائها بالقار أو - القطران اللذين يعدان بصفة خاصة من منتجات بابل^(٣).

على أن هناك رأياً آخر يذهب إلى أن اليهود قد عرفوا قصة الطوفان البابلية قبل أن يؤخذوا في الأسر بزمان طويل.

ويرجح ول ديورانت هذا الرأى ويذكر أنهم أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى^(٤).

ويذهب كثير من العلماء إلى أن اليهود أخذوا بعض قصة الطوفان بعد أن استقروا في فلسطين عن طريق الكنعانيين سكان البلاد الأصليين الذين عرفوها بدورهم عن طريق الأدب البابلي في حوالى الألف الثانى ق.م.

(١) اليهودية: ص ١٨١.

(٢) راجع الفصل الخاص بفترات السبى البابلي.

(٣) الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٦٨.

فقد كان للثقافة البابلية أثر هام خالد في فلسطين الكنعانية، وعن طريق الكنعانيين وصل أثر البابليين في الفن والأدب والدين إلى العبرانيين.

وبناء على ذلك فإن قصة الطوفان البابلية قد شقت طريقها متجهة غربا شطر البحر الأبيض المتوسط حتى انتشرت في "سوريا وفلسطين حتى انتقلت إلى اليهود عن طريق الكنعانيين^(١).

وهذا الرأي تؤيده كل التأييد الحكاية اليهودية في سفر التكوين التي يمكن أن - ترجع إلى القرن التاسع ق.م والتي لا يمكن أن تتأخر بحال من الاحوال عن القرن الثامن^(٢) ق.م.

هذا وقد لعب الخيال اليهودي في العصور المتأخرة بحكاية الطوفان فأضاف إليها تفاصيل جديدة تميل في الغالب إلى المغالاة، وذلك فيما يبدو، بقصد اشباع شغف العبريين في عصر انحطاطهم أو مداعبة مزاجهم في هذا العصر، ذلك المزاج الذي لم يكن يقتنع ببساطة بحكايات سفر التكوين.

ومن بين هذه الزخارف الرخيصة أو الاضافات الغربية التي أضيفت إلى القصة القديمة تصور الناس وهم يعيشون في دعة قبل أن يحدث الطوفان، فقد كانوا يجنون من زراعة واحدة محصولا يكفي حاجتهم طيلة أربعين عاما، كما كانوا بفنونهم السحرية، يسخرون - الشمس والقمر لخدمتهم، ولم تكن الأجنة تمكث في بطون أمهاتها سوى بضعة أيام بدلا من تسعة شهور، وبمجرد أن يولد الأطفال يكونون قادرين على الكلام والسير على الأقدام، بل أنهم يتحدثون الشياطين ويستنهضون^{٣٣٠}.

ولقد كانت هذه الحياة السهلة المرفهة هي السبب - كما يزعمون - فيما وصل إليه الناس من ضلالة كما كانت دافعا لهم على ارتكاب الاثام، وبخاصة الفسق والسلب، الأمر الذي أثار غضب الرب وجعله يقرر أن يقضى على العاصين بأن

(١) بريستيد: فجر الضمير ص ٣٦٠ - ٣٦١ . ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) فريزر: الفولكلور في العهد القديم ص ١٨٩.

يغرقهم في الطوفان، ثم أمهلهم الرب أسبوعا كانت الشمس تشرق كل صباح من المغرب وتغرب في المساء من المشرق، ولكن هذا لم يردعهم^(١).

ومن هذه الزخارف أيضا أن الطوفان قد تسبب عن التقاء المياه المذكورة التي هطلت من السماء بالمياه الأنثوية التي تدفقت من تجاويف صنعها الرب بأن انتزع نجمين من برج الثريا فتركا مكانهما تجويفا، وعندما شاء الرب بعد ذلك أن يسكت الأمطار الهائلة من السماء عاد فسد التجويفين بنجمين أحدهما من برج الدب، وهذا هو السبب في أن برج الدب مازال يلاحق برج الثريا حتى اليوم مطالبا بأولاده ولكنه لن يحصل عليهم إلى الأبد.

وذكروا أيضا أن نوحا لم يدخل جميع الحيوانات التي أتت إليه جماعات في أعداد كبيرة للغاية - في الفلك وكان عليه أن يجلس عند بابه ليختار بعضها فأدخل في الفلك الحيوانات التي كانت تجلس عند الباب، وأبعد التي كانت واقفة وحتى بعد أن نفذ نوح هذا المبدأ من الاختيار الطبيعي بصرامة، كان عدد أنواع الزواحف التي دخلت الفلك لا يقل عن ثلاثمائة وخمس وستين صنفا، كما بلغ عدد أنواع الطيور اثنين وثلاثين نوعا، ولم يخص نوح عدد أنواع الحيوانات الثديية أو أن الكاتب على الأقل لم يدون - عددها.

وكان هناك حيوان ضخيم هو الريم لم يجد له مكانا في الفلك لضخامته ولهذا فقد قيده نوح بحبل طويل ربطه في الفلك وأخذ الحيوان يخب من ورائها.

ويذكرون أن هناك زوجا غريبا وجد له مكانا في الفلك وهو النفاق والخبية، وكان النفاق قد جاء وحده أول الأمر ووقف على باب الفلك ولكن نوحا منعه من الدخول لأنه لم يكن يسمح بالدخول سوى للمتزوجين فانصرف النفاق وتقابل مع الخبية فأقنعها بأن يكون زوجها لها ويرحل معها إلى الفلك وبذلك قبلا معا بالسفينة^(٢).

(١) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ بتصرف واختصار شديد.

على أن مشكلة المشاكل التى كان على نوح أن يواجهها فى الفلك - كما ترعّم هذه الروايات - هى مشكلة توزيع المؤن.

فقد حكى "سام" ولد نوح بعد ذلك بزمان إلى "اليعازر" خادم إبراهيم عن المشقة التى كان نوح يعانيتها فى "سبيل إطعام جيش الوحوش داخل الفلك، فقد كان - يصعد ويهبط داخل الفلك عدة مرات فى الليل والنهار إذ كان عليه أن يطعم حيوان النهار نهاراً، وحيوان الليل ليلاً، كما كان يقدم الطعام للمارد "عوج" من خلال ثقب فى سقف السفينة".

وعلى الرغم من أن الأسد كان هادئاً نسبياً إذ كان يعانى طوال الوقت من آلام الحمى فإنه كان فظاً للغاية وعلى استعداد لأن يزار لأقل إثارة.

وذات مرة لم يقدم له نوح الغذاء الكافى فضربة الحيوان النبيل بكفه ضربة عنيفة أصابته بالعرج سائر أيام حياته، فأصبح بعد ذلك غير قادر على أن يقوم بعمله بوصفه كاهناً.

وتذكر هذه الروايات أن نوحاً قد اطلق الغراب ليستطلع الأمر ويقدم له تقريراً عن الطوفان ولكن الغراب وجد جسماً يطفو على الماء فأسرع وراءه ليلتهمه ونسى أن يعود إلى نوح ليقدم التقرير فأطلق نوح بعد ذلك بأسبوع الحمامة ثلاثة مرات وفى المرة الثالثة عادت وعلى منقارها ورقة من شجر الزيتون وكانت قد انتزعتها من فوق جبل الزيتون فى أورشليم ذلك أن الطوفان لم يكن قد أغرق المدينة المقدسة!!^(١).

قصة الطوفان كما وردت فى القرآن الكريم:

ولعله قد حان الوقت بعد أن تقلبت بنا قصة الطوفان بين خرافات السومريين وأساطير البابليين وخلط الإسرائيليين أن نسارع إلى القرآن الكريم لتتعرف فى إيجاز على قصة الطوفان كما أنزلها الحكيم الخبير - فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم^(٢).

(١) نقلاً عن فريزر: المصدر السابق بتصرف واختصار ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) ومن هذه السورة الكريمة: سورة الأعراف: (٥٩ - ٦٤)، وسورة يونس: (٧١ - ٧٣) الأنبياء: (٧٦ - ٧٧)، المؤمنون: (٢٣ - ٢٩)، الشعراء: (١٠٥ - ١٢١) الصافات: (٧٥ - ٨٢)، القمر: (٩ -

لكن سورة هود قد اشتملت على أغلب أحداث تلك القصة إن لم يكن كلها^(١).

فالقرآن الكريم لا يقدم عن الطوفان رواية مستمرة فهناك سور عديدة تتحدث عن العقاب الذى وقع على شعب نوح، أما أكثر الروايات كما لا فهى فى سورة (هود) أما سورة (نوح) كلها فهى تذكر بشكل خاص موعظة نوح كما تفعل ذلك الايات من ١٠٥-١٢١ من سورة الشعراء وإن كان فيهما إشارة موجزة إلى الإغراق.

ويذكر موريس بوكاى أن القرآن الكريم يقدم رواية شاملة عن الطوفان مختلفة عن رواية التوراة ولا تثير أى نقد من وجهة النظر التاريخية^(٢).

وهناك فروق جوهرية كثيرة بين قصة الطوفان كما أخبر بها القرآن الكريم وبين القصة التى وردت فى توراة اليهود.

ومن هذه الفروق أن القرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص على شعب نوح بعد أن أنذرهم به زمنا طويلا ليتفادوه.

فعلى حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمى لعقاب كل البشرية الكافرة يشير

(١). هود: ٢٥-٤٩.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص٢٤٦، هذا ويجب دائما أن نفرق بين ما ورد فى القرآن بخصوص هذه القصة وبين ما أضافه المفسرون وما نقلوه عن الاسرائيليات كاختلافهم فى طول السفينة وارتفاعها وفى أمر التنور وما تبع ذلك من خرافات ومبالغات دون الاعتماد على السند الصحيح فى هذا الشأن، وكذلك الأمر عن دخول الحيوانات إلى السفينة وكيف أن ابليس دخل إلى السفينة فى ذيل حمار. يذكر الدكتور محمد بن محمد ابو شهبه أن بعض كتب التفسير قد أحاطت سفينة نوح بهالة من العجائب والغرائب: من أى خشب صنعت؟ وما طولها؟ وما عرضها؟ وما ارتفاعها، وكيف كانت طبقاتها، ذكروا خرافات فى خلقه بعض الحيوانات من الأخرى - وقد بلغ الأمر ببعض الرواه أن ينسبوا هذا إلى النبى - ﷺ - وأنا لننزه المعصوم من أن يصدر عنه ما نسبوه إليه وإنما هى أحاديث خرافة اختلقها اليهود وأضرابهم على توالى العصور وما كنا نحب لابن جرير ولا للسيوطى أن يسودوا صحائفهم بهذه الخرافات وتلك الأباطيل.

(راجع تفاصيل هذه العجائب وتلك الخرافات والأباطيل فى كتابة: الاسرائيليات - والموضوعات فى كتب التفسير ص٣٠١-٣٠٥). مع مراجعة تفسير المنار ج١٢ ص١٠٤-١٠٥ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ.

القرآن الكريم على العكس إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جيداً^(١).

فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۖ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ۖ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسْلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۖ﴾^(٢).

ويقول تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْرٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۖ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمْنٌ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَبْقِينَ ۖ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ﴾^(٣).

وليس في القرآن الكريم نص صريح على أن الطوفان كان عاما وقد شمل جميع الأرض - وكل أفراد الجنس البشري، وإن كان جمهور المفسرين وأكثر المؤرخين المسلمين قد ذهبوا إلى أن طوفان نوح كان عاما احتجاجا بمثل قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۖ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ﴾^(٤).

بينما يذهب البعض الآخر إلى أن الطوفان كان خاصا وأن النوع الإنساني لم يكن منتشرا في جميع الكرة الأرضية بل كان الناس منحصرين في الناحية التي عمها الطوفان وأنهم قد هلكوا وبقى نوح وذريته^(٥).

(١) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) الفرقان: ٣٥ - ٣٩.

(٣) العنكبوت: ٣٨ - ٤٠.

(٤) سورة نوح: ٢٦ - ٢٧.

(٥) راجع تفسير المنار ج ٢١ ص ٨ - ٩١ الشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٥٢ - ٥٣.

وقد بحث الدكتور محمد بيومي مهران هذه النقطة بحثا مستفيضا فذكر سبعة عشر دليلا على أن الطوفان كان محليا وكان خاصا بقوم نوح دون سواهم من العالمين^(١).

أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن الكريم على عكس التوراة لا يحدد زمن الطوفان ولا يعطى أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها، وبذلك لا يصادم حقائق التاريخ أو ما تعارف عليه المؤرخون كما حدث للتوراة وكما سبق أن بينا ذلك فى هذا الفصل.

هذا بالإضافة إلى أن القرآن يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح فقد أمر الله نوحاً بأن يضع في السفينة كل ما سيعيش بعد الطوفان وقد أنجز نوح هذا الأمر بأمانة.

يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ ﴾ (٢).

والمقصود بمن سبق عليه القول من استبعد من الأسرة: زوجة نوح التي خاتته وابنه الذي غرق بعد أن رفض نصيحة أبيه وتضرع نوح بشأنه إلى ربه: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْنَىٰ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿٣١﴾.

وإذا كان القرآن قد أشار إلى من كان يوجد على السفينة أثناء سيرها دون تناقض - وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤).

فإن التوارد الحالية قد عرضت لهذا الأمر بكثير من التناقض إلى جانب تناقضات كثيرة سبق أن أشرت إليها في هذا الفصل.

(١) دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص٤٣٧ - ٤٤٧ مجلة كلية اللغة العربية بالرباط.

(۲) هو د: ۴۰.

(۳) هو د: ۴۵ -

(٤) النساء: ٨٢.

هذا ويتميز النص القرآنى الكريم - الذى يعرض لقصة الطوفان - عن بقية النصوص سواء كانت تلك النصوص بشرية كنص سومر وبابل أو نصوصا اختلطت فيها أهواء البشر بالوحى السماوى فقدت نقاوتها وصحتها الأولى - بعدة ميزات أذكر منها ما يلى:

١ - أن النص القرآنى هو النص الوحيد الذى حدثنا أن نوحا عليه السلام كان رسولا من رب العالمين وأنه قضى من الزمن ما شاء الله له أن يقضى فى دعوة قومه إلى عبادة الله الواحد القهار^(١). وأن الله - جل وعلا - لم يأت بالطوفان إلا بعد أن تحمل النبى الكريم فى دعوته كل صنوف الأذى والاضطهاد وإلا بعد أن جرب النبى الكريم كل سبل الإقناع وإلا بعد أن حذرهم من حدوث الطوفان وأنذرهم به^(٢).

٢ - إن النص القرآنى هو النص الوحيد الذى يتسامى عن مهاوى الشرك وضلال الوثنية فهو فى صراحة تامة يذكر أن القوم قد حادوا عن عبادة ربهم وانصرفوا إلى عبادة - الأوثان، وفى كل هذا يقدم لنا وصفا لله سبحانه وتعالى - بما يتفق ومقام الذات - العلية - فلا يتنزل إلى الدرك الأسفل من التفكير الوثنى فى قصص العراق القديم أن يصف الله سبحانه وتعالى بما وصفته التوراة الحالية من أوصاف لا يرتضيها عقل ولا يقرها منطق بل هى أوصاف لا يرتضيها عقلاء الناس لأنفسهم فى كثير من الأحيان^(٣).

٣ - إن النص القرآنى هو النص الوحيد الذى نزه الله سبحانه وتعالى عن الندم

(١) ورد فى سورة العنكبوت أنه ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ "العنكبوت: ١٤".

(٢) يقول الله تعالى حكاية عن سيدنا نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاً وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيٓ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾﴾ (نوح: ٥ - ٩)

(٣) راجع الحديث عن قصة الطوفان اليهودية فى هذا الفصل، راجع أيضا د/ محمد بيومى مهران: دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٤٤٨ - ٤٤٩.

على إحداث الطوفان بعكس النصوص الأخرى التى ذهبت إلى ندم الله - أو الآلهة فى النصوص البابلية - على الإتيان بالطوفان.

بل إن التوراة ذهبت إلى أبعد من ذلك حين زعمت أن الله - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - قد عزم ألا يحدث طوفانا بعد ذلك وأنه قد وضع علامة هى القوس فى السماء ليتذكر وعده، فلا يكون طوفانا يغرق الأرض^(١).

٤ - إن النص القرآنى هو النص الوحيد الذى تنزه عن الماديات ذلك أن كلا من النصين - البابلى والتوراتى - يضحى فيه البطل بالأضاحى، فتشم الآلهة فى القصة البابلية ، ويشم الرب فى قصة التوراة، رائحة الشواء فيسكن غضبه ويتنسم رائحة الرضا^(٢).

بل إن القرآن الكريم ليرد على فحش يهود هذا بقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾^(٣).

٥ - أن النص القرآنى هو النص الوحيد الذى يبرأ من الأخذ من المصادر البشرية ذلك أن السومريين - كما يقول الدكتور محمد بيومى مهران - بعد أن كتبوا روايتهم عن الطوفان جاء البابليون من بعدهم وأخذوا منها ما أخذوا، ثم جاءت يهود ونقلت ما نقلت عن الاثنين، وهكذا كانت كل رواية طوفانية تعتمد على رواية سبقت فى التدوين.

ولكن الأمر جد مختلف بالنسبة إلى القصة القرآنية والتى هى وحى من رب العالمين ذلك أنه فى القرن السابع الميلادى وفى مكة المكرمة، وفى غار حراء بدأ نزول الوحى على مولانا وسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قومه على دراية بقصة الطوفان هذه، ولعل هذا كان سببا فى أن يشير القرآن - الكريم إلى ذلك عقب سرده لقصة الطوفان فى سورة هود.

(١) د/ محمد بيومى مهران: المصدر السابق ص ٤٤٩ - ٥٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٥٠ فريز: الفولكلور فى العهد القديم ص ١٨٧.

(٣) الحج: ٣٦.

فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

وإذا كان قد أصبح واضحاً تمام الوضوح إمكانية اتفاق رواية التوراة اليهودية - في تقديمها للطوفان بزمه ومدته - مع مكتسبات المعرفة الحديثة فإنه على العكس من ذلك نجد أن رواية القرآن الكريم تتضح خالية تماماً - كما يقول موريس بو كاي - من أى عنصر مشير للنقد الموضوعى، إذ أنه يتساءل قائلاً:

من عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن الكريم هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقى نوراً على حدث مثل هذا؟ ويجب بقوله:

بالتأكيد لا، فمن العهد القديم إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التى فى حوزة الناس عن هذه الحكاية القيمة هى التوراة الحالية بالتحديد، وإذا لم تكن العوامل الإنسانية لم تستطع أن تشرح التغيرات التى طرأت على الروايات لتتجه بها إلى التوافق مع المعارف الحديثة فيجب أن نقبل شرحاً آخر وهو أن هناك تنزيلاً صافياً من إله قد جاء بعد التنزيل الذى تحتوى عليه بعد أن اختلط بخرافات وأساطير البشر^(٢).

(١) سورة هود: ٣٩ قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٤٥٠ - ٤٥١ بقليل من التصرف.

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٢٤٨. (يذكر الدكتور محمد بيومى مهران أن النص التوراتى عن الطوفان لا يمثل وحياً من الله ولا يمثل الكتابات الإنسانية وإنما هو خليط من هذا وذلك ومن ثم كان أثر النصوص تعرضاً للخطأ فضلاً عن أنه لا يقدم رواية سهاوية مقدسة تماماً ولا وجهة النظر الإنسانية التى فيها ما فى الإنسان نفسه من خطأ أو صواب وإنما هى بين بين) (قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٤٥٠).

القسم الثاني
مظاهر التأثير في الأساطير

obeikandi.com

المبحث الأول: أسطورة برج بابل

من بين المسائل الشائكة التي تتصل بالبحث في أصل الجنس البشرى، مسألة اللغة أو بالأحرى اللغات المختلفة التي تحدثت بها أجناس البشر منذ الأزل. فكيف تعددت هذه اللغات واختلفت كل الاختلاف بعد أن كان الجنس البشرى كلا واحداً يعيش في بقعة واحدة من الأرض؟ هذه المسألة جذبت بطبيعة الحال أنظار العبريين القدماء وفسروها على النحو التالى.

كان الجنس البشرى بأسره يتحدث لغة واحدة في بداية الحياة، ثم انتقل هؤلاء الناس بوصفهم بدوا على هيئة قافلة واحدة كبيرة من بابل، وهناك حطوا رحالهم وابتنوا مساكنهم من الطوب بعد أن ألصقوا بعضه البعض الآخر بملاط من الطين، حيث أنه كان يتعذر عليهم الحصول على الأحجار في التربة الرخوة للمسطحات المستنقة الشاسعة.

على أنهم لم يكتفوا ببناء مدينة، بل رأوا أن يشيدوا برجاً عالياً يصل إلى عنان السماء من نفس المواد التى بنوا بها مساكنهم.

والسبب الذى دفعهم إلى بناء هذا البرج، هو أن يكون البرج علامة لهم من ناحية، وحتى لا يتفرق الناس على سطح الأرض من ناحية أخرى.

ذلك أنه إذا تجول أحدهم خارج المدينة وضل طريقه فى السهول المترامية، فإنه ينظر إلى الوراء غرباً، فيرى من بعيد هذا البرج وهو يقف مظلماً وقد انعكست عليه

أضواء سماء المساء البراقة، أو أنه ينظر شرقاً فيبصر قمة البرج وقد انعكست عليه بقايا أشعة شمس الغروب.

وعند ذلك يسلك طريقه مسترشداً بهذا العلم حتى يصل إلى بيته.

وقد كانت هذه الخطة سليمة. لولا أنهم لم يكونوا قد وضعوا في حسابهم قوة الرب - وغضبه عليهم.

فبينما كانوا يشيدون البرج بقواهم وسواعدهم الفتية، هبط الرب من السماء - في زعمهم - ليبصر المدينة والبرج الذي كان الناس يعملون به في سرعة فائقة، فساء هذا المنظر وقال لهم "هاهم أولاد شعب واحد له لسان واحد، وهذا ما شرعوا في عمله ولن يمنعهم شيء من تحقيق غرضهم".

وزعموا أن الرب كان يخشى أنه عندما يكتمل بناء البرج ويصل إلى عناق السماء يتسلقه الناس ويقضون مضجعه وهو الأمر الذي لم يفكر فيه الناس.

ولذلك فقد عزم الرب - في زعمهم أيضاً - على أن يقضى على هذه الخطة في مهدها وقال لنفسه أو لمجمعه السماوى "لنهبط إلى الأرض ونبلبل لغتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضاً" وعند ذلك هبط الرب ولبلبل لغتهم وفرقهم على وجه الأرض.

ومن ثم فقد كف الناس عن بناء المدينة والبرج، وقد أطلق على هذا المكان اسم بابل ومعناه البلبلة؛ لأن الرب قد لبلبل فيه لغات الناس جميعاً^(١).

هذا هو تعليل اليهود لاختلاف لغات البشر، ولعل من الأفضل أن نطلع على النص الخاص بذلك كما ورد في سفر التكوين حتى يتسنى لنا نقده.

"وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك، وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا

(١) راجع جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ص ٣١٧-٣١٨، د/ نبيلة إبراهيم: مقدمة المصدر السابق ص ٤٤-٤٥.

ونشويه شيا فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين، وقالوا هلم
نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسما ونصنع لأنفسنا اسمًا لئلا يتبدد على وجه
الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنوניהما، وقال الرب
هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداءؤهم بالعمل، والآن لا يمنع
عليهم كل ما ينوون أن - يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع
بعضهم لسان بعض فبدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان
المدينة، لذلك دعى اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك
بددهم على وجه كل الأرض^(١).

ويذكر علاء الدين الباجي أن قولهم "فنزل الرب لينظر المدينة والبرج" لا يحسن
لوجه:

أحدها: أن النزول ممتنع عليه - سبحانه.

وثانيها: أن النزول لينظر، يوهم أن النظر مشروط بالنزول لأن العلة الغائية
مشروطة بوجد الحلول.

وثالثها: أن المدينة والبرج لم يوجد ذلك الوقت ولا بعده بدليل قوله عقيبه
"وكفوا أن يبنوا المدينة والبرج" (تكوين ١١ : ٨).

كذلك فإن قولهم "هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم" لا يحسن لوجه:

أحدها: أن النزول قد حصل قبله بدليل قوله "ونزل الرب" (تكوين ١١ : ٥) -
بصيغة الماضي وتحصيل الحاصل محال.

وثانيها: أنه قرن به قوله "تعالوا ننزل لنبلبل أو لنقسم" وهذا يوهم أنه طلب
الاستعانة بنزول غيره على قسمة ألسنتهم وهذا لا يليق إلا بعاجز عن تحصيل
مقصوده بنفسه - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(١) سفر التكوين ١١ - ١ - ٩.

وثالثها: أنه جعل علة النزول: قسمة أو بلبلة ألسنتهم وذلك يوجب توقف قسمة ألسنتهم على النزول، لأن العلة الغائبة متوقفة على وجود الفعل وليس كذلك لا مكان قسمتها بدون النزول.

ورابعاً: أنه جعل أيضاً ألسنتهم: أن لا يعلم الرجل منهم كلام صاحبه، - وتجهيل الإنسان بما يعلمه لا يليق أن يكون مقصوداً لله تعالى بل اللائق به أن يعلم الإنسان ما لم يعلم^(١).

هذا وقد زخرت رواية عبرية متأخرة هذه الحكاية البسيطة بتفاصيل تصويرية غنية، من هذه التفاصيل نعلم أن فكرة تشييد برج بابل لم يكن يقصد بها سوى التمرد على الإله وإن لم يتفق المتمردون على هدف واحد: فبعضهم كان يرغب في ارتقاء السماء وإعلان الحرب على شخص الإله، وإحلال أصنامهم محله، والبعض الآخر قصر هدفه على فكرة أكثر تواضعاً، هي إلحاق الضرر بالقبو السماوى، وذلك بضربة الرماح والسهام^(٢).

وأن الناس قد ظلوا يشيدون البرج عدة سنين حتى شمش عاليًا، وأصبح على البناء أن - يقضى عامًا كاملاً في سبيل الوصول إلى أعلى البناء وهو يحمل وعاء الملاط فوق ظهره، فإذا هوى البناء ساقطاً وكسرت رقبتة، لم يبال أحد بذلك، إنما ينفجر الجميع في البكاء على الطوب الذى لم يستخدم فى استكمال بناء البرج، إذ يتحتم عليهم أن ينتظروا عامًا آخر حتى يتمكنوا من إضافة قوالب أخرى إلى البناء.

ومن هذه الزخارف أيضًا أن الناس كانوا يعملون فى حماسة بالغة إلى درجة أن المرأة لم تكن تكف عن إعداد الطوب ساعة ولادة طفلها فإذا ولدت الطفل ربطته

(١) راجع على التوراة ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ٣١٨.

حول بطنها بملاءة واستأنفت عملها في تشكيل قوالب الطوب وكأن شيئاً لم يحدث وأنهم صوبوا سهامهم من أعلى البرج نحو السماء فكانت سهامهم ترتد إلى الذين يقفون أسفل البرج وهى ملوثة بالدماء، وعند ذلك صاحوا قائلين "لقد قتلنا كل من في السماء"^(١).

وهنا - كما ورد في هذه الرواية - نفذ صبر الرب وتوجه إلى الملائكة السبعين الذين يحيطون بعرشه وأمرهم أن يهبطوا إلى الأرض ويبلبلوا ألسنة الناس، وفعلت الملائكة ما أمروا به، ونجم عن ذلك سوء تفاهم دائم ومؤلم بين الناس، فإذا طلب رجل على سبيل المثال الملاط من رجل آخر، قدم إليه هذا قالباً من الطوب بدلاً منه فيغضب الأول ويقذف بقالب الطوب في وجهه فيقتله.

وهكذا مات كثير من الخلق على هذا النحو، ومن لم يمت عاقبه الرب جزاء جريمة التمرد التى دبرت ضده^(٢).

أما عن البرج الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه بعد، فقد هوى جزء منه، كما التهمت النار جزءاً آخر ولم يظل واقفاً منه سوى ثلثه.

هذا ولم يفقد هذا المكان خاصيته العجيبة قط، فكل من مر به نسى كل ما كان يعرفه^(٣).

ولاشك أن اليهود هنا قد أساءوا إلى الرب حين ذكروا أنه قد خشى من البشر وتخوف من صعودهم إليه إلى غير ذلك مما لا يليق بذاته المقدسة.

كذلك فإن هذا التعليل المذكور لاختلاف لغات البشر يعد تعليلاً أسطورياً حيث إنه يفهم منه أن الناس لو لم يقيموا هذا البرج لما اختلفت ألسنتهم مع أن الله سبحانه وتعالى يذكر أن ذلك من آيات الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَآخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتَكُمْ وَالْوُيُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٣١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ٣١٩.

(٤) الروم: ٢٢.

وهل الرب سبحانه - على زعمهم - لم يكن يعلم لما سيحدث من البشر؟ فمن المعروف علميًا الآن أنه كان من الاستحالة ولا يزال على البشر أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض فهل تخوف الرب حقًا ظنًا منه - سبحانه - أنه يمكن للبشر أن يصعدوا إليه وأن يتمكنوا من الوصول إلى السماء.

وعلى أى حال فإن هذه القصة المزعومة وهذا التعليل المزعوم من الأمور التي لا تستحق المناقشة فلا يقبل ذلك عقل ولا تطمئن إليها نفس.

ولذلك فإن العلماء ذكروا أن هذه القصة المذكورة في سفر التكوين عبارة عن أسطورة وأنها ليست عبرية الأصل وإنما تناقلها اليهود - كالكثير من أساطير التوراة - واستعاروها بحذافيرها من الكلدانيين فقد روى الكاهن الكلداني يروزس أن الرعيل الأول ممن عمروا الأرض وكانوا ضخام الأجسام موثقى القوة، حقروا الآلهة واستسخروا منهم وأقاموا برجًا يبلغ رأسه عنان السماء وما عتمت الرياح أن ساعفت الآلهة فأطاحت بالبرج وأحدث الآلهة بلبلة في ألسنة الناس، وكانوا من قبل يتكلمون لسانًا واحدًا^(١).

وقد كان الدافع وراء نشأة أسطورة برج بابل أن الكلدانيين هاهم منظر ذلك البرج الهائل الذى أقامه أحد الملوك البابليين في العصر القديم وكان قد غابت عنهم حكمة بنائه فاصطنعوا تلك الأسطورة ليفسروا بها بناءه^(٢).

ويذكر الدكتور محمد بحر عبد المجيد أن تعليل اختلاف اللغات بين البشر ذلك التعليل الأسطوري الذى ورد في سفر التكوين يرجع مصدره إلى الأساطير الوثنية البابلية التى كانت منتشرة في الشرق الأدنى القديم^(٣).

(١) راجع صموئيل نوح هووك: منعطف المخيلة البشرية ص ١١٣ - ١١٦. عصام الدين حنفى ناصف: اليهودية في العقيدة والتاريخ ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٣.

ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن برج بابل راجع: وينهايم: بلاد ما بين النهرين ص ٤٣١ وما بعدها. جورج رو: العراق القديم ص ٥٢٧ وما بعدها.

بريستيد: العصور القديمة ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) اليهودية ص ٤٣.

المبحث الثانى: أسطورة شمشون ودليلة

يذكر سفر القضاة أنه فى خلال الفترة التى استذل فيها الفلسطينيون الإسرائيليين برز شخص يسمى شمشون وتولى القضاء على بنى إسرائيل^(١).

ويعرض سفر القضاة لقصة اختيار الرب له منذ أن ترائ ملاك الرب لأمه العاقر - زوجة منوح - وقال لها لها أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا، والآن فاحذرى - ولا تشربى خمرًا ولا مسكرًا ولا تأكلى شيئًا نجسًا منها لأنك تحبلين وتلدين ابنا ولا يعمل موسى رأسه، لأن الصبى يكون نذيرًا لله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من الفلسطينيين^(٢).

ثم حدث أن "ولدت المرأة ابنا ودعت اسمه شمشون فكبر الصبى وباركه الرب وابتدأ روح الرب يحركه"^(٣).

والواقع أن حياة شمشون - كما يصورها سفر القضاة - لم تكن على نفس هذه الدرجة من النقاء والطهارة على النحو الذى تبدت فيه تلك البشارة المزعومة.

فإذا ما رجعنا إلى قصة شمشون - كما يقدمها هذا السفر فى الإصحاحات من الثالث عشر إلى السادس عشر - لرأينا فيها الكثير من المبالغة والخيال فضلاً عما تقدمه عن شخصية صاحبها وما فيها من عورات، إلى جانب الكثير من الأساطير التى تدور حول قوته الخارقة^(٤).

(١) راجع الإصحاح الثالث عشر.

(٢) قضاة ١٣ : ٢ - ٥.

(٣) قضاة ١٣ : ٢٤.

(٤) فهو مرة يهجم على أسد فيشقه كشق الجدى - وليس فى يده شئ، وهو مرة أخرى يحرق محاصيل الفلسطينيين بأن يطلق عليها ثلاثمائة ثعلب (ابن آوى) ربطت بالمشاعل فى أذيالها، وهو مرة ثالثة يهجم على الفلسطينيين فيقتل منهم ألف رجل بعظم من فك حمار ميت، وهو مرة رابعة يدخل عند امرأة زانية فى عزة، ويعرف بذلك أهل المدينة من قومها فيعدون كميناً لقتله، ولكن شمشون يقوم =

يقول جيمس فريزر "يبدو شمشون البطل المارد، ذا شخصية غريبة بين قضاة بنى إسرائيل الكبار، وقد ذكر الكتاب المقدس أن شمشون كان يشغل منصب القضاة فى بنى إسرائيل طيلة عشرين عامًا، ولكنه لم يذكر شيئاً عن أحكامه القضائية التى أصدرها وفقاً لشخصيته القضائية.

وإذا كان لنا أن نصدر حكماً على فحوى أحكام شمشون من خلال طبيعة أفعاله، فإنه يحق لنا أن نتشكك فيما إذا كان هذا الرجل يعد مفخرة فى تاريخ القضاء الإسرائيلى.

ذلك أن موهبته كانت أكثر ما تتمثل فى إحداث الشغب والعراك وفى إحراق مؤن الذرة - التى يخترنها الناس، وفى كثرة التردد على بيوت الدعارة.

أى أن شمشون كان يبدو فى شخصيته الطليق الفاجر الخليع أكثر مما كان يبدو فى شخصية القاضى الكفء الصارم^(١).

ومن ثم فنحن لن نعالج الآن قائمة جافة من الأحكام القانونية، وإنما سنعالج حكايات مغامراته المسلية غير اللائقة، فى الحب والحرب، أو بالأحرى فى القرصنة.

ذلك أننا إذا قبلنا الحكايات التى دونت عن هذا الطائش الفاجر، ونحن ملتزمون بها بدون شك -^(٢) فإننا نجد أنه لم يقيم قط بحرب نظامية، كما لم يقيم بعضيان وطنى مسلح ضد الفلسطينيين، الذين ظلموا قومه وإنما كان يقوم بمجرد

= فى نصف الليل فىأخذ مصراعى باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل، ثم نقرأ بعد ذلك عن قصته مع دليلة وكيف وقع فى حبها وأسلم لها زمام قيادته حتى قادته آخر الأمر إلى السجن بعد أن قصت شعره الذى يكمن فيه سر قوته (راجع سفر القضاة ١٤ - ٥ - ٦ / ١٥ : ٤ - ١٧ / ١٦ : ١ - ٣٠، راجع د/ محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق ج٨ ص ٦٤٩ - ٦٥٠، راجع مزيداً من التفاصيل: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٠ - ٥٢١.

(١) الفولكلور فى العهد القديم ج٢ ص ٥٤٣ ترجمة د/ نبيلة إبراهيم الطبعة الثانية ١٩٨٢.

(٢) لا يزال الكلام لجيمس فريزر.

هجوم مفاجئ عليهم بوصفه البطل الفرد أو الفارس المتجول، ثم يضرهم بفك
حمار أو بأى سلاح آخر يقع فى يده.

وحتى فى هذه الغارات التى تقوم على السلب (إذ أنه لم يكن يتورع عن أن يسلب
ضحاياهم من ملابسهم، ومن المحتمل من ثروتهم) كانت فكرة تخليص قومه من
العبودية، كما يتضح من الشواهد، آخر ما يترأى له.

وعندما كان يقوم بمذبحة للفلسطينيين كما كان يفعل هذا بدافع وطنى أو دهاء
سياسى، وإنما بدافع حقد شخصى صرف يهدف إلى الانتقال من هؤلاء الذين
أساءوا له ولزوجته وولدهما.

فقصته من بدايتها حتى نهايتها هى قصة مغامر أنانى مخادع تحركه ثورات عاطفية
جامحة ولا يكثر بشىء سوى إرضاء نزواته الوقتية^(١).

والذى يقرأ هذه القصة - كما تروىها التوراة - يرى أموراً تدعو إلى العجب
والتساؤل إن لم يكن الاستنكار كذلك، فرغم أن شمشون كان بطلاً قومياً لليهود
مهمته الأولى الحفاظ على الكيان القومى لبنى إسرائيل فإنه يتزوج من امرأة
فلسطينية وفى ذلك مخالفة لمركزه كزعيم قومى فضلاً عن مخالفته الصريحة لنصوص
التوراة التى تحرم الزواج بغير الإسرائيليات^(٢).

ثم هو نذير للرب من البطن إلى يوم موته ومع ذلك فهو - طبقاً لرواية التوراة -
إنما يقضى أجمل أوقاته بين أحضان الغوانى من نساء غزة الزانيات، وحين تتعرض
حياته للخطر من جراء ذلك، فإذا به ينتقل إلى أحضان امرأة أخرى فى وادى سوري
تدعى دليلة تكون نهايته على يديها^(٣).

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٢) قضاة ١٤ : ٣، خروج ٣٤ : ١٦، ثنية ٧ : ٣، قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٠، د/ محمد بيومى
مهران: ج ٨ ص ٦٥٠ - ٦٥٠.

(٣) قضاة ١٦ : ١ - ٢٢، د/ مهران المصدر السابق:

تتلخص قصة شمشون مع دليلة فى أنه أحبها فصعد إليها الفلسطينيون وقالوا لها تملقيه وانطرى بماذا
قوته العظيمة وبماذا تتمكن منه كى نوثقه لاذلاله فنعطيك كل واحد ألفاً ومائة شاقل فضة فقالت
دليلة لشمشون أخبرنى بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لإذلالك فكذب عليها وخدعها ثلاث
مرات ولكنها قالت له: كيف تقول أحبك وقلبك ليس معى، هو ذا ثلاث مرات قد خذلتنى ولم =

وهو مكرس لتحرير قومه اليهود من نير الفلسطينيين، ولكنه لا يخوض المعارض من أجل ذلك، وإنما كانت مغامراته كلها من أجل النساء^(١)، فلم يكن له من قوة العقل مثلما كان له من قوة الجسم، وكانت عواطفه الجارحة مستولية عليه^(٢).

ويذكر فريزر أنه لم يخفف من حدة نذالة هذه الشخصية وابتذالها المؤلف سوى تلك القوة الخارقة للعادة والبسالة الطائشة، ونمط مقيت من الفكاهة، وقد رفع هذا كله القصة إلى نوع من الملحمة الهزلية من النوع الذى كتبه أريستو^(٣).

وإذا كانت هذه العناصر قد أضفت الجدة على قصة معارك هذه الشخصية فإنها لم تقلل من إحساسنا بالنفور من هذه الشخصية الغريبة المختالة المتغطرسة، وبخاصة إذا - وضعناها جنباً إلى جنب مع شخصيات القديسين والأبطال الذين صوروا في معرض التاريخ الإسرائيلي^(٤).

فقصة شمشون من قصص سفر القضاة الذى يحكى أحداثاً ربما سجلت عقب حدوثها بزمان طويل حتى أصبحت تروى كما تروى الأساطير، ويزاد عليها أحياناً بقدر ما يستطيع خيال الرواى أن يضيف من روايات.

= تخبرنى بماذا قوتك العظيمة، ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت فكشف لها كل قلبه لها لم يعمل موسى رأسى لأنى نذير الله من بطن أمى فإن حلقت تفارقتى قوتى وأضعف وأصير كأحد الناس، ولما رأت دليلاً أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فإنه قد كشف لى كل قلبه فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضلة بيدهم، وأنامته على ركبتيها ودعت رجلاً وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله وفارقتة قوته، وقالت الفلسطينيين عليك يا شمشون فانتبه من نومه وقال لا أخرج حسب كل مرة وانتفض ولم يعلم أن الرب قد فارقه، فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن فى بيت السجن حتى مات بعد ذلك (راجع سفر القضاة ١٦ : ٤ - ٣١).

(١) د/ محمد بيومى مهران ج ٨ ص ٦٥١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢١.

(٣) شاعر إيطالى كوميدى عاش فى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر (المترجمة)

الفولكلور فى العهد القديم ج ٢ ص ٥٤٤.

(٤) المصدر السابق.

بل إن هذا السفر قد أبرز القضاة في آخر عصرهم في صورة أبطال شعبيين تروى عنهم الأساطير، وتدور القصص حول مغامراتهم.

وأغلب الأمر - كما يقول الدكتور نجيب ميخائيل - أن المادة التي جمعها المؤلف عن هذه المرحلة أسطورية وأن بعض المعارك - على الأقل - لم تنشأ إلا في أخيلة رواتها^(١).

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أن قصة شمشون كتبت في جو عاطر بأريج المسامرات - الخرافية والفولكلور البدوي^(٢).

ولذلك فإن أدولف لودز يذهب إلى أنه بينما تنتمي قصة شمشون إلى الأدب الشعبي إلا أنها تبدو ذات أصل أسطوري^(٣).

وعلى ذلك فمن المحتمل - فيما يرى فريزر - أن الحوادث العجيبة المسلية التي رويت عن تاريخ هذه الشخصية السيئة السمعة، قد انسابت في غير ضابط بوصفها حكايات شعبية، مع تيار التراث الشفاهي، وذلك قبل أن تتبلور بزمان طويل في ذاكرة الشعب حول شخصية رجل حقيقى باسل من سكان النجاد والحدود، ومن نوع الرجال العبريين الذين كانوا يعيشون على السلب والنهب الذى اشتهر بوصفه بطل بنى إسرائيل في كثير من الغزوات التى كان يقوم بها عبر الحدود إلى سهول فلسطين الغنية بفضل مزاجه الحاد، وقوته الخارقة وجسمه القوى^(٤).

ذلك لأنه ليس هناك سبب مقنع يجعلنا نشك في وجود أساس صلب من الواقع يركز عليه هذا التكوين المهلهل الخيالى الذى تشف عنه أسطورة شمشون^(٥).

(١) مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٦ اندريه إيبار وجانين أو بولبه الشرق واليونان القديمة ص ٢٦٥ المجلد الأول من تاريخ الحضارات العام.

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ٣٥.

(٣) نقلاً عن د/ محمد بيومى مهران جـ ٨ ص ٦٢٨.

(٤) الفولكلور في العهد القديم جـ ٢ ص ٥٤٤.

(٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٤٤ - ٥٤٥.

وأكثر ما يتضح تدخل القاضى فى الحكاية الأصلية، التى تشف عنها أسطورة شمشون - فى وصف الكارثة التى حلت بالبطل بسبب خداع امرأة منافقة له بعد أن استطاعت أن تستدرجه حتى اكتشفت سر قوته وأفشتته إلى أعدائه^(١).

فمن خلال ذلك نرى أن العبريين كانوا يعتقدون أن قوة شمشون المهولة كانت تكمن فى شعره، وأن مجرد حلق خصلات شعره الطويلة الشعثاء التى كانت تتدلى على كتفيه ولم تحلق منذ نعومة أظافره - كافيًا أن يسلبه قوته الخارجة للعادة، ومن ثم يصبح عاجزًا عن القيام بأعماله البطولية.

وهذا الاعتقاد - كما يقول فريزر - ينتشر فى جهات كثيرة من أنحاء العالم^(٢).

ويرجع ويلز قصة شمشون إلى الأدب البابلي^(٣).

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أن قصة شمشون الجبار، والخوارق غير المنطقية التى اقترنت بحياته، وخاصة ما كان وجود سر قوته فى شعره وظهور هذه القوة فى قتاله مع أسد هجم عليه فأخذه شمشون بين يديه وفسخه فقتله - مأخوذة عن مشهد مماثل للبطل العراقى القديم المعروف فى الملاحم البابلية والسومرية "جلجاميش" العملاق، الذى يذكرون من مناقبه أيضًا قتله الأسد على طريقة شمشون، وهو قبل شمشون بنحو ثلاثة آلاف سنة على الأقل^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٥٤٥ راجع القضية ١٦ : ٤ - ٢١ وراجع ملخص قصته مع دليلة الذى - أورده بالهامش سابقًا.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤٦ وقصة شمشون مع دليلة معروفة بوصفها تراثا شعبيًا روائيًا فهى تكشف عن اعتقاد شعبى قديم مؤداه أن قوى الإنسان أو روحه تكمن فى جزء ما من جسمه أو فى أى شئ خارج جسمه فإذا استطاع شخص ما أن يهتدى إلى معرفة مكن هذه القوة أو الروح وأن يصيبها بضرر فإن الضرر سرعان ما ينتقل إلى الشخص المعنى فيصاب بأذى قد يفضى به إلى الموت، وليست قصة شمشون ودليلة كما تروى على هذا النحو سوى رواية من الروايات المتعددة التى تحكى عن هذا الموضوع وتدرج تحت ما يسمى بالحكايات الخرافية وقد قدم فريزر ناهج وافرة من هذا النوع ليؤيد بها هذا الاعتقاد من ناحية ويربط بينها وبين قصة شمشون ودليلة من حيث الشكل والمضمون من ناحية أخرى راجع الفولكلور جـ ١ ص ٥٧ - ٥٨ ص ٥٤٦ - ٥٦٤.

(٣) موجز تاريخ العالم ص ٩٠.

(٤) د/ حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ٣٤ - ٣٥.

ومن أجل ذلك فإن غوستاف لوبون يذكر أننا لا نرى الأساطير الكلدانية في سفر التكوين وحده بل نجد آثارًا لها في أسفار أقل قدمًا منها على وجه أقل وضوحًا، ومن ذلك قصة شمشون التي وردت في سفر القضاة، فشمشون يمثل الهر كول الإسرائيلي بقدرته الغريبة وأعماله التي كان ينجزها بوسائل بسيطة جدًا.

والواقع أن هر كول من أصل بابلي ويتجلى مثاله في نينيب المعروف ذلك الإنسان الآشوري الأكادي العجيب الذي كان يقتل الأسد بيد واحدة، ومع ذلك لم يكن اسمه شمشون بل كان شمشون الذي معناه "الشمس" أى نصف الإله الذي كان يوجد كثيرًا على ضفاف الفرات^(١).

والخلاصة، أن قصة شمشون ودليلة المذكورة في سفر القضاة عبارة عن أسطورة كونها كتبة السفر من الأدب البابلي سواء أكان هناك قصة حقيقية في الأصل أم لا.

وإن كان أغلب الباحثين يرون أنها ليست بواقعة تاريخية حقيقية وليس لها أساس من الواقع، وإنما هى أسطورة نقلها كتبة التوراة من الأساطير البابلية ووضعوها ضمن أسفار العهد القديم وذلك فى جو حافل بالخرافات والأساطير.

* * *

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٦٤.

المبحث الثالث: أسطورة استير ومردوخاى

تعد قصة استير ومردوخاى من قصص العهد القديم التى تتجلى فيها - كما يذكر العقاد - عبقرية المؤلف فى التعبير اللغوى والإبداع فى استخدام العبارات القوية والمحسنات اللفظية إلى حرصه على الاستيلاء على حواس القارئ ومشاعره فلا تلتفت منه عبارة ولا تغيب عنه فكرة^(١).

وتقع حوادث هذه القصة - حسبما وردت فى سفر استير - فى بلاد فارس القديمة حيث يجلس على عرشها (احشورش) أى (اكسرسيس ٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م)^(٢).

وتتلخص أحداثها فى أن استير هذه كانت فتاة جميلة فأحضرها ابن عمها مردوخاى - الذى تبناها بعد موت أبيها - إلى شوشن العاصمة الفارسية وقد أقام الملك وليمة لعظمائه وإذ كانوا يحتسون الخمر لعبت الخمر برأسه فأمر أن يحضر امرأته الملكة "وشتى" كى يرى عظماءه جمالها الرائع.

ولكن وشتى رفضت أن تمتهن كرامتها، وأهاج رفضها ثائرة الملك فأصدر وفقا لنصيحة مشيريه قرارا بحرمان الملكة "وشتى" من المثلول لديه، وأمر بأن يتم البحث فى كل مملكته عن فتاة لتأخذ مكانة "وشتى" فاخترت استير ونصبت ملكة فى القصر وقد أخفت جنسها ودينها ونجحت فى إيقاع الشاه فى حبائلها والزواج به، وبذلك استطاعت أن تقدم - كما تحدثنا القصة - أجل الخدمات لأبناء جنسها المقيمين فى فارس.

(١) د/ فؤاد حسنين على التواراة الهيروغليفية ص ١٧٠، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩.

(٢) د/ فؤاد حسنين: المصدر السابق ص ١٧٠ - ١٧١، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣.

فبعد أن اعتلت العرش بخمس سنوات حدث أن ثار غضب هامان (أقرب المقربين إلى الملك) على مردوخاى، لأنه رفض أن يقدم له الخضوع والإجلال وقصد هامان أن ينتقم لنفسه لا بقتله مردوخاى فحسب بل بإبادة كل اليهود في أنحاء الإمبراطورية.

وتمكن هامان من أن يجوز رضا الملك ويأخذ موافقته على ذلك، ولكى يعضده الرعاع في فعلته بإبادة اليهود زين لهم النهب والسلب وإشباع أطماعهم^(١). فما كان من استير إلا أن دخلت إلى الملك وأخذت تحتال عليه حتى أحبطت محاولة هامان، ثم مكنت اليهود بعد ذلك من قتل ما لا يقل عن ثمانين ألف إيرانى.

ولم يطفى هذا العدد ظمأها في "سفك الدماء بل تفننت في تقتيل هامان وأولاده"^(٢).

ولنا أن نتساءل الآن - بعد أن اطلعنا على ملخص القصة كما وردت - هل استير ومردوخاى (بطلا القصة) شخصيتان تاريخيتان أو أن قصتهما عبارة عن أسطورة عبئت - كما يقول حسين ذو الفقار صبرى - بوجدان عميق الجذور؟^(٣).

والجواب على ذلك يتركز أولاً في دراسة السفر الذى يحتوى على هذه القصة وهو سفر استير.

يذكر حبيب سعيد أنه ليس هناك أى دليل يبنى عمن هو كاتب هذا السفر، وعن تاريخ كتابته^(٤).

(١) استير ٢ : ٥ / ٣ : ١٥.

(٢) تفاصيل قصة استير ومردوخاى: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣ - ٦٤، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩ - ١٦٠، د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية ص ١٧٠ - ١٧١.

(٣) إله موسى في توراة اليهود ص ١٧ العدد ١٦٣ من مجلة ١٩٧٠.

(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩.

فمؤلفه الحقيقي مجهول، بالرغم من نسبته إلى مردوخاي^(١).

ويرفض سبينوزا هذه النسبة رفضاً قاطعاً ويؤكد أن الذى كتب أسفار: استير ودانيال وعزرا ونحميا هو مؤرخ واحد، أما من يكون هذا المؤرخ فإنه لا يستطيع حتى مجرد التخمين به^(٢).

أما فيما يتعلق بتاريخ كتابته، فقد ورد فى القاموس أنه لا توجد لدينا المعلومات الكافية لتقدير تاريخ كتابة هذا السفر على وجه التحقيق^(٣).

فلا يدري أحد متى كتبت قصه هذا السفر وأن كانت لغتها وأسلوبها تنبئان على أنها كتبت بعد زمن الأحداث التى تسوقها بوقت طويل^(٤).

ولذلك فإن معظم النقاد يميلون إلى القول بأن هذا السفر قد كتب فى العصر الإغريقى الذى بدأ بفتوح الإسكندر عام ٣٣٢ ق.م فيظنون أنه كتب حوالى عام ٣٠٠ ق.م^(٥).

ويرجح الجكتور فؤاد حسنين على أنه لم يتم تأليفه قبل القرن الثالث ق.م^(٦).

ويذهب بعض النقاد والمؤرخين إلى أنه كتب فى أوائل القرن الثانى ق.م ويحدده - البعض بحوالى عام ١٣٠ ق.م إبان شذائد اليهود فى العصر المكابى لأن قصة هذا السفر تعكس وجهة نظر المكابيين^(٧).

هذا، وقد دفعت الوحشية التى تتجلى فى قصة هذا السفر كثيرين من علماء

(١) التوراة المبروغلغيفية ص ١٧٤ - استير ٩ : ٢٠.

(٢) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥.

(٤) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥.

(٦) التوراة المبروغلغيفية ص ١٧٤.

(٧) راجع الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٩٢، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩، عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون ص ٥٤، د/ حسن حنفى: مقدمة رسالة اللاهوت والسياسة ص ٣٤.

اليهودية والمسيحية إلى التفكير طويلاً في قيمة هذا السفر وصحة ضمه إلى العهد القديم^(١).

فظلت مكانته بين أسفار الوحي القانونية (عندهم طبعاً) موضع نقاش كثير وجدل طويل، ولم يوضع بين الأسفار المقدسة إلا بعد جهد كبير في مجمع جامينا (عام ٩٠م)^(٢).

فأقرته الكثرة المطلقة من رجال الدين اليهودي وجعلت موضوعه عيداً من أهم الأعياد اليهودية التي يحتفلون بها إلى يومنا هذا^(٣).

بل إن أحد رباى اليهود في القرن الرابع الميلادي لم يتورع من أن يعلن أن قصة استير لا تقل أهمية دينية عن توراة موسى كما أنها أرفع من مزامير داود وأسفار الأنبياء^(٤).

ومع ذلك فقد ظل كثيرون من علماء الكتاب المقدس يعارضون إقحام هذا السفر في أسفار العهد القديم، إذ حذفه مليتو السادس وجرجورى النزيانزى من سجلات الأسفار القانونية وحسبه اثناسيوس بطريرك الإسكندرية بطل مجمع نيقية (٣٢٥م) ضمن الأصفار غير القانونية.

بل إن مارتن لوثر قد رفض اعتباره ضمن الأسفار الموحى بها وقال "ليت هذا السفر لم يرد" ففيه لم يوجد حتى اسم الله كما أنه ليس فيه ما يحمد عليه.

(١) التوراة الهيروغليفية ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤، مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٤، د/ محمد بيومى مهران ج٩ ص ٨٠.

(٣) تحليداً لذكرى المذابح التي اقترفها اليهود - يحتفلون حتى اليوم بعيد "الاقتراع" المعروف باسم "بوريم" وكان الكتاب العرب - يسمونه عيد المسخرة أو عيد المسافر والسبب في ذلك ما جرت به بعض تقاليد يهودية شعبية في هذا العيد من إسراف في شرب الخمر والسكر وليس الأقنعة والملابس التنكرية ويبدأ هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آزار من السنة اليهودية، وهذا العيد دخیل على الحياة اليهودية فقد تأثروا فيه بغيرهم. راجع د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٠٧ - ٢٠٨، د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٧٢ التوراة الهيروغليفية ص ١٧١، راجع أيضاً د/ بحر عبد المجيد / اليهود ص ٨٧ - ٨٨.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١٧١.

فكان عدم ذكر اسم الله ولو مرة واحدة سبباً من أسباب رفضه إذ أن القصة تخلو تماماً من ذكر إله اليهود (يهوه)^(١).

هناك سبب آخر في رفض هذا السفر وهو أنه لا يوجد اقتباس واحد منه في العهد الجديد ولا يشير إليه كتاب العهد الجديد^(٢).

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا السفر لم يوجد بين مخطوطات البحر الميت (قمران)، مما جعل العلماء يستنتجون أن فئة هذا الوادي (قمران) قد رفضت هذا السفر المشبوه برمته حيث إنه مطعون بصحته^(٣).

هذا ويدرك الباحثون أن هذا السفر لا يحدثنا عن قصة استير فحسب بل اقترح عليها قصة أخرى وهى قصة مردوخاى ولى استير حيث اكتشف مؤامرة كانت تدبر لاغتيال الشاه فأخبره في الوقت المناسب وأنقذ حياته.

وقصة مردوخاى هذه قد جاءتنا بشئ من التفصيل في الترجمة السبعينية، هذه الترجمة التى تشتمل على كثير من الزيادات التى لا نجدها في النص العبرى مثل: حلم مردوخاى وتأويله، واكتشاف المؤامرة وصلوات مردوخاى واستير وامثالها أمام الشاه^(٤).

وتحتوى هذه الزيادات أيضاً على وصف لبعض النواحي القومية والدينية عند اليهود، وبعض الرسائل التى تدعى أنها للملك أرترز كسيس.

(١) راجع في ذلك: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب - المقدس ص ١٥٩، التوراة الهيروغليفية ص ١٧٢، د/ بحر: اليهودية ص ٨٧ - ٨٨، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥.

(٣) حصيلة مكتشفات لفائف البحر الميت كانت بضع عشرة لفافة شبه كاملة ومعها أجزاء من أكثر من ستمائة كتاب مختلف شكل لى كتب العهد القديم وبنسخ متعددة من كل منها باستثناء سفر استير المطعون بصحته (راجع مقدمة رسالة في اللاهوت ص ٣٤، سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩٥، عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون ص ٥٥).

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١٧٣، راجع تفاصيل هذه القصة ٢٠٥ - ٢٠٦.

وقد أضيفت هذه الزيادات اليونانية في عام ١١٤ أو ٤٨ ق.م ولا يوجد تناسق أو انسجام بين السفر في العبرية وبين هذه الزيادات بل أن هناك تناقضًا بينهما. ولذلك فإنه تم فصل هذه الزيادات عن السفر ووضعها في آخره وأعطيت مكانًا في أسفار الأبوكريفا المشار إليها سابقًا^(١).

وإذا كان هذا هو حال السفر الذى يروى قصة استير ومردوخاى، فإن كثيرًا من الشراح يذهبون إلى أن القصة ليست تاريخية.

واستدلوا على ذلك بأنه ليس في "سجلات الملك الفارسى احشويرش وهى باقية حتى اليوم ذكر للملكة "وشتى" أو "استير" أو مردوخاى أو هامان^(٢).

بل إنه لا يعرف شئ حتى من السفر - عن موت استير ولا عن كيفية موتها أو تاريخه ومن كان ذلك.

بالإضافة إلى بعض الأخطاء والتناقضات التاريخية التى وقع فيها السفر^(٣).

وانتهى العلماء إلى أن هذه القصة عبارة عن أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بنى إسرائيل وخدمة أغراضهم^(٤).

وذكروا أنها وضعت لتشجيع اليهود على المثابرة والمصابرة فى وجه العداء الشديد والكرهية البالغة والضطهاد المرير الذى كانوا يعانونه فى العصر الإغريقى^(٥).

فقد تناولت هذه الأسطورة الحديث عن كراهية الفرس لليهود واضطهادهم

(١) المصدر السابق، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٥ - ٦٦، مقدمة رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٤

(٢) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦٠، التوراة المبروغليفية ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) مثال ذلك أن السفر يذكر أن مردوخاى سبى عام ٥٨٧ ق.م (٣ : ٥ - ٦) فيكون عمره بناء على ذلك فى العام الثالث من حكم (اكسرسيس) ٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م وعشرين عامًا واستير يجب أن تكون عجوزًا (المبروغليفية ص ١٧٢).

(٤) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص ١٤٨.

(٥) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦٠، ديلى: تاريخ شعب العهد القديم. ص ٣٩٢.

وشحذ فيها الكاتب قريحته واستعمل خياله وتمنى لو أن ملكة إيران كانت يومًا يهودية كبير الوزراء حتى ينتقم اليهود من منافسيهم انتقامًا أشد.

ولهذا فهم يحتفلون ويعيدون في أحلام هذه الخيالات التي تجعل استير الأنثى لا تقنع بمذبحة واحدة في يوم واحد في شوشن، إلى جانب إظهار تعصب اليهود لبعضهم ومحاولتهم نسبة الخير والفضيلة إليهم فقط، وهذا من مظاهر الأنانية اليهودية^(١).

ولذلك فإن سفر استير - بما يحتوى عليه من هذه الأسطورة - هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين إذ هو درس وضع صفيق عن كيفية دفع سلطة الغويم (الأميين) إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت امرة اليهود الماحقة والباطشة^(٢).

فهو يقوى نزوع اليهود إلى التعصب الدينى والعنصرى وينفث روح الحقد والسخيمة على الأمم الأخرى ويسوغ تأريث الفتن والمذابح فيها واستئصال شأفه مناوئى اليهود أينما كانوا^(٣).

وإذا كان اليهود قد كتبوه لهذه الأغراض فمن أين جمعوا مادته حتى صاغوا منها تلك الأسطورة؟

يذكر صاحب القاموس أن أسماء بعض الشخصيات الرئيسية المذكورة في القصة أسماء بابلية أو عيلامية.

فاسم استير (بطلة القصة) هو اسم (اشتار آلهة البابليين ويقابله في العبرية (عشتاروت).

وامس "هدسة" قريب من الكلمة البابلية "حد شتو" أى عروس وكان أصلاً يطلق على شجرة الاس.

(١) التوراة الهيروغليفية ص ١٧٢.

(٢) التوراة تاريخها وغايتها ترجمة وتعليق سهيل ديب ص ٤٤.

(٣) عصام الدين حفى ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ١١.

وهامان هو عدو مردخاى اسم الإله البابلى الرئيسى (مردوخ) ومردخاى هو نفس همان "أو" همان "هيمن" أحد الآلهة الرئيسية فى عيلام.

و "شوسن" عاصمة عيلام هى المكان الذى جرت فيه حوادث هذه القصة، واسم وشتى "كان اسماً لأحد الآلهة فى عيلام^(١).

ويقول الأستاذ حسين ذو الفقار صبرى: "أليست (استير) تجسيداً حياً للربة "عشتار" وإن التشابه بين الاسمين لا يخفى على إنسان، ويضيف أنه ليس هى فحسب، وإنما الرجل الذى كفلهما وهو مردوخاى كاد أن يكون سمي الإله "مردوك" أو "مردوك" زعيم الأرباب فى عصر همورابى - إله الزوابع الذى يتمكن من الفتك بأعداء اليهود^(٢).

ولذلك فإن العلماء يذهبون إلى أن سفر استير والذى يتحدث عن عيد "بوريم" البابلى الأصل ما هو فى الواقع إلا انتحال من الأدب البابلى:

فاستير هى فى الواقع "عشتار"

ومردوخاى عبارة عن "مردوك"

فالقصة عبارة عن ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلمين^(٣).

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أنه بالرغم من أن استير لم تكن غير شخصية قصصية من نسيج الخيال اليهودى الخصب (إذ لم يقم دليل واحد على وجودها تاريخياً، أو على ممارستها هى وقريبها مردوخاى هذا النفوذ الواسع النطاق فى القصر الإمبراطورى الفارسى).

بالرغم من ذلك فإن النزعة الصهيونية التى تصيب نفوس اليهود بين الفينة

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣ - ٦٤.

(٢) إله موسى فى تورا اليهود ص ١٧ المجلة يوليو ١٩٧٠ م.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٧٢، كامل سعبان: اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٤.

والفينة منذ السبي البابلي قد شاءت أن يجعل هؤلاء اليهود من استير وقصتها لا رمزاً للدهاء اليهودي وما يزعمونه من عناية الله خاصة بهم وحدهم بل جعلوا هناك ارتباطاً بين استير وما كان غرام الإمبراطور الفارسي بها، وبين موضوع العودة من السبي البابلي وانتشر في تراثهم الشعبي، وفي الكرنفال الذي يقيمونه احتفال بعيد "بوريم".

وهكذا فإن الصهيونية الحديثة تضلل وتخلط وتستغل حتى الأساطير في إشعال نار - العصبية والافتعال العاطفي الأهوج الذي لا يقوم على دليل صلب من التاريخ بضية خلقوها من العدم.

ومهما يكن من شيء، فحاية استير لا تتصل بالعودة القديمة لليهود إلى فلسطين إلا في الخيال الشعبي لتلك المجموعة البشرية المريضة^(١).

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٤ - ٢١٥.

الفصل الثالث

مظاهر التأثير في عقيدة الألوهية

ويتضمن دراسة مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: اليهود بين التنزيه والتجسيم.

المبحث الثاني: اليهود بين التوحيد والتعدد.

obeikandi.com

مظاهر التأثر فى عقيدة الألوهية

عقيدة الألوهية عند اليهود:

كما سبق أن أشرت فى المداخل إلى أن ديانة بنى إسرائيل كما يصورها القرآن الكريم وكما جاء بها سيدنا موسى عليه السلام كانت ديانة توحيدية.

وأن سيدنا موسى قد دعاهم إلى عبادة الله الواحد شأنه فى ذلك شأن سائر الأنبياء عليهم السلام حين كان نبي يأتى إلى قومه ولعل أو لما يلقي به إليهم ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

كذلك فإن دعوة سيدنا موسى عليه السلام كانت قائمة على تنزيه الله سبحانه وتعالى ووصفه بما يليق بذاته العلية المقدسة، فكانت بعيدة تمامًا عن قصد التجسيم والتشبيه شأنها أيضًا فى ذلك شأن سائر الرسالات السماوية التى نزل بها الأنبياء.

إلا أن اليهود على مدار تاريخهم القديم لم يحافظوا على التوحيد الذى أتاهاهم به سيدنا موسى عليه السلام، وإنما تطلعوا إلى الشرك فاتخذوا من دونه آلهة أخرى وحدث هذا فى عهد سيدنا موسى ومن بعده كما سنرى.

كذلك فإنهم لم يستوعبو الصورة المنزهة لله سبحانه والتى وردت فى التوراة المنزلة ولم يرتفعوا إلى ما جاء بها من تنزيه الله سبحانه فقصدوا إلى تصويره - جل شأنه وتعالى وعلوا كبيرًا - بصورة حسية ونسبوا إليه صفات النقص والجهل إلى غيرها من صفات الحوادث.

"وعلى الرغم من أن الله أرسل إليهم أنبياء أطهارًا كشف الله لهم عن وجوده ووحدانيته وأزليته وسائر صفاته وأعماله فأعلنوا لهم حقيقة الله وشريعته، إلا أنهم - كما يقول زكى شنودة - فهموها في الغالب على مقتضى فهم الشعوب الوثنية المحيطة بهم لحقيقة آلهتهم وما نسبوا إليهم من شرائع"^(١).

ومن ثم فإن اليهود لم يكونوا يعبدون الله في غالب الأحيان إلا بوصفه واحدًا من الآلهة الوثنية، فهو إله اليهود، كما أن آشور إله الآشوريين، ومردوك هو إله البابليين، وبعل هو إله الكنعانيين، وملولوك هو إله العمونيين، وداجون هو إله الفلسطينيين.

وكان اتجاه اليهود إلى التجسيم والتعدد واضحًا في معظم مراحل تاريخهم، وتعد كثرة أنبيائهم دليلًا على تجدد الشرك فيهم، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال فظهروا التاريخ وهم يعبدون الأرواح والأشجار أحيانًا وأحيانًا أخرى مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود^(٢).

ولما كانت الديانة التي أتى بها موسى إليهم - كما رأينا بذلك القرآن الكريم - ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والمخالفة للحوادث في كل شيء والتجرد من مظاهر النقص كما هو الشأن في الدين الإسلامي، فإنه يظهر من استقراء تاريخ اليهود وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم وما ورد في أسفارهم نفسها أن يفهمهم للذات العلية لم يكن مطابقًا كل المطابقة لهذا الوضع^(٣).

(١) راجع اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٢) راجع د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ١٨٠.

(٣) راجع د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٣ دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة بدون تاريخ: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٠.

ولو كانت التوراة التى بأيديهم الآن - وأعنى بها كتابهم المقدس بأقسامه الثلاثة (توراة - نبئيم - كتوبيم) كتاباً منزلاً من لدن على تقدير كما يدعون لخرجنا من نصوصه بمفهوم متسق عن الذات العلية إذ يتجلى لموسى هدى للعالمين.

ولكنه - كما يقول حسين ذو الفقار صبرى - كتاب من تواليف متشعبة الأصول دونت على مدار متواتر من مئات سنين وتشريحات من خرافات ومأثورات متداولة وأساطير موغلة فى القدم، لفقت بطقوس بعضها متوارث، أما جلتها فمستقاة من ديانات شتى، توفر عليها مرة بعد أخرى أجيال من كهنة وأحبار، فيدخلون بينها وبين وقائع، لا شك أن كان لها سند من تاريخ حذف وإضافة، ثم خلقا لروابط بادية الافتعال.

فلا غرو أن تصيينا حيرة أى حيرة إذا ما حاولنا أن نستقريء منها مفهوماً متسقاً عن الإله كما أريد لليهود أن يتصوروه، ولسنا وحدنا فى حيرتنا هذه فقد تملكث الباحثين جميعاً منذ أن تبددت دعوى الوحي الإلهى فيما يتعلق بنصوص التوراة^(١).

ولذلك فإن الكلام عن الأصول الأولى للعقيدة اليهودية - كما وردت فى التوراة المبدلة - ليس بالأمر السهل إطلاقاً إلا أن هناك حقيقة واحدة خرج بها العلماء وهى:

أنه بمناقشة التوراة (الأسفار الخمسة) وكافة الأجزاء الأخرى من العهد القديم لا نجد أى اعتقاد راسخ بتوحيد الله وعدم الشرك بذات الخالق جل وعلا^(٢).

ونريد فى هذا الفصل أن نبين - اعتماداً على نصوص الأسفار اليهودية - قضيتين أساسيتين فيما يتعلق بالعقيدة الآلهية لدى اليهود:

(١) حسين ذو الفقار صبرى: إله موسى فى توراة اليهود ص ٤ مجلة المجلة القاهرة - العدد ١٦٣ - يوليو (تموز) ١٩٧٠ م.

(٢) انظر د/ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٧-٨.

١ - اليهود بين التنزيه والتشبيه.

٢ - اليهود بين التوحيد والتعدد.

وفى ثنايا البحث فيها سنبين أثر الأديان الوثنية فى جنوح اليهود عن التنزيه إلى التجسيم والتشبيه وانحرافهم عن التوحيد إلى تعدد الآلهة.
وستخذ هدى القرآن الكريم مقياساً لفصل الخطاب.

المبحث الأول: اليهود بين التنزيه والتجسيم

يحدثنا القرآن الكريم أن اليهود أو بنى إسرائيل لم يتقبلوا من مبدأ الأمر فهم الذات العلية الفهم الصحيح، وعلقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى:

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِيقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١).

ويقول سبحانه لرسوله ﷺ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِيقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(٢).

وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته وطلبوا إلى موسى حينما رأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم إلهًا يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم فقال تعالى: ﴿وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْآلِهَمِينَ﴾^(٣).

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) النساء: ١٥٣.

(٣) الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠.

راجع د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٣-٣٤، راجع أيضًا تفاصيل ذلك من التفاسير وغيرها من الفصل الخاص بالاتجاه الوثني لدى بنى إسرائيل.

يذكر الدكتور أحمد يوسف أن سيناء كانت منذ أقدم العصور من أوفر مصادر مصر بالفيروز والنحاس، حيث تركت بعثات التعدين كثيرًا من النقوش في وادي مغارة وسرابة الخاطم، وكان المهندسون والعمال ممن يذهبون إلى سيناء يتعبدون للآلهة حتحور ربة تلال الفيروز طالين إليها الحماية والأمن ويقربون إليها الحمد والثناء، ولقد اقتضى استغلال المناجم المنتظم وقيام مجتمعات العمال فيها قيام معبد منذ الدولة الوسطى للآلهة حتحور في سرابة الخادم نرى أطلاله اليوم.

والذى لا شك فيه أن بنى إسرائيل - فيما يقول الدكتور أحمد يوسف - قد اتبعوا الدرب الذى كانت قوافل التعدين تسلكه إلى تلك المناجم في سيناء وأنهم مروا بتلك المناجم في تجوالهم هناك، حيث أشار القرآن الكريم - وحده - إلى مجتمع مقيم حول عبادة له في تلك البقاع.

ويذكر أن بنى إسرائيل أحسوا مقامهم في مصر واختلاطهم بالمصريين واتخاذهم حضارتهم بالحنين إلى حياتهم الأولى وتعلق قلوبهم بأرباب المصريين التى كانوا - معهم - يعبدون^(١).

ونلاحظ أن قولهم - كما أخبر سبحانه وتعالى - اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة يبين بوضوح مدى استعدادهم لتقليد غيرهم من الوثنيين في تصور الإله وعبادته وهو ما سنراه ونلمسه على امتداد هذا الفصل من تصورهم الفاسد للألوهية متأثرين بوثنيات الأديان القديمة التى خالطوا أهلها واطلعوا على تراثها.

ولقد ظهر للعلماء من خلال استقراءهم للأسفار اليهودية (العهد القديم والتلمود) أن اليهود لم يتقبلوا فكرة أن يكون إلههم مجردًا غير محسوس فتخليوه وهو يتجلى في الرعد والبرق وانهار المطر وما إلى ذلك من الظواهر الطبيعية ورأوا إلههم في صورة عمود دخان - أو عمود سحب - نهارًا وفي صورة عمود نار ليلاً.

وكان شأنه في نظرهم شأن آلهة العالم القديم - لم يتصوروه بلا حسد.

(١) راجع مصر في القرآن والسنة ص ١٢٥ - ١٢٦.

لذلك نقرأ فى العهد القديم كيف يتحدث الإسرائيلى عن الإنسان الذى خلقه الرب على صورته.

ولم يكتف الإسرائيلى بتجسيد الرب خلع عليه سائر صفات الإنسان من خير أو شر فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه وهو يصارع ويدفن الموتى ويتمشى فى الجنة^(١).

وأن الأسفار تضع الرب - كما يقول د/ صبرى جرجس - فى مواضع وتصفه بصفات لا تليق بالإنسان من البشر ذى العزة والخلق الكريم فضلاً عن "الرب الإله" العظيم، فنسبت إلى الله من الصفات ما هو من صفات العامة لا الخاصة من البشر^(٢).

ويرى هؤلاء العلماء أن هذه الصفات قد اقتبسها الإسرائيليون من الكنعانيين^(٣). ويذكر ول ديورانت أن اليهود بعد أن غزوا كنعان - وبعد أن نسوا عقيدتهم فى ربهم كما جاءهم بها موسى عليه السلام - عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلها صارماً ذا نزعة حرية صعب المراس، ثم جعلوا هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شىء، وشاهد ذلك أنه يطلب إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين.

كذلك فإن هذا الإله - كما صورته الأسفار وفيما يذكره ول ديورانت - ليس معصوماً من الخطأ، بل إن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان، ولذلك

(١) راجع د/ فؤاد حسنين على: اليهود واليهودية والمسيحية ص ١٤ - ١٥ معهد البحوث والدراسات العبرية ١٩٦٨ القاهرة، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢١٩، عباس محمود العقال: الله ص ١٠٨ - ١١١، محمد على حسن هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) د/ فؤاد حسنين: المصدر السابق ص ١٣ - ١٤.

تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكًا، وتراه من حين إلى حين شَرِّهاً غضوبًا متعطشًا للدماء، متقلب الأطوار، نزقا نكدًا (!!!).

وقصارى القول - كما يقول ول ديورانت - أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمى فى كل شئ كاله اليهود هذا^(١).

وهكذا حبس اليهود إلههم داخل ذلك الإطار البشرى المحدود ولم يستطع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية، فخرج فى رواياتهم على صورة تأباها النفس ويمجها الذوق، وكانت الصورة العامة التى قدمتها الأسفار أقرب إلى المادية منها إلى الروحية^(٢).

فإذا ما تأملنا الآن فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة وهما سفر التكوين وسفر الخروج، نجد أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم إلى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين أى إلى نهاية القرن التاسع ق.م (بعد موسى بنحو خمسة قرون)^(٣).

فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل، وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين:

فمن ذلك ما ورد فى سفر التكوين عن قصة الخلق، حيث زعموا أن الرب قد انتهى من خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهذا يعنى أنه كالشئ يحتاج إلى الراحة لأنه يتعب ويلحق به التعب والغوب.

(١) قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) هذا التاريخ كما ذكره الدكتور على عبد الواحد وافى ينطبق على المصدر اليهودى أما المصدر الكهنوتى فهو يرجع إلى زمن السبى البابلى أو بعده أى فى القرن السادس أو الخامس ق.م، راجع: اليهودية واليهود ص ٣٤ - ٣٥، الأسفار المقدسة ص ٢٧، جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم ج ١ ص ٨١.

وقد سبق أن عرضت لهذا بالتفصيل وكيف أنهم أخذوا هذا التصور عن الديانات الوثنية وكيف أن الله تعالى قد رد عليهم في قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(١).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سفر التكوين عن قصة الطوفان عن ندم الرب على أنه خلق الإنسان فاضطر إلى إهلاك أفراده عن طريق الطوفان لكنه لم يلبث أن ندم مرة أخرى على إهلاكهم بعد أن اشتتم رائحة الشواء ثم يعزم في قلبه على أن لا يحدث بعد ذلك طوفانا ولا يعود يلعن الأرض أبداً، ويأخذ على نفسه ميثاقاً بذلك، ويضع علامة "قوس قزح" ليتذكر بها هذا الميثاق.

وقد سبق أن فصلت هذا وأشارت إلى أن اليهود قد تأثروا فيه بالأديان الوثنية^(٢).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سفر التكوين عن قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة: فقد صورت هذه القصة الرب على هيئة بشرية وخلعت عليه صفات إنسانية هي من مجموعة الرذائل الكريمة:

إذ يذكر السفر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما مضللاً لهما ومخفياً عنهما حقيقة هذه الشجرة، فذكر لهما أن الأكل منها يفضي إلى الموت مع أن الأكل منها - فيما أورد السفر - يفضي إلى رقي التفكير وانحسار أغشية الجهل وانبثاق نور المعرفة، ولكن الإله - حسب زعمهم - كان يريد إبقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته.

وحينما أغرت الحية حواء بالأكل من هذه الشجرة وإنساق وراءها آدم أدركا ما كانا يجهلانه من قبل فعرفا أنها مكشوفاً السوءتين وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على

(١) سورة ق: ٣٨، راجع الفصل الثاني من هذا الباب عند بيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية في قصة الخلق.

(٢) راجع أيضاً الفصل الثاني من هذا الباب عند الحديث عن مظاهر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية في قصة الطوفان.

هذه الصورة، فلما قدم الإله - مخترقاً طرق الجنة - نحوهما، وسمعا صوته، وحركته وهو يسير ويتمشى في المساء الرطب اختبأ حتى لا يراهما وأخذ الرب ينادى على آدم - ولم يكن آنذاك قد علم أنه أكل من الشجرة المحرمة - فأخذ يستجوبهما واستتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الإنسان قد أصبح بذلك "أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح وأنه قد أصبح لزماً أن يطرده من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهي صفة البقاء^(١).

ويكفى أن جيمس فريزر ذهب - كما سبق أن ذكرت - إلى أن الدافع الذي تقدمه القصة كما وردت في سفر التكوين دنىء كما أن السلوك الذي تنسبه للرب يستحق الازدراء وأن الصفات الشائنة التي ألحقتها بالرب ظلت بقعة سوداء في حق الصفات الإلهية، كما يزعمها اليهود^(٢).

تجلى الرب لإبراهيم في صورة رجل:

ومن القصص التي وردت في سفر التكوين وأيضاً والتي تصور الرب بصورة بشرية محضة قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي "سدوم وعمورة"^(٣)، حيث يذكر السفر أن ثلاثة رجال (وهم الله وملكاه معه) قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلاً من وعشاء

(١) راجع سفر التكوين ٢: ١٥٤ - ٢٥ / ٣: ١ - ٢٤، راجع أيضاً د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٥، الأسفار المقدسة ص ٢٧ - ٢٨، د/ نبيه إبراهيم: مقدمة كتاب الفولكلور للعهد القديم ج١ ص ١٠ - ١٢، راجع أيضاً الفصل الخاص بمظاهرة التأثر في القصص الدينية عند الحديث عن قصة الغواية أو قصة آدم وحواء.

(٢) الفولكلور في العهد القديم ج١ ص ١٠٩.

(٣) جاء في قاموس الكتاب المقدس أن "سدوم" تقع اليوم تحت الماء في جنوب البحر الميت وكانت القرية التي سكنها لوط ثم تم تدميرها لخطيئة أهلها قوم لوط، وأما "عمورة" فهي بلدة في غور الأردن تحالف ملكها مع ملك "سدوم" ثم دمرت أيضاً (القاموس ص ٤٦٠ - ٤٦١ / ٤٦٢).

سفرهم وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم، وفطائر وعجلاً وجيداً لطعامهم، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم وإبراهيم جالس على مقربة منهم ثم تفقد الإله زوجه سارة وسأله عنها وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاماً زكياً ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك، لأن بعض أهلها أتقياء، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بالمسيء^(١).

ولعل من الأفضل أن أثبت نص هذه القصة كما ورد في ذلك السفر حتى يتسنى لنا نقدها وبيان ما فيها من تصور فاسد للألوهية:

ورد في الإصحاح الثامن عشر قوله عن إبراهيم الخليل "وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر لا ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ بكسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميداً، اعجنى واصنعى خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع لعمله، ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا^(٢).

وقالوا له أين سارة امرأتك فقال هاهى في الخيمة فقال إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو

(١) راجع د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٦.

(٢) سفر التكوين ١٨: ١ - ٨.

وراءه، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ، فقال الرب لإبراهيم سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ، فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا شخت، هل يستحيل على الرب شىء، فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن فأنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت، فقال: لا بل ضحكت^(١).

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيعهم قال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله، وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبينه من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً لكى يأتى الرب لإبراهيم بها تكلم به.

وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً، أنزل وأرى هل فعلوا بالتهم حسب صراخها الآتى إلى، وإلا فاعلم.

وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم، وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب^(٢).

فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار من الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فىكون البار كالأثيم، حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً، فقال الرب إن وجدت فى سدوم خمسين باراً فى المدينة فإننى أصفح عن المكان كله من أجلهم، فأجاب إبراهيم وقال إنى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد، وربما نقص الخمسون باراً خمسة أهلك المدينة بالخمسة، فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين، فقال لا يسخط المولى فأتكلم، عسى أن يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين، فقال إنى شرعت

(١) تكوين ١٨: ٩-١٥.

(٢) تكوين ١٨: ١٦-٢٢.

أكلّم المولى، عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين، فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط، عسى أن يوجد هناك عشرة، فقال لا أهلك من أجل عشرة، وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه^(١).

وقد ناقش الشيخ الفقيه علاء الدين الباجي هذا النص فاستنكر ظهور الرب لإبراهيم عند الشجرة فقال "كيف يحسن أن يقال" "وظهر الله لإبراهيم.." فإنه سبحانه وتعالى منزّه عن ظهوره للنّاظر في صورة رجل من جملة ثلاثة رجال أتوا في ضيافة إبراهيم من غير أن يستدعيهم لضيافته، بل هذا أمر لا يرضاه لنفسه بعض البشر، فضلاً عن إله العالم".

واستنكر أيضًا أكل الرب والملكين وشربهما عند إبراهيم فذكر أنه لا أجهل ممن يعتقد أن إله العالم يأكل مع أن الملكين لا يأكلان باتفاق العقلاء لأن الملائكة أرواح مجردة من الأبدان^(٢).

ثم إنه كيف يحسن أن يقال "قال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر عندي... فإنه منزّه عن أن يستعلم عن شيء بل هو عالم بكل شيء، من الأزل قبل وجوده.

فقوله بعد ذلك "حاشاك يا ديان كل الأرض أن تقضى بهذا القضاء" لا يحسن، لأن مثل هذا الكلام لا يقال إلا لجاهل يفعل ما لا يليق، فيتلف به بحسن عبارة، ليرجع عن خطئه^(٣).

أما الإمام ابن حزم فقد ناقش هذا النص مناقشة مستفيضة ونقد هذه القصة نقداً لا دعاً فذكر أن فيها آيات شنيعة من البلاء:

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ - ٣٣.

(٢) على التواترة ص ٧٣.

(٣) المصدر السابق.

"فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم أنه رأى الثلاثة رجال فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية: فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفه بل هو أشد من التثليث لأنه إخبار بشخص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيـث وقد رأيت^(١) في بعض كتب النصارى الإحتجاج بهذه القصة في إثبات التثليث وهذا كما ترى في غاية الفضيحة^(٢).

فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة - وهكذا يقولون - فعليهم في ذلك أيضًا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه:

أولها: من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة.

وثانيها: أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب واحد، وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل، وهذا أيضًا محال في الخطاب.

وثالثها: سجوده للملائكة: فإن من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة.

وإن قالوا بل لله سجد فهذه كذبة ولا بد، أن يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون لا بد من إحداها وعادت البلية أشد ما كانت.

ورابعها: خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشا لله أن يخاطب

(١) لازال الكلام للإمام ابن حزم.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ١٣٠، وإذا كان ابن حزم قد وجد ذلك في عصره فإن حبيب سعيد يقول في عصرنا هذا: "لئن يكن الله قد كلم إبراهيم كيهوه الإله الواحد إلا أن القصة تقول إن إبراهيم رأى ثلاثة رجال، ولذلك نظر المسيحيون في كل العصور إلى هذا المشهد كرمز إلى الأقاليم المثلثة في وحدانية الله.

(خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٥٢).

إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد^(١).

وخامسها: قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسة من الخبز تشتد بها قلوبكم فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوى لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم.

وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه السلام لا يجهل أن الملائكة لا تشهد قلوبهم بأكل الخبز فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة.

فإن قالوا ظنهم ناسا قلنا هذا أكذب لأن في أول الخبر يخبر أن الله تجلى له وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق وحاش له من هذا الضلال.

وسادسها: إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن وحاشا أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى ولا عن الملائكة^(٢).

وهكذا فقد وجدنا أن نص سفر التكوين - كما هو واضح - يقرر أن الرب سبحانه ظهر لإبراهيم في صورة بشرية، يدل على ذلك قوله إن الرب واحد من هؤلاء الرجال الثلاثة.

ويدل على ذلك أيضاً أن النص يذكر أن الرجال قاموا من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان إبراهيم ماشياً معهم لشيعة فقال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله ثم يستمر النص، فيذكر أن الرجال انصرفوا وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب.

ولا يقصد كاتب السفر بالرجال هنا الثلاثة وإنما يقصد بهما الملكين فقط وقد تحدث عنهما بصيغة الجمع بدليل أنه ذكر في نهاية الإصحاح الثامن عشر - كما رأينا -

(١) الفصل في الملل والأهواء ج١ ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) الفصل في الملل والأهواء ج١ ص ١٣١.

أن الرب ذهب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، وذكر في بداية الإصحاح التاسع عشر أن الملكين جاءا إلى سدوم مساء فاستقبلهما إبراهيم، وبعد أن ألح عليهما في المبيت مالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبزًا فطيرًا فأكلا^(١).

فالنص في مجموعه يقرر أن الرب سبحانه كان أحد هؤلاء الرجال الثلاثة وأنه أكل مع الملكين وأنه قام يمشى بجوار إبراهيم وأخذًا يتحدثان ويتحاوران بعد أن انصرف عنهما الملكان ثم انصرف الرب أخيرًا وترك إبراهيم مكانه.

ولذلك فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس عن هذه القصة أن الرب قد ظهر لإبراهيم في شكل إنسان^(٢).

وذكر زكى شنودة أن الله تراءى لإبراهيم مع ملاكين في صورة ثلاثة رجال^(٣).

وقال حبيب سعيد "لم يختار الله أن يظهر لإبراهيم ويكلمه فقط، بل حل عليه كضيف كما يقول السفر المقدس، إعلاء لمقام إبراهيم وتكريماً لخليه"^(٤).

وعلق الدكتور ف.ب. ماير على هذه القصة بقوله: في عصر ذلك اليوم التاريخي زار أولئك الضيوف الثلاثة خيمة إبراهيم، ولا شك في أن أحدهم كانت تبدو عليه علائم العظمة والرهبة والجلال.

نجبرنا الكتاب المقدس صراحة في العدد الأولي أن الرب له "عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار" وفي العدد العاشر نرى اللاهوت يظهر في لهجة الحديث وفي ثنايا كلمات الوعد الذي أكد لإبراهيم أن سارة ستعطى ابناً يقينا، فمن ذا الذي يستطيع أن يخلق الحياة، ومن ذا الذي لا يعسر عليه أمر إلا الله.

(١) تكوين ١٩: ١-٣.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١١.

(٣) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ص ٢٢٠-٢٢١.

(٤) خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٥٢.

وعلاوة على ذلك - كما يقول د/ ماير - فإن الكتاب يخبرنا أن ملاكين جاءا إلى سدوم مساء، ولا شك في أنها كانا ضمن ضيوف إبراهيم الثلاثة.

أما الثالث الذى هو المتكلم الوحيد أثناء الضيافة فإن عظمته قد تجلت في ذلك الحديث العجيب الذى جرى على مرتفعات ممرا عندما كان إبراهيم لم يزل قائماً أمام الرب "يتشفع إليه كديان كل الأرض"^(١).

ويذكر الدكتور ماير أن إبراهيم كان كريماً في ضيافة زائريه بكل معانى الكرم الشرقى فإنه ركض لاستقبالهم وسجد إلى الأرض وقدم إليهم ماء لغسل أرجلهم وهياً لهم مكاناً تستريح فيه أجسادهم المنهكة تحت الشجرة الورافة الظلال، ثم طلب من زوجته أن تسرع بثلاث كيلات دقيقاً وتعجنها، وتصنع منها خبزاً، ثم ركض إلى البقر واختار أجود العجول دون أن يكل هذا الأمر لشخص آخر، ووقف يخدم الضيوف بنفسه كخادم بينما كانوا يتناولون الطعام تحت الشجرة^(٢).

ويذكر الدكتور ماير أن إبراهيم لم يخسر بسبب كرمه لأنه بينما كان الضيوف يتناولون الطعام أبناءه الرب بميلاد ابن لسارة، أما سارة فقد سمعت هذا - وهى جالسة متحجبة في الخباء - وضحكت في نفسها ضحكة تنم على عدم التصديق وفي الحال لوحظت تلك الضحكة بواسطة ذلك الذى لا يخفى عليه شئ والذى تتقد عيناه كلهيب نار "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة.." ببساطة غريبة أجابت وهى داخل خبائها منكرة بأنها ضحكت لأنها

(١) حياة إبراهيم ص ١٠٢ ترجمة القمص مرقس داود.

وطبعاً لم يفت الدكتور ماير أن يحشر المسيح عليه السلام في هذا الموضوع فقال "وهكذا رأينا ابن الله يعلن تجسده مقدماً، ويظهر في الهيئة كإنسان قبل أن يأخذ جسداً فإنه قد أحب أن يأتى متكرراً إلى بيوت الذين اتخذه لهم أصدقاء قبل أن تطأ أقدامه إلى منحدر جبل الزيتون ليتخذ بيت لعازر مقراً له يستريح فيه من ضوضاء المدينة العظيمة أو شلليم ويستعد للصليب ثم للقبر!!!!".

[المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٠٣].

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤.

خافت ولكن إجابتها قوبلت بكلمات التأكيد التي كانت هي القول الفصل "لا بل ضحكت".

ويقول الدكتور ماير "هذه الكلمات الوحيدة التي تمت بين الله وزوجة إبراهيم وهي تبين أن حياتها كانت سطحية تميل إلى الشك وعدم التصديق على أننا يجب أن لا نشدد النكير عليها فإنها لم تكن لها الفرص التي كانت لزوجها^(١)."

أما محاولة البعض تفسير لفظ الرب في النص المذكور بأنه ملاك الرب مثلما ورد في مواضع أخرى فهي نوع من التمثل؛ حيث إننا وجدنا العبارات صارخة والألفاظ واضحة تمامًا في أنه كان الرب، وقد ناقشهم الإمام ابن حزم ورد عليهم ردًا مفحًا.

لكنه من جهة أخرى يمكن القول بأن القصة الأصلية كما وردت في التوراة المنزلة على سيدنا موسى ربما كانت تشتمل على وصفهم بالملائكة وأنهم نزلوا في صورة ثلاثة رجال وأنهم لم يأكلوا من الطعام بعد أن قدمه لهم إبراهيم، لكن كتبة التوراة الحالية قد غيروا معالم القصة وأضافوا إليها هذه الإضافات وأحقوا بالرب تلك الصفات.

وبذلك - وبناء على هذا الاحتمال - تكون القصة الأصلية مشابهة للقصة كما وردت في القرآن الكريم.

(١) حياة إبراهيم ص ١٠٥-١٠٦.

ويلحق الإمام ابن حزم على قول السفر بأن سارة قالت لم أضحك وأن الرب قال لها لا بل ضحكت بقوله: فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاش لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبطالة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت فتجمع بين سواتين إحداهما كبيرة من الكبائر وقد نزه الله عز وجل الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال (الفضل في الملل والأهواء ج١ ص ١٣٢).

قصة ضيف إبراهيم في القرآن الكريم:

فقد ذكر القرآن الكريم القصة على حقيقتها، فيبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين فظنهم بشرًا، فقدم إليهم طعامًا، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، ثم علم أنهم من الملائكة: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٦٧﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ يَتُومَلَيُّ آلِ الدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٠﴾﴾^(١).

ويقول الله تعالى أيضًا: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٧١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٧٣﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٤﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٧٥﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧٧﴾﴾^(٢).

يذكر عباس محمود العقاد أن إخبار القرآن الكريم عن هذه القصة يبين الفارق بين التجسيم والتنزيه، فالضيوف الثلاثة الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين كانوا يأكلون ويشبعون من الطعام.

إلا أن القرآن الكريم يروى قصة هؤلاء الضيوف ولا يروى أنهم أكلوا وشبعوا بل جلسوا إلى الطعام ولم تصل أيديهم إليه وسألهم إبراهيم أن يأكلوا فلم يفعلوا

(١) سورة هود: ٦٣ - ٧٣.

(٢) سورة الذاريات: ٢٤ - ٣٠.

فأوجس منهم خيفة وعلم من ذلك أنهم غير البشر وأن لهم شأنًا غير شأن ضيوف الزاد والمقام^(١).

ويقول الفخر الرازى: اعلم أن الأضياف إنما امتنعوا من الطعام لأنهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما أتوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوفًا بالضيافة^(٢).

ويقارن الإمام ابن حزم بين قصة سفر التكوين وبين قصة القرآن الكريم فيقول "أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل في هذه القصة نفسها، ثم يقول: "هيئات نور الحق من ظلمات الكذب والحمد لله رب العالمين كثيرًا"^(٣).

وأما عن مجادلة إبراهيم في قوم لوط فقد ذكر القرآن الكريم عقب بيان القصة السابقة قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ تَجَنَّدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَتْلُو آيَاتِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرَ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝ ٤٠ ﴾^(٤).

والمراد بقوله تعالى: (تجادلنا) أى يجادل رسلنا^(٥).

بدليل قوله سبحانه فى سورة العنكبوت: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ ٦٨ ﴾ قَالَ

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) التفسير الكبير ج ١٨ - ص ٢٤.

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٣١.

(٤) سورة هود: ٧٤ - ٧٦.

(٥) تفسير الفخر الرازى ج ١٨ ص ٢٩ ولعل التوراة المنزلة كانت تشتمل على مثل تلك الكلمة (يجادلنا) فلما جاء الكتبة فهموها على ضوء تصورهم المادى والوثنى للإله فذكروا أن الرب نزل فى صورة بشر وتحدث إلى إبراهيم وقام إبراهيم بمجادلته، لكن القرآن حينما يذكر تلك الكلمة يكون معها ما يفسرها فى آيات أخرى كما سنرى فى سورتي العنكبوت والذاريات مثلاً.

إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١﴾.

وقد بين القرآن الكريم أن هذه المجادلة كانت في غاية التأدب الرفيع مع رسل الله تتجاه قضاء الله وتمت في صورة بعيدة تمامًا عن التطاول والتطويل فلذلك مدح الله إبراهيم عقيب إشارته إلى المجادلة بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ فهو حلیم لا يحب المعالجة بالعقاب، وأواه: كثير التأوه مما يسوء ويؤلم، منيب: يرجع إلى الله في أمر.

وعلى القارئ أن يتأمل الفرق بين عبارات القرآن الوجيزة المفيدة المنزهة للرب تعالى عن مشابهة الخلق وعبارات ما يمسونه التوراة في تشبيه الله بعباده وتطويلها غير المفيد^(٢).

ظهور الرب ليعقوب ومصارعته حتى الفجر:

ويذكر سفر التكوين قصة مصارعة الرب ليعقوب لا تقل عن قصة تجلي الرب لإبراهيم في دلالتها على معنى الرب لدى من دونوا أحداث هذه الحقبة من تاريخ إسرائيل. فقد أورد في مجال رواية هروب يعقوب من وجه أخيه عيسو خشية البطش به لخداعه إياه - حسب زعمهم - أن الرب ظهر ليعقوب ذات ليلة في صورة رجل وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر دون أن يتمكن من التغلب على يعقوب، وبين السفر أنه كان صراعاً رهيباً أصيب خلاله يعقوب بضربة ينخلع لها حق الورك - عاهة تلازمه من بعد - فقد ضرب الرب حق فخذ يعقوب فانخلع، ولما بلغ من الله مبلغه طلب إلى يعقوب أن يطلق سراحه ويخلي سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة

(١) سورة العنكبوت: ٣١-٣٢.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: تفسير الفخر الرازي ج ١٢٨ ص ٢٨ - ٣١، تفسير المنار: المجلد السادس الجزء الثاني عشر ص ١٠٨ - ١٠٩.

وطلع الفجر ولكن يعقوب تشبث بغريمه وأمسك بتلابيبه وأبى أن يطلقه إذا باركه فقبل الرب تعالى شرطه وباركه^(١).

يقول سفر التكوين "فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذته فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه، وقال أطلقني لأن قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال له ما اسمك فقال: يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي وأشرق له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذته، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا^(٢).

يعلق الإمام ابن حزم على هذه القصة بقوله "في هذا الفصل شناعة يقشعر منها جلود أهل العقول وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم يد الله مغلوله وبقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء لما نطقنا بحكاية هذه العظائم لكننا نحكيه منكبين له كما نتلوه فيما نصه عز وجل تحذيراً من إفكهم"^(٣).

فقد ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى عن ذلك، وعن كل شبه لخلقه فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة، وأما أهل

(١) راجع / صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٥٤، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٧، حسين ذو الفقار صبرى: تورا اليهود ص ٤.

(٢) تكوين ٣٢: ٢٤ - ٣٢.

(٣) الفصل في الملل والهواء والنحل ج ١ ص ١٤١، ويذكر الدكتور بدران محمد بدران أن كتبة التوراة الحالية قد تجرأوا على كتابة قصة لا يجرؤ أى نبي أو إنسان أن يكتبها أو يقصها ولكنهم كتبوها، ويقول "هكذا لعب الخيال برؤوسهم لدرجة أنهم تصوروا أن الله نفسه لم يقدر على مصارعة جدهم يعقوب".

(راجع التوراة: العقل - العلم - التاريخ ص ٥٧ - ٥٨).

العقول فلا لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنصكلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال كنت قوياً على الله تعالى فكيف على الناس^(١).

وقد ساتنكر العلامة الباجي هذه القصة النص الذي أوردها وبين أنه غير مقبول ولا يحسن مطلقاً لأنه يحتوى على أشياء لا تليق:

أما أولاً: فلأن ظاهرة أنه يريد بالإنسان: الله تعالى، كما ذكره في آخر الكلام - سبحانه وتعالى عن ذلك.

أما ثانياً: فلأنه ذكر فيه المصارعة بينهما.

وأما ثالثاً: فلأنه جعلها ممتدة إلى الفجر.

وأما رابعاً: فلأن فيه أنه لم يقو أحدهما على الآخر.

وأما خامساً: فلأنه قال "أطلقني" ولم يقدر أن ينطلق بذاته.

وأما سادساً: فلأنه لم يطلقه - كما قال - إلا بعوض، وهو أن يباركه.

وأما سابعاً: فلأنه قال "ما اسمك؟" وفيه دليل على أنه لم يعلم اسمه.

وأما ثامناً: فلأن قال: لأنك قويت مع الله وفيه شبه من قول الشخص: إن فلانا قوى مع المصارع الفلاني القيم في الصراع بإدمانه معه.

وأما قوله: لأنى رأيت الله وجهاً لوجه فهو - كما يقول الباجي - قد وصل على ما ذكره إلى ما هو أعلى من ذلك وهو المصارعة والمغالبة - سبحانه الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(٢).

هذا ومن الواضح تماماً - حسب النص الذي أورده - ومن خلال تعليقات

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) راجع على التواترة ص ٨٢ - ٨٣.

العلماء والباحثين عليه أن الذى صار يعقوب هو الله - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا - وإذا كان قد ورد في بداية النص المذكور أنه "إنسان" إلا أنه في نهايته يذكر على لسان يعقوب "لأنك جاهدت مع الله.." ثم يسمى المكان فينوييل، ويقول: لأنى رأيت الله وجهًا لوجه.

لكن هناك من اليهود من يذهب إلى أن هذا الرجل كان ملاك الرب وليس الرب نفسه اعتمادًا على ما ورد في سفر هوشع، لكن كما يقول حسين ذو الفقار صبرى أين هوشع من أساطير الأولين؟ بل إنه يبدو مترددًا عازفًا عن أن يقطع برأى^(١)، إذ قال عن يعقوب "وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه"^(٢).

ومن قال بذلك من اليهود سعديا الفيومى الذى حذف كلمة "رجل" أو "إنسان" ووضع مكانها في ترجمته العربية للتوراة لفظة "ملاك" ثم حاول في آخر القصة الابتعاد عن إثبات حدوث مصارعة بين الله ويعقوب فتصرف في النص وقال "لأنك ترأست عند الله وعند الناس وطقت ذلك"^(٣).

لكنه نسى أن سفر التكوين ينص صراحة بعد ذلك في الإصحاح الخامس والثلاثين "وظهر الله ليعقوب أيضًا حين جاء من فدان أرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل"^(٤).

وقد جادل الإمام ابن حزم أمثال سعديا الفيومى ممن يقولون بأن الذى صارعه يعقوب هو ملاك الرب فقال:

(١) توراة اليهود بين أصول متشعبة وسعى إلى انعقاد ص ٤.

(٢) سفر هوشع ١٢: ٣ - ٤.

(٣) الجزء الأول من التفاسير والكتب والرسائل لربينو سعديا جأون بن يوسف الفيومى أخرجها وصححها جماعة من علماء، الفقير المفتقر إلى رحمة ربه يوسف ديرينوبورج (تفسير التوراة بالعربية باريس ١٨٩٣ صحيفة رقم ٥١) نقلًا عن د/ حسن ظا: الشخصية الإسرائيلية ص ١٥.

(٤) تكوين ٣٥: ٩ - ١٠.

"ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المعارضين منهم للجدال في كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارح الوهيم وقال إن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فإنما صارح ملكًا من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة، فيه كنت قويًا على الله فكيف على الناس، وفيه أن يعقوب قال رأيت الله مواجهة وسلمت نفسى ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك كما نص يعقوب أن يحرم على بنى إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك.

وفيه أنه سمى الموضع بذلك فينيئيل لأنه قابل فيه ايل وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم.

ثم إنه لو كان ملكًا كما تدعون عند المناظرة لكان أيضًا من الخطأ تصارع نبى وملك لغير معنى فهذه صفة المتحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء^(١).

وينتهى الإمام ابن حزم إلى القول "ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاى واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس في الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخلانهم وصحة اليقين بأن توارثهم مبدلة^(٢)."

فالقول بأن الملاك هو الذى صارح يخالف ما ورد في نصوصهم، حيث إنها ظاهرة الدلالة على أن الذى صارح يعقوب هو الله بنفسه.

يقول صبرى جرجس: "لم يكن هذا "الإنسان" الذى صارح يعقوب حتى الفجر

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١ ص ١٤٢، فإن قيل قد رويتم أن نبيكم صارح ركانة ابن عبد يزيد (قلنا نعم) لأن ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحدًا يقاومه في جزيرة العرب ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفًا بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له: إن صرعتنى آمنت بك ورأى أن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت وأسلم ركانة بعد مدة فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق ولكن لكل مقام مقال (المصدر السابق).

(٢) المصدر السابق ج١ ص ١٤٢.

كما ورد في التوراة اليهودية وخلع حق فخذة إلا "رب" يعقوب نفسه، وهو أيضًا "الرب" الذي طلب من غريمه أن يطلقه ولم يكن يعرف من يصارع حتى سأل عن اسمه ولا مجال حتى للتفسير الأسطوري في هذا المقام"^(١).

ويذكر الدكتور محمد بيومي مهران: أن النص التوراتي نفسه يخبرنا بوضوح أن ذلك الذي صارع يعقوب إنما هو الله نفسه، ولسنا نملك من أمرنا سوى أن نستغفر الله مما جاء في تورااة اليهود"^(٢).

وقد أورد زكى شنودة نص هذه المصارعة المزعومة وقال "معنى هذا أن الله ظهر ليعقوب في صورة إنسان وصارعه ولذا سماه إسرائيل أى الذى صارع الله، أو الذى جاهد مع الله"^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن المسيحيين قد وافقوا على أن الذى صارع يعقوب هو الرب ولكنهم - طبعًا - فسروه على أنه المسيح - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

يقول متى هنرى "قيل عن الملاك الذى صارع معه بأنه هو الله فالمفروض أنه من "ابن الله" "ملاك العهد" ويذكر أنه صارع يعقوب وفي نفس الوقت كان يعضده، في الحالة الثانية كان الله يظهر قوته أعظم مما أظهره في الحالة الأولى أى عندما صارعه فكأنه صارعه بيده اليسرى وصارعه من أجله بيده اليمنى فأعطاه قوة أعظم"^(٤).

وفي هذا الإطار يتساءل الدكتور ماير قائلًا: أكانت هذه المصارعة أو هذه الحرب جسدية؟ ويجب أنه ليس هناك أى مبرر لإنكار هذه الحقيقة، فنحن نعلم أن ابن الله

(١) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج٧ ص ٢٠٥، و ص ٢٢٤.

(٣) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط أو المسيحية ص ٢٤٤.

(٤) تفسير هوشع ص ٣٠٨ ترجمة القمص مرقص داود.

سبق أن أعلن تجسده بالظهور أحياناً بشكل جسدى لأن لذاته كانت منذ القديم مع بنى آدم ولقد كان من الميسور أن يصارع جسدياً مع يعقوب كما كان ميسوراً أن يمد يديه ليلمسها توما بعد القيامة.

ويقرر أن الحرب كانت يقينا جسدية بكل معنى الكلمة: لأن يعقوب عند استثنات رحلته خضع على حق فخذه، ولازال شعبه إلى اليوم يذكرون ماديا هذه الواقعة المادية إذ يمتنعون عن أكل ذلك الجزء من اللحم (عرق النسا) الذى يشبه الجزء الذى انخلع فى فخذه يعقوب، فالإنسان لا يصير أعرج بسبب حرب وهمية أو معنوية^(١).

هذا وقد بين العلماء أسطورية هذه القصة وما تحتوى عليه من خرافات وأباطيل ترجع إلى الأساطير الوثنية القديمة.

يذكر جرهارد فوس أن مصارعة يعقوب تعد حادثة بالغة الغرابة مما دفع بعض العصريين إلى اعتبارها مجرد أسطورة مستنديين على وجودها بين القبائل السامية وأنها أدرجت بين الأساطير التى تضمنها تاريخ الآباء.

فذكروا أن الذى التقى بيعقوب وصارعه هو الإله حامى حمى الأرض الذى أغضبه دخول يعقوب إلى دائرته، أو ربما كانت هذه هى القصة صراع الإله الشمس مع شيطان الشتاء وقد أدخلت الصورة كلها ضمن قصة يعقوب بعد تطوير مناسب.

ويعتقد البعض أن القصة وضعت لتفسير سبب تقديس المكان فى عصور لاحقة فلم يجدوا إلا الزعم بأن يعقوب صارع الله فيه، وأرغمه على أنه يباركه.

وفى كل هذه التفسيرات العصرية نجد أن الصراع يفسر على أنه مجرد صراع جثمانى وأن يعقوب كان أكثر قوة وبأساً من الشخص الذى صارعه^(٢).

(١). حياة يعقوب ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) راجع: علم اللاهوت الكتابى ص ١٥٨ - ١٥٩.

ويذكر حسين ذو الفقار صبرى أن جمهرة من العلماء والباحثين رأوا في هذه القصة ملامح أسطورية قديمة في ضوء ما كانت عليه شعوب المنطقة في تلك الأيام الخوالى، فما من مكان متميز إلا ومن خلفه قوى خارقة تكفل له الحماية: المرتفعات والأشجار الباسقة والكهوف وعيون الماء جميعها "مسكونة" مقر الآلهة أو جن أو أرواح، بل وأرواح شريرة في بعض الأحيان، تركب الأحياء... وظل هذا الاعتقاد عالماً حتى بعد ظهور المسيحية^(١).

فهناك من يفسر ذلك الرجل الغامض - الذى صورته اليهود على أنه الرب - بأنه فى أصل الأساطير القديمة جنى مريد، وأن هذا النص كغيره مما يتعلق بالآباء الأولين مستقى ولا شك من مأثورة قديمة، حين كانت شعوب المنطقة - عرباً كانوا أم عبريين أم كنعانيين - غارقين فى المعتقدات الخرافية^(٢).

ويذهب جيمس فريزر إلى أن قصة مصارعة يعقوب كما وردت فى سفر التكوين مستقاه من مصادر وثنية حيث إننا - فيما يقول - إذا ربطنا هذه القصة بالملامح الطبيعية للمكان الذى جرت فيه حوادثنا - بزعمهم - من ناحية، وبالأساطير الأخرى المشابهة لها من ناحية أخرى يتبين لنا أن الغريم الغامض الذى يتصارع من الإنسان فى الأساطير الوثنية هو روح النهر أو شيطانه وأن الصراع تم على نحو ما ورد فى التوراة الحالية: فقد أمسك "مينيلاوس" بإله البحر "بروتوس" الذى كان يرقد منعزلاً وقت الظهيرة بين الحواجز وفوق الرمال الصفراء، ليرغمه على أن يخبره بتكهناته وهو ممتنع عن ذلك ويذكر أيضاً أنه على نحو ما ورد فى القصة التوراتية أمسك "ييلبيوس" بإلهة البحر "ثيتيس" واتخذها زوجة له.

وفى كلتا الاسطورتين الإغريقيتين حاول روح الماء ذو الجسد الطيع الأملس أن

(١) تورا اليهود ص ٤ مجلة المجلة العدد ١٥٧ عام ١٩٧٠م، ويذكر أن العهد الجديد يعزو إلى بولس شفاء المرضى بأن يطرد منها الأرواح الشريرة (أعمال الرسل ١٩: ١١ - ١٢).

(٢) راجع برستيد: فجر الضمير ص ٣٧٥، حسين ذو الفقار صبرى: تورا اليهود ص ٤، د/ إسماعيل الفاروقى: أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ص ٩٩ - ١٠.

ينزلق من قبضة أسره مرة بعد أخرى مغيرًا شكله من أسد إلى حية ومن حية إلى سائل وهكذا، حتى وجد في النهاية أن محاولاته تضيع هباء وأنه لن ينجح في الإنفلات من يد خصمه العنيد فرضخ لمطلبه وأعطاه المنحة التي يسعى إليها^(١).

وذكر جيمس فريزر أن أسطورة صراع يعقوب مع خصمه الذي ظهر له في الليل بقصد انتزاع البركة من هذا الخصم المتمنع لها، ما يناظرها في خرافات المكسيكيين القدماء^(٢).

أما ما يحكى من أن يعقوب أصيب عصب معين في فخذه أثناء صراعه مع خصمه الذي ظهر له في أثناء الليل، فمن الواضح - فيما يقول فريزر - أنها محاولة لتفسير امتناع اليهود عن أكل الجزء المقابل لهذا عند الحيوان.

ويرى فريزر أن كلا من هذه الحكاية وهذه العادة، لها ما يياثلها لدى بعض القبائل الهندية التي تسكن أمريكا الشمالية، هؤلاء الذين يقطعون على الدوام باطن ركبة الغزال الذي يذبحونه ويرمونها، ويقدم هؤلاء الهنود سببين لاتباع هذه العادة.

أولهما: "أنه عندما يتمزق هذه العصب، يتقلص داخل اللحم ومن ثم فكل من يأكل لسوء حظ، من هذا الجزء فإن أطرافه تتقلص على هذا النحو".

أما السبب الثانى: فهو أنه إذا أكل الصياد هذا الجزء ولم يفصله ويرمه، سرعان ما يحل به التعب في رحلته.

وكلا السببين يشير إلى عقيدة سحر المشاركة، وإن كان مفعول السحر يختلف في كليهما، وربما كان أحدهما كافيًا لفهم مثل هذا التحرير عند اليهود.

(١) راجع تفاصيل ذلك: الفولكلور في العهد القديم ج-٢ ص ٥٠٧-٥١٨.

(٢) راجع تفاصيل هذه الخرافات: الفولكلور في العهد القديم ج-٢ ص ٥١٨-٥١٩.

ويمدنا سفر التكوين وفقاً لهذه النظرية بقانون ديني لعادة ترتكز في الأصل على عقيدة سحر المشاركة وحدها^(١).

وعلى أى حال، فقد كان المقصود بهذه المصارعة المزعومة هو تزويد سيدنا يعقوب (أبى الإسرائيليين) بامتياز خاص لم ينله أحد من قبل ولا من بعد.

فقد زعمت أسفارهم أن الرب التقى وجهًا لوجه مع أكثر من واحد من شخصيات العهد القديم.

أما أن يصارع الله - تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا - واحدًا من البشر، فهذه المصارعة كانت امتيازًا خاصًا ليعقوب الذى عجز الرب - سبحانه وتعالى - عن أن يصصره فصره على حق فخذ.

ولعل لدونى هذه الحكاية عن المصارعة غرضًا آخر وهو أنهم - فيما يقول محمود نعناعة - يريدون أن يذنبوا الفوارق ويحطموا الحواجز بينهم وبين ربهم فهم يقابلونه وجهًا لوجه ويمجادلونه ويصارعونه، وإن لم يقدرُوا عليه فهو لم يقدر عليهم - سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا فإن كان ثمة مسافة بين بنى إسرائيل وبين ربهم فهي مسافة قصيرة - فى زعمهم - يستطيع زعماءهم أن يجتازوها ويشاركوا الرب - سبحانه - فى جبروته وسائر صفاته.

وليس فى ذلك مبالغة وإنما هو يعكس الاتجاه الإسرائيلى فى تصوير الصلة بينهم وبين ربهم وهو اتجاه تأثروا فيه - بلا شك - بمعتقدات الشعوب الوثنية التى عايشوها^(٢).

وقد ورد أيضًا فى سفر الخروج كثير من الأوصاف البشرية المحضة للإله - سبحانه وتعالى - التى تعكس التصور الوثنى لليهود.

(١) المصدر السابق ص ٥١٨.

(٢) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل: الجزء الأول: من ظهور إبراهيم حتى سقوط يهوذا ص ١١٦ - ١١٧ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م.

فمن ذلك ما نسبته كاتب السفر إلى الرب من النسيان والتذكر.

جاء في الإصحاح الثانى "وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملكًا مات، وتنهّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب" (١).

ولم يفت كاتب السفر أن ينسب للرب أيضًا "الندم".

وآية ذلك أن الله حين غضب على بنى إسرائيل لرجوعهم عن عبادته وعودتهم إلى عبادة العجل الذهبى الذى صنعوه بأيديهم بعد أن طال غياب موسى عليهم حين ذلك دخل الله مع موسى فى جدل ونقاش - كما صور ذلك السفر - ومما قاله له "اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم" (٢)، وحاول موسى استغفار ربه فلم يجد من سبيل لذلك - أو بمعنى أصح لم يجد كاتب السفر من سبيل لذلك إلا هذه العبارة.

وزعم أن موسى عليه السلام وجهها إلى ربه وهو يراجع "أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك" (٣).

فتلقى الرب هذه النصيحة أو هذا التحذير - كما يصور السفر - بالسمع والطاعة وكان لكلام موسى أثره المرجو "فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه" (٤).

بيد أن هذه لم تكن هى المناسبة الوحيدة التى ندم "الرب" فيها - كما يزعمون - على ما كان موشكًا أن ينزله بدافع الغضب بينى إسرائيل، فما أكثر المناسبات، التى

(١) خروج ٢: ٢٣-٢٤.

(٢) خروج ٣٢: ١٠.

(٣) خروج ٣٢: ١٢.

(٤) خروج ٣٢: ١٤، راجع د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٥٥ عبد الكريم الخطيب: الله ذاتا وموضوعًا ص ٣١٠-١١١ دار الفكر العربى الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.

فيما تروى التوراة انطلق فيها رب إسرائيل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وكما يقول د/ صبرى جرجس - مندفعاً في غضبه ثم تراجع متحسراً في ندمه^(١).

ولم يكن أيضاً هذا هو الموقف الوحيد الذى دخل فيه "إله" إسرائيل فى نقاش مع عباده فإن التوراة غاصة بمناقشات لا حصر لها بين الله وبنى إسرائيل.

وليت الذى ألف هذه المناقشات فطن إلى الاحتفاظ لها بما ينبغى أن تكون عليه من سمو ووقار، ولكنه أجراها على مستوى من السخف والتفاهة لا يكون إلا بين الأنداد الحمقى من بنى البشر^(٢).

ونعود مرة أخرى إلى سفر الخروج فنجد فى الإصحاح الرابع والعشرين ما نصه: "ثم صعد موسى وهارون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل تحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق والشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا"^(٣).

ويعقب ابن حزم على هذا النص بقوله "هذا تجسيم لاشك فيه وتشبيه لإخفاء به"^(٤).

ويقرر سفر الخروج أن الإله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - يفيد من الضحايا التى تقدم إليه ويتنعمش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها^(٥)، ولا شك أنهم فى هذا التصور قد أساءوا إلى الذات العلية وتأثروا فى ذلك بالوثنية.

(١) ومن ذلك أنه فى أخريات عهد داود عليه السلام حمى غضب "الرب" على إسرائيل كما اعتاد أن يحمو من قبل عشرات المرات (حسب زعمهم) فجعل الرب وباء فى إسرائيل من الصباح إلى الميعاد فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر (صموئيل الثانى ٢٤: ١٥-١٦، وهكذا تقول الأسفار إن ندم الرب على شره قد أنقذ إسرائيل من الهلاك (المصدر السابق ص ٥٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) خروج ٢٤: ٩-١١.

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج١ ص ١٦١.

(٥) راجع سفر التكوين ٢٩: ٣٨-٤٣، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٩.

فإذا ما انتقلنا إلى أحدث أسفار توراتهم المزعومة (الثنية والعدد واللاويين) سنجد أن إله اليهود لم يتخلص من صفات الحوادث بل ظل عالقاً به في نظرهم بعض هذه الصفات.

فمن ذلك أن سفر اللاويين يذكر في أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة (وهي التي تحرق أجزائها في المذبح تحت إشراف أحد اللاويين - يرتاح لها الإله ويفيد منها).

وينتفش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير المراعين لمراسم التقديم فيرسل عليهم ناراً تحرقهم، كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية^(١).

ويرد الله تعالى في القرآن الكريم على مزاعمهم هذه فيقرر أن الله لا يناله شئ من لحوم الأضاحي ولا من دمائهم وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهرًا من مظاهر تقوى الله وامتنال أوامره وشكره على نعمائه التي أسبغها على عباده وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالْبُدْبُ جَعَلْنَهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَّن يَنَالَهُ اللَّهُ خُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۚ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

(١) راجع اصحاحات سفر اللاويين وقد ورد حادث ابني هارون في الإصحاح العاشر من هذا السفر.

(٢) سورة الحج: ٣٦-٣٧.

فآيات القرآن الكريم صريحة في بيان أغراض التقريب ومراسمه وتنزيه الإله عن النيل منه طعاماً أو شميماً يرتاح إليه سبحانه وتعالى^(١).

عقيدة الإله في أسفار التلمود:

وإذا كانت أسفار العهد القديم قد أبرزت الإله بهذه الصور المادية كما رأينا والتي تعكس التصور الوثني لدى اليهود في القرون السابقة للميلاد فإن أسفار التلمود الذي وضعوه بعد ذلك تواصل نفس المسيرة في القرون التالية للميلاد بل إنها تضيف إليها مزيداً من الخرافات والأباطيل التي ازدحمت على صفحات هذا التلمود.

فهذه الأسفار التلمودية - كما سنرى - تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه وما يرويه عن نشاطه وأعماله في الليل والنهار وعن حاله بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل.

فالتلمود يعزو إلى الله - كما سبق للتوراة أن عزت إليه على نحو ما رأينا - صفات البشر من حب وبغض وضحك وبكاء وشعور بالإثم والندم.

يذكر ول ديورانت أن الله كما يصفه التلمود إله متصف صراحة بصفات البشر فهو - على سبيل المثال - يحس بوخز الضمير ويلبس التهاشم ويدرس التوراة ثلاثة مرات في كل يوم^(٢).

(١) راجع د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية اليهود ص ٣٩، عباس محمود العقاد: - الضحية في مقارنة الأديان مجلة منبر الإسلام العدد ١٢ - السنة ٢٠ - ذو الحجة ١٣٨٢ / مايو ١٩٦٣ م.
راجع تفصيل الحديث عن اقربائين عند اليهود في كتابي "القرايين البشرية والذبايح التلمودية عند الوثنيين واليهود ومعه نص كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود" ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

(٢) قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان ص ١٧ - ١٨، راجع أيضاً د/ صبرى جرجس: التراث - اليهودى ص ٨١.

وذكر الإمام ابن حزم أن سفرا من أسفار التلمود يسمى "سفر توما" قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال أنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع، وأنه قد جاء في سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له "سادر ناشيم" أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب، وفي إصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب وأن الملك لذى يخدم ذلك التاج اسمه "صندلقون"^(١).

الحكم بين الناس والساعات الثلاث الثالثة كان يشغل بتدبير العيش للخلق وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيهما في اللعب مع الحوت ملك الأسماك (والحوت في وصف التلمود حيوان كبير جداً يبلغ من الضخامة أن يتسع خلقه لسمكة طولها ثلثائة فرسخ!!).

وزعم كتبة التلمود أن الله رأى أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملاً الدنيا وحوشاً تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل ولهذا حبس الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملحها وحفظ لحمها طعاماً للمؤمنين في الفردوس!!.

وأما ساعات الليل، فإن الله يقضيها - في زعم أصحاب التلمود - في استذكار التلمود مع الملائكة ومع ذلك الشياطين بعد انتهاء هذا الاستذكار وتلك الندوة العملية المزعومة!!.

ويذكر التلمود أن هذا النظام قد تغير بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل، فلم يعد لله جلد على اللعب والرقص كما كان يصنع في الأزمان السالفة^(٢)، إذ اعترف هذا الإله بخطئه في هذا الصدد وندم على ما فعله واعتبر أنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهذه الخطيئة أنهكت ضميره الحى حتى إنه قد خصص ثلاثة

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ٢٢١، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٤٠.

(٢) يزعم أصحاب التلمود أن أول رقصة رقصها الرب تعالى الله عن ذلك - كانت مع حواء بعد أن برجها وزينها وسرح شعرها بنفسه.

أربع الليل للبكاء والندم وكان إذا بكى سقطت من عينيه دموعتان في البحر فيسمع لهما دوى في الآفاق يصم الآذان، وتضطرب المياه وترجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل.

ويزعم التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه وتبرئه مما فعل إذ يملأ الدنيا زئيراً كالأسد الصريع ثم يصرخ "الويل لى تبالى لقد أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أبنائى فإذا ما سمع الناس يمجّدونه قال "طوبى لمن يمجّده الناس وهو أهل لذلك، وويل للذى يمجّده أبنأؤه الذين قضى عليهم بالتشريد والشقاء لأنه يصبح غير أهل لذلك، أى أن الله يقول عن نفسه - كما يزعمون - أنه غير أهل لتمجيد بنى إسرائيل إياه لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء"^(١).

ويذكر الإمام ابن حزم أنه قد ورد في بعض أسفار التلمود أن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تنن الحمامة ويبكى وهو يقول الويل لمن أخرج بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته، ويل على ما أخرجت من بيتى، ويل على ما فرقت من بنى وبناتى، قامتى منكسة حتى أبنى بيتى وأرد إليه بنى وبناتى^(٢).

ويذكر ابن حزم أن هذا قال فأخذ الله تعالى بشيأى وقال لى أسمعتنى يا ابنى - يا

(١) راجع فى ذلك: د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٩١ - ٩٢، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٤١، الأسفار المقدسة ص ٣٢ - ٣٣، محمد صبرى: التلمود ص ٦٦ من التلمود ص ٢٥ - ٢٨ هدية منبر الإسلام جمادى الأول ١٢٨٧ / أغسطس ١٩٦٧، بولس حنا سعد: همجية التعاليم الصهيونية منشورات المكتب الإسلامى بيروت ١٩٦٩، حبيب فارس: صراخ البرىء فى بوق الحرية: ص ٢٥١ - ٢٥٢ ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد القاهرة ١٨٩١م وقد اطلعت عليه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٨ فن التاريخ وقد رجعت إلى الطبعة الجديدة لكتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٥٥ - ٥٧ التى صدرت عام ١٩٨٧م بعد مناقشتى للدكتوراه واستفدت منه عند نشر الكتاب.

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٢٢.

إسماعيل قلت يا رب فقال لى يا ابنى إسماعيل بارك على، قال فباركت عليه ومضيت"^(١).

ويعلق ابن حزم على ذلك بقوله "فأعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع:

فمنها إخباره عن الله تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة الويل حقاً على من يصدق بهذه القصة وعلى الملعون الذى أتى بها.

ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل وما الذى دعاه إلى الندامة أتراه كان - عاجزاً هذا عجب آخر.

وإذا كان نادماً على تبديهم وإلقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكمة فى أدبارهم كما نص فى آخر توراتهم.

ما فى العالم صفة أحق من صفة من يتماذى على من يندم عليه هذه الندامة ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين.

ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أم لا حتى سأله عن ذلك.

ثم أظرف شىء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب وأن الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب.

ومنها كونه بين الخرب وهى مأوى المجانين من الناس وخساسة الحيوان كالثعلب والقطط البرية ونحوهما.

ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة.

ومنها طلبه البركة من ذلك المتن وبالله الذى لا إله إلا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ التى بلغها هذا اللعين ومن يعظمه، وبالله تعالى نتأيد.

(١) المصدر السابق.

ولولا ما وصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم يد الله مغلولة والله فقير ونحن أغنياء وما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا ولكن سهل علينا حكاية كفرهم ما ذكره الله تعالى لنا من ذلك^(١).

ويقول الإمام ابن حزم " ولا عجب من أخبار هذا الكتاب لعنه الله عن نفسه بهذا الخبر فإن اليهود كلهم يعنى الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله وعلى تلعيبه وتهوين أمره عز وجل فإنهم يقولون ليلة عيد الكبور وهى العاشرة من تشرين الأول (أكتوبر) يقوم الميططرون، ومعنى هذه اللفظة عندهم الرب الصغير تعالى الله عن كفرهم قال ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكى قليلاً قليلاً ويلى إذ خربت بيتى وأيتمت بنى وبناتى قامتى منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتى وأرد إليه بنى وبناتى ويردد هذا الكلام^(٢).

ولاشك في أن هذه الصورة الهابطة التى رسمها أحبار اليهود عن الإله - سبحانه وتعالى - قد تأثر فيها اليهود بالتصورات الوثنية وخاصة ديانتى البابليين والفرس بل جاءوا منها بما هو أخط^(٣).

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى ما حكاه القرآن الكريم عن اليهود من أنهم تقولوا على الله سبحانه وتعالى فأساءوا الأدب فى قولهم وأبانوا فساد معتقدهم. يذكر القرآن الكريم أنهم قالوا على الله - سبحانه وتعالى عما يقولوا علواً كبيراً - قولين:

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٣.

(٣) يذكر إسرائيل ولفنسون أن التلمود البابلى قد اشتمل على نظريات كثيرة فى الفلك والطبيعة وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس بعد الميلاد: ففيه إلى جانب الأحكام التشريعية مباحث فى التاريخ والروايات والقصص والآراء الكثيرة التى وصلت إلى الأحيار من البابليين والفرس، وأدجبت كل هذه النظريات حتى تمثل تمثيلاً صحيحاً حقيقياً عقلية اليهود فى جميع نواحي حياتهم مدة ثلاثة قرون (إسرائيل ولفنسون موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ص ٤٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م، د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والديان ص ٢١٨).

الأول: ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١).

الثاني: ما جاء في قوله سبحانه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٢).

القول الأول:

ينقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما نزل قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قالت اليهود: يا محمد. افتقر ربك فسأل عباده القرض!! فأنزل الله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣).

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدارس (المعلم المدرس) فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم... فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وأنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ﷺ ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجهه فنحاص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أبصر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله ﷺ ما حملك على ما

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) بدون تاريخ.

صنعت يا أبا بكر، فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص ردّاً عليه وتصديقاً لأبى بكر ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية^(١).

فأكثر الروايات على أن هذا القول إنما صدر عن اليهود، والظاهر أنه صدر من غير واحد منهم وما يقوله البعض ويميزه الجمع يسند إلى القائلين والمجيزين جميعاً^(٢).

ومما يقوى نسبة هذا القول إليهم كما يذكر الفخر الرازى أن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: يد الله مغلولة: يعنون أنه بخيل بالعتاء وذلك الجهل مناسب للجهل المذكور في هذه الآية.

وثانيهما: ما ورد من روايات تخبر أنهم تكلموا بذلك.

وثالثهما: إن القول بالتشبيه غالب على اليهود، ومن قال بالتشبيه لا يمكنه إثبات كونه تعالى قادراً على كل المقدورات وإذا عجز عن إثبات هذا الأصل عجز عن بيان أنه غنى وليس بفقر^(٣).

وسوء تصور اليهود للحقيقة الإلهية شائع - كما أوردنا - في كتبهم المحرفة، ولكن هذه تبلغ مبلغاً عظيماً من سوء التصور ومن سوء الأدب معا ومن ثم يستحقون هذا التهديد اللاحق.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

(١) راجع تفسير الطبرى ج٧ ص ٤٤١ - ٤٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م. تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٣٤، التفسير الكبير للفخر الرازى ج٩ ص ١١٧، تفسير المنار المجلد الثانى الجزء الرابع ص ٢١٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى ج٩ ص ١١٧، تفسير المنار ج٤ ص ٢١٥.

(٣) التفسير الكبير ج٩ ص ١١٧.

وإنما ضم قتل الأنبياء وهو أفظع جرائم هذا الشعب.. إلى جريمة هذا القول الشنيع الذى صدر عنهم فى حق الله سبحانه لبيان أن مثل هذا الكفر والتهور ليس بدعاً من أمرهم وكما يقول الزمخشري " جعل قتلهم الأنبياء لم يستبعد منه الاجترار على مثل هذا القول"^(١).

وذكر القرطبي أن اليهود كفروا بهذا القول لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين وتكذيب النبي ﷺ، أى أنه فقير على قول محمد لأنه اقترض منا^(٢).

وذكر الزمخشري أنه لا يخلو أما أن يقولوا هذا القول عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء - بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين فى فكرهم^(٣).

القول الثانى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُدْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

هذا القول الفظيع من شواهد قولهم الإثم الذى أثبتته القرآن عنهم فيما قبل هذه الآية ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٤).

وقد عزى إليهم وهو قول بعضهم لأنه أثر ما فشا فيهم من الجرأة على الله وترك إنكار المنكر والمقر للمنكر شريك الفاعل له^(٥).

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله سبحانه يخبر عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتالعة

(١) راجعي: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ج١ ص ٤٨٤ مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي طبعه عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، تفسير المنار ج٤ ص ٢١٩ - سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد الرابع ص ٤٣٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٩٤.

(٣) تفسير الكشف ج١ ص ٤٨٤.

(٤) المائدة: ٦٣.

(٥) تفسير المنار ص ٣٧٤ من الجزء السادس.

إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوه تعالى عن قولهم علواً كبيراً بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

ونقل عن محمد بن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله هذه الآية^(١).

وقيل إنها نزلت في غيره^(٢).

وأياً ما كان الأمر فإن القرآن الكريم يصرح تصريحاً قاطعاً بأن اليهود قد صدر عنهم هذا القول الشنيع الذى يعبر عن سوء تصورهم لله سبحانه فساد معتقدتهم فيه.

وقد بلغ من غلظ حسهم، وجلافة قلوبهم، ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذى أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر، فاختاروا لفظاً أشد وقاحة وتهجماً وكفراً فقالوا: يد الله مغلولة!!.

ويجئ الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم ولنعهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

ثم يصحح القرآن الكريم هذا التصور الفاسد السقيم، ويصف الله سبحانه بوصفه الكريم وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣).

وهكذا تبين لنا بوضوح لا لبس فيه ولا غموض - بعد أن استرشدنا بالقرآن الكريم واعتمدنا على نصوص أسفارهم المقدسة - أن اليهود قد أساءوا إساءة بالغة في فهمهم للذات العلية وأفسدوا فساداً عظيماً في تصورهم للخالق سبحانه وتعالى

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن ج٢ ص ٩٢٩، ولمزيد من التفاصيل حول هذه الآية راجع تفسير الفخر الرازى ج١٢ ص ٤٠ - ٤٤، تفسير المنار ج٦ ص ٣٧٤ - ٣٧٨.

فنسبوا إليه - سبحانه وتعالى - أخط الصفات وتحدثوا عنه بسخف وإسفاف، فانحرفوا بذلك انحرافاً شديداً عن التنزيه التام لله سبحانه والذي أتى به نبي الله سيدنا موسى عليه السلام والذي نراه ونلمسه في كثير من آيات القرآن الكريم، وجنحوا جنوحاً كاملاً إلى التشبيه والتجسيم، وأسرفوا إسرافاً شديداً في اتجاههم الحسى وتصورهم المادى، مندفعين في ذلك بتأثير الوثنيات التى كانت سائدة في الديانات القديمة.

وبالرغم من وضوح النصوص وصراحتها في الاستدلال على وجود التشبيه والتجسيم لدى - اليهود والى تقطع بأنهم مشبهون ومجسمون إلا أن هناك من يزعم أن النصوص الدالة على التجسيم والتشبيه ليست على ظاهرها وإنما هى قابلة للتأويل ومن ثم فإن اليهود - منزهون وليسوا مجسمين^(١).

والواقع أنه فيما يتعلق بالأوصاف البشرية للإله في التلمود والتقولات التى تطاول بها أحبارها على الذات العلية لا يمكن المهاراة فيها أو الدفاع عنها. وإنما من زعم بتنزيه اليهود للذات الإلهية قد اعتمد على أمرين:

الأمر الأول: وهو ما أشرت إليه من أن هناك نصوصاً في العهد القديم ليست على ظاهرها وقابلة للتأويل.

والأمر الثانى: فى أنه يعتمد على أفكار وآراء موسى بن ميمون ومن تبعه من اليهود المتأخرين فى العصور الوسطى من حيث إنهم أولوا تلك النصوص وقالوا بتنزيه الله عن الصفات البشرية.

ففيما يتعلق بالأمر الأول فربما نوافق على محاولة تأويل بعض النصوص لكن أكثر النصوص من المتعذر تأويلها وليستعرض القارئ مرة أخرى ما سبق أن قدمناه، ويكفى أن نشير إلى بعضها مثل ما ورد عن استراحة الرب فى اليوم السابع وما ورد.

(١) راجع على سبيل المثال: ابن كمونة: تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث: اليهودية، المسيحية، الإسلام ص ٣٣ - ٣٥ - توزيع دار الأنصار القاهرة.

عن تصرفات الرب - في زعمهم - مع آدم وحواء، وما وصفوه به سبحانه - من الكذب والغفلة والخداع.

وكذلك ما ورد في قصة تجلى الرب لإبراهيم في صورة بشر والتصريح بأن الرب والملكين أكلوا وشربوا، وأيضًا ما ورد عن مصارعة الرب ليعقوب في زعمهم وانتصار يعقوب عليه - سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيراً.

كذلك ما ورد في أسفار العهد القديم من نسبة الندم إلى الرب سبحانه ويحضرني هنا أيضًا ما ورد على لسان إيليا النبی حيث ورد في سفر الملوك الأول أن ابن الأرملة التي كانت تعول إيليا قد مات فما كان من إيليا إلا أن صرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي أأيضًا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أساءت بإماتتك ابنها^(١).

إلى غير ذلك مما يحتوى عليه الأسفار من إساءة وإسفاف كما عرضتها سابقاً. ولعلنا نستأنس هنا برأى أحد فحول أخبار اليهود بعد أن من الله عليه بالهداية إلى الإسلام وهو الإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربي (٥٧٠هـ).

إذ يذكر أن التوراة التي بأيديهم - على الحقيقة - (كتاب عزراً) وليس كتاب الله فقد جمع عزراً من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة.

ويستدل السموأل على أنه كان رجلاً فارغاً جاهلاً بالصفات الإلهية فلذلك نسب إلى الله تعالى، صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله والإقلاع عن مثلها.

فمن ذلك قولهم في التوراة التي بأيديهم "وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه" ونقل هذا بالعبرية.

(١) راجع ملوك أول ١٧: ٩ - ٢٠.

ويذكر السموأل أن المترجم قد أفرط في تعصبه وتأويله وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة وفسرها بقوله "وعاد الله في رأيه!!".

وهذا التأويل - كما يقول السموأل - وإن كان غير موافق للغة فهو أيضًا كفر! بل مناقض لما يدفعونه من البداء والنسخ.

ويذكر السموأل أن هذه الآية - عندهم في قصة قوم نوح، زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح وأن شرهم وكفرهم قد عظم، ندم على خلق البشر وشق عليه، ولا يعلم هؤلاء البله أن من يقول بهذه المقالة، لزمه أن الله سبحانه قبل أن يخلق البشر، لم يكن عالمًا بما سيكون من قوم نوح وغير ذلك من النقص تعالى الله عما يكفرون، ويذكر السموأل أيضًا أن عندهم أن نوحًا النبي عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى وقرب عليه قرابين ويتلو ذلك:

فاستنشق الله رائحة القتار (وهو ريح الشواء والقدر) فقال الله تعالى في ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان، كما صنعت!!.

ويذكر السموأل أيضًا أنهم في العشر الأول من كل سنة يقولون في صلواتهم "يا إلهنا وإله آبائنا، أملك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة، ويقولون في هذه الصلاة أيضًا:

وسيكون لك الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحدًا، ويعنون بذلك - كما يقول - السموأل وهو أدرى ببلغتهم - أنه لا يظهر أن الملك لله، إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفته!

فأما ما دامت الدولة لغير اليهود، فإن الله حامل الذكر عن الأمم وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته.

ويقولون أيضًا انتبه لم تنام يا رب استيقظ من رقدتك!!

ويذكر أنهم نطقوا بهذه الهذيان والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعدا!! فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهذيان الذي لا يستحسنه إلا عقولهم الركيكة!!

فتجروا على الله بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم يُنخّون الله بذلك ليتنخى لهم ويحمى نفسه، لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك فكأنهم يخبرونه بأن قد اختار الخمول لنفسه، وينخونه للنباهة واشتهار الصيت!!.

ويذكر أيضًا أن عندهم - في توراتهم - أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجله كرسى منظره كمنظر البلور ويقول " يطول بنا الكتاب إذا عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم".

وينتهي في ذلك إلى قوله "لسنا نرى أن هذه الكفريات، كانت في التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه"^(١).

أبعد ذلك يجيء من يقول أن النصوص المذكورة ليست على ظاهرها وقابلة التأويل ويدافع عنها على أنها نصوص منزلة من عند الله - تعالى الله عما يافكون؟؟.

ومن جهة أخرى فإن النصوص التي يمكن أن تكون قابلة للتأويل وليست على ظاهرها وإذا ما أولت فإنها تفيد التنزيه وتطرد شبح التجسيم، حتى هذه النصوص لا نبرئ اليهود في تصورهم لها بصورة حسية وبأنهم أخذوها على ظاهرها ولم يؤولوها وخاصة أن التأويل لم يعرف في اليهودية إلا بعد الاتصال بالفلسفة اليونانية واشتهر على يد فيلسوفهم فيلون الإسكندري.

(١) راجع كتابه إفحام اليهود ص ١٢٤ - ١٤١ تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد عبد الله الشراوى - دار الهداية ١٩٨٦ م القاهرة.

وعلى ذلك فإننا لو قبلنا أن هناك نصوصًا داخل توراتهم على ظاهرها وأن من الممكن تأويلها فإننا لا نقبل أن اليهود قد فهموها على هذا التأويل، فإن هذا التأويل إنما لجأ إليه أفراد فيما بعد، والأمر يستوى في الحالين إذ هم في الأولى تأثروا بالديانات - الوثنية - وهذا مقصودنا من البحث - وفي الثانية تأثر بعضهم بالفكر الفلسفى من حولهم، كما حدث لفيلون الإسكندري أو بالفكر الإسلامى، كما حدث لموسى بن ميمون.

يذكر زكى شنودة أن الله - سبحانه - أراد أن يخاطب الإنسان بصيغة يستطيع أن يفهمها، وبصورة يستطيع أن يتصورها فتكلم عن نفسه وكأنه في صورة الإنسان وكأن له أوصاف الإنسان وصفاته وله مشاعر الإنسان في أفعاله.

وأراد أن يكون كلامه إلى اليهود قريبًا إلى أفهامهم، فتنازل وخاطبهم - وهو الإله الخالق - باللغة التى يفهمونها وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريبًا إلى مداركهم فتنازل وأعطى لهم الصورة التى يمكنهم أن يتصوروها، لعلمهم - ولو عن طريق التشبيه والرمز - يدركون طبيعته ويعرفون شريعته، ويسيرون على مقتضى أحكامه ووصاياه، وبذلك يسلكون سبيل الخلاص الذى شاءت رحمته أن يهديهم إليه لينقذهم من الهلاك المحكوم به عليهم بسبب شرورهم وآثامهم وجرائمهم.

ولكنهم بدلًا من ذلك ظنوا بعمى بصائرهم وغلظة مشاعرهم وغباء قلوبهم أن الله ليس إلا واحدًا من تلك الآلهة الوثنية لزائفة التى تتمثل في صورة الإنسان والحيوان أو غير ذلك من الكائنات، والتى كان جيرانهم الوثنيون يعبدونها، وقد عبدوها هم أنفسهم مع إلههم في بعض الأحيان، أو عبدوها وحدها بعد أن تمردوا على إلههم وكفروا به في أغلب الأحيان.

إذ كانت هذه الآلهة الوثنية أقرب في طبيعتها إلى طبيعتهم الحسية البهيمية المنحطة وكان الله العلى السرمدى أسمى من أن يدركوا حقيقته السائية السامية بأفكارهم الهزلية الهابطة، وتصوراتهم الأرضية الساقطة ومن ثم أخذوا أقوال التوراة على

ظاھرھا غافلین عن جوھرھا وفحواھا، وتمسکوا بحرفیتھا متعامین عن روحھا ودلالتها وممرھا.

فكانوا حتى وهم يتظاهرون بأنهم يعرفون الله أجهل ما يكونون به، وكانوا وهم يزعمون - التقرب إليه وحبه وطاعته أبعد ما يكونون عنه وأكثر ما يكونون عداوة له وتمردًا عليه^(١).

وهذا الذى ذكره شنودة إن كان يصلح دفاعًا عن "العهد القديم كنص إلهى موثق - وهو ما يهدف إليه الكاتب وقد بينّا من قبل بطلانه - فإنه لا يصل دفاعًا عن اليهود فى اعتقادهم فى الله، بل هو يؤكد ما وصل إليه هذا البحث من تأثرهم بالوثنية تأثرًا شديدًا.

على أننا إذا رجعنا إلى ما احتوت عليه نصوص العهد القديم والتلمود من عبارات التشبيه فإننا نبطل ما ذهب إليه شنودة، لأننا لا نجد من المعقول، أن يقصد النص إلى التنزيه فيأتى بهذه العبارات الصارخة فى باب التجسيم والتشبيه والتى يعذر من آمن بها إذا هوى فى قاع الوثنية لأنها تلح عليه فى ذلك إلحاحًا شديدًا، وليس من المعقول أن يتهم الوحي الإلهى بالعجز عن أن يجمع بين التنزيه - الذى هو الحق والمطلوب - وبين أن يخاطب الإنسان بلغة يفهمها.

إن عقلية اليهود - على ما كانوا عليه آنذاك - تبدو فى قمة الخبث والمكر والدهاء، وهى على أية حال أرقى كثيرًا من عقلية طفل!!

ولاشك أننا حينما نقدم للطفل فكرة عن الألوهية يتقبلها دون الارتكاس فى حضيض مثل ما ارتكس إليه التصور اليهودى الوثنى البالغ أعماق الوثنية!!
فهل كان حالهم أحط من حال طفل، وهل كان حال الوحي عندهم أحط من حال المربى عندنا؟!

(١) اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ص ٣٨٨ - ٣٨٩، ٤٠٨.

وأما فيما يتعلق بالأمر الثانى وهو الاعتماد على أفكار وآراء موسى بن ميمون، فإننا لو علمنا من أين جاء ابن ميمون بآرائه تلك وكيف كان أثرها على اليهود لتبين لنا تهافت الاعتماد عليه.

يذكر الدكتور حسن ظاظا أن الفكر الدينى لدى اليهودى يتسم بظاهرة وهى بقاء بابه مفتوحاً على مصراعه كل ألوان التطور بحث أصبح اليهودى اليوم لا يشبه ما كان عليه اليهود على أيام داود وسليمان عليهما السلام، فضلاً عن أولئك الأقوام الذين عاشوا فى البداوة تحت حكم القضاء أو الرعيل الأول الذى اتبع تعاليم موسى وهارون عليهما السلام، فالنصوص تغيرت والظروف التاريخية كذلك والعقائد والطقوس أيضاً بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودى نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة غريبة بعضها عن بعض لا تتفق إلا فى الاسم وتدخل بسببه فى ركام متكتل^(١).

واستدل الدكتور ظاظا على ذلك بنص الأصول الثلاثة التى وضعها موسى ابن ميمون^(٢).

وجعلها أركان الإيمان اليهودى التى تعبر عن تنزيه الله تنزيهاً تاماً وتوحيده توحيداً كاملاً، وذكر أن موسى ابن ميمون قد وصل بالعقائد اليهودية فى هذه الأصول الثلاثة عشر إلى المستوى الفكرى الموازى لنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين، كما أن تأثيره بها واضح سواء فى ربوبية الخالق أو فى وحدانيته وتنزيهه عن الشبيه والشريك، ويبدو فى أقواله بوضوح أثر الفكر الدينى الإسلامى الذى لم يكن معروفاً عهداً التوراة المبدلة^(٣).

(١) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ١٥٢.

(٢) ولد موسى بن ميمون عام ١١٣٥م بالأندلس درس علوم الدين اليهودية وعلوم الفلك والمنطق والحساب والفلسفة ثم أصبح من أئمة اليهود المشهورين (راجع تفصيل الحديث عن حياته د/ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون ص ١-٤٠).

(٣) راجع الفكر الدينى الإسرائيلى ص ١٥٧-١٦٦، ولزيد من التفاصيل راجع أيضاً إبراهيم موسى هنداوى: الأثر العربى فى الفكر اليهودى ص ١٣٨-١٦٨، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م =

ويعترف بذلك العالم اليهودى الدكتور إسرائيل ولفنسون فيقول " مما لا شك فيه أن ظهور التفكير الفلسفى الدينى اليهودى فى القرون الوسطى إنما هو نتيجة لاتصال اليهود - بالحضارة الإسلامية الفلسفية وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية عامة، وكان أول من اتصل بالفلسفة الإسلامية من اليهود سعديا الفيومى الذى اعتنق كثيراً من آراء المتكلمين"^(١).

ويؤكد أن علم الكلام الإسلامى كان له تأثير شديد فى يهود البلدان الشرقية حتى عرفوا من نصوص آدابهم وطرق بحثهم بمتكلمى اليهود.

وينقل عن موسى بن ميمون قوله " إن الذى نجد من الكلام فى معانى التوحيد عند بعض علماء الدين من اليهود فى العراق من الربانين والقرائن إنما هى أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين، وكذلك أخذ أصحابنا من المعتزلة ومن الأشعرية"^(٢).

ويذكر ولفنسون أن كتاب موسى بن ميمون "دلالة الحائرين" يعد ذروة التفكير اليهودى الفلسفى فى القرون الوسطى وأن الجزء الأول منه يبحث فى ماهية الله وكيفية إدراكه وتعريف توحيده - كما يدخل فى الكتاب المقدس - عن طريق المنطق والعقل، ويفتح الكتاب بمجادلة عنيفة للذين يصفون الله بالأوصاف المادية، وأنه أخذ يشرح فى ذلك ألفاظاً كثيرة من أسفار الكتاب المقدس يتمرن فى أثنائها العالم الدينى تمريناً منطقياً عقلياً معتمداً - على تعاليم أرسطو طاليس وفحول فلاسفة العرب"^(٣).

ويذكر ولفنسون أنه ورد فى هذا الكتاب بحث مفصل فى منزلة المعتزلة

= راجع أيضاً د/ عبد الرازق أحمد قنديل: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص ٢٤٦ - ٢٦١ - دار التراث بالقاهرة ١٩٨٤م / ١٤٠٤هـ.

(١) موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق ص ٨٣.

(٣) راجع المصدر السابق ص ٦٧ - ٨٢.

والأشعرية والمتكلمين مما يدل على أن موسى بن ميمون درس المذاهب الإسلامية دراسة وافية وعلى العموم قد كان له إلمام بالفلسفة العربية ينذر أن يتوفر في شخص آخر من أبحار اليهود في القرون الوسطى^(١).

ويفيد هذا الكتاب أن ابن ميمون قد اطلع على كثير من نظريات المتكلمين في التوحيد^(٢).

ويذهب ول ديورانت إلى أن موسى بن ميمون كان يجذب حذو المعتزلة في تفسيرات - العبارات التي تشير إلى شئ من أعضاء الجسم أو أية صفة من صفات الله تفسيرًا مجازيًا^(٣).

هذا وقد قبلت آراء سعديا الفيومي وموسى بن ميمون وغيرهما بالرفض الشديد من اليهود المعاصرين لهما إلى حد أن اتهم موسى بن ميمون بالزندقة والكفر وإحراق كتبه.

يذكر الدكتور بحر عبد المجيد أن انتشار الفرق الفلسفية في كتابات علماء الدين اليهودي كان له أثره البالغ في العقائد اليهودية، وأن هذا الفكر قد تعارض أحياناً مع ما ورد في التلمود والعهد القديم فمثلاً لم يوافق موسى بن ميمون العبارات التي توحى بتجسيد الرب والمعتقدات التي بنيت على هذه العبارات والتي أصبحت في صلب عقيدة اليهود، فقامت حملات ضد أفكار هؤلاء الذين صبغوا الفكر الديني اليهودي بالفلسفة، ووصل الأمر إلى أن بعض رجال الدين اليهودي حرموا قراءة هذه الكتابات. واعتبروا أن بعض ما جاء في هذه الكتابات نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٨٢.

(٣) قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الإيمان ص ١٢٦.

(٤) اليهودية ص ١٥٢ ناقلاً عن مصدر أجنبي.

ويرى ول ديورانت أن تأثير ابن ميمون في الدين اليهودى كان تأثيراً انقلابياً وأن - أبناءه وحفدته قد واصلوا عمله واحتفظوا بآرائه وتقاليده في الفلسفة، وأتى على الناس - حين من الدهر ظهر فيه تطبيق آراء أرسطو على الكتاب المقدس واستخدام المجاز والاستعارة في تفسيره استخداماً يبلغ حد الشعوذة، ورفض ما جاء فيه من القصص، والقول بأنها غير صحيحة من الوجهة التاريخية، وبدا أن صرح الدين اليهودى كله يوشك أن ينهار على رأس أحبار اليهود.

ويذكر ول ديورانت أيضاً أن بعض الأحبار قاوموا نزعة ابن ميمون مقاومة عنيفة ونددوا بتشكك ابن ميمون في عقيدة الخلود ورفضوا فكرته عن الإله غير المعروف والمحسوس وقالوا إنها تحديد مجازى لا يحرك أية نفس نحو التقى والصالح، وانضم الكثيرون إليهم حتى ذهبوا إلى قبر ابن ميمون فدنسوه^(١).

ويذكر ولفنسون أن كتاب دلالة الحائرين قد اشتمل على نظريات معادية لأسس الإيمان، ويذهب إلى أن موسى لو نشر كتابه هذا قبل أن ينشر كتابه عن تفسير المشنا والتشريع الإسرائيلى لما كان له تلك الشهرة بين اليهود ولما كان لنظرياته التى أدخلها على التفكير الدينى أدنى أثر، لولا شهرته رئيساً دينياً، لما قبل الرأى العام اليهودى كتابه دلالة الحائرين وربما كان أمره ينتهى بالنسيان^(٢).

ويذكر أن هذا الكتاب قد أنتج ثورة عنيفة بين اليهود أنفسهم وبدأ أمر الفتنة فى أخريات أيام موسى ثم اشتد بعد وفاته وانقلب إلى نضال عنيف بين أنصار مذهبه الفلسفى بين أعدائه وشغلهم هذا النضال إلى نهاية القرون الوسطى^(٣).

وكان زعيم المتمردين على كتاب دلالة الحائرين الحبر سليمان بن إبراهيم من مدينة مونييليه يعاونه اثنان من كبار تلاميذه الذين اتصلوا برؤساء الدين من اليهود

(١) قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) إسرائيلى ولفنسون: موسى بن ميمون ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٣١ - ١٣٢.

في شمال فرنسا وأظهروا السخط على كل من يدرس هذا الكتاب ومن يؤول نصوص التوراة وآراء التلمود على النحلة الفلسفية وأنذروه بالحرمان من حقوقه الشرعية^(١).

وينتهي ولفنسون إلى أنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود قد أثر اثراً عميقاً في حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين؛ لأن أنصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرءونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد، وأصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرس كتب الدين وفقه الشريعة، ومن ناحية أخرى تداولته أيدي المعاصرين أنفسهم ليدلوا على ما فيه من الكفر والمغالطة والتناقض^(٢).

ومن هنا فإننا نستبعد أن يكون مذهب موسى بن ميمون معبراً عن الاتجاه العام في العقيدة اليهودية، كما نذهب إلى أنه مهما يكن من أمره فإنه لا ينفى تأثر اليهود بالأديان الوثنية في أغلب فترات حياتهم.

هذا، وقد أرجع العلماء الاتجاه الحسى لدى اليهود وجنوحهم إلى التجسيم والتشبيه إلى المعتقدات والتصورات الوثنية القديمة حيث تبين لهم احتفاظ الدين اليهودى بالكثرة اللافتة من المعتقدات والطقوس التى يبرأ منها الدين السماوى المنزل من عند الله سبحانه حيث أن الدين السماوى يهدف قبل كل شىء إلى القضاء على الوثنية بشتى مظاهرها كما أنه يهدف إلى تنزيه الخالق سبحانه عن كل الصفات الإنسانية.

فقد ذهب أتباع الديانات القديمة مذاهب السفه والضلال فى تصور الذات الإلهية حين حاولوا تجسيدها فى قوالب مادية يحسونها بحواسهم، ويخالطونهم مخالطة الأهل والعشيرة وكان من ذلك أن نزل مستوى الإله فلم يكن له مكان

(١) راجع المصدر السابق ص ١٣٢ - ١٣٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦.

للاحترام والتوقير، إذ أن - ظهور الإله في هذه الصورة الجسدية التى اتخذها له عابده رمزاً قد خلعت عنه حجب الهيبة التى كانت تضى على أنه ظل محجّباً عن العيون بعيداً عن تناول الحس.

فأينما فى الأديان الوثنية آلهة تعيش مع الناس وتقع تحت أبصارهم وبين أيديهم تأكل وتشرب وتتزوج وتتناسل، وتضحك وتبكي، تغضب وتندم، إلى غير ذلك من الصورة الوثنية التى أطلعنا عليها فى الفصل الخاص بالأديان الوثنية.

وكان لدى اليهود استعداد تام فى نفوسهم وتهيؤ كامل فى قلوبهم لتقبل الأفكار الوثنية من الشعوب التى خالطتهم فكانت هذه التصورات التى فى كتبهم، والتى تشهد بأنهم لم يرتفعوا إلى التنزيه الذى جاء به الوحي للذات الإلهية، ولم يقدروا على السمو بالخالق وتنزيهه عن الصفات البشرية.

فكانوا أشد الناس إلحافاً على أنبيائهم فى طلب الإله المجسم ومشاهدته ذاتاً مجسدة فى وضوح النهار^(١).

(١) راجع بيان ذلك بالتفصيل: د/ نبيلة إبراهيم: مقدمة الفولكلور فى العهد القديم - ص ١٤ - ١٨، عبد الكريم الخطيب: الله ذاتاً وموضوعاً ص ٣٠٣ - ٣١٠.

ومن الجدير بالذكر أن اليهود اشتبهوا بالتشبيه والتجسيم فى المجتمع الإسلامى وقد تأثر بهم فى ذلك غلاة الشيعة. راجع رسالة الماجستير التى قدمتها إلى كلية أصول الدين بطنطا بعنوان (غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام) ص ٢٥٧ - ٢٦٢، والتى نشرت فى كتاب يحمل نفس العنوان ١٩٨٨ م.

المبحث الثانى: اليهود بين التوحيد والتعدد

لاشك أن الديانة التى أتى بها سيدنا موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل كانت تركز على عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين مثلما كانت قائمة على تنزيه الله سبحانه عن كل ما لا يليق بذاته العلية.

ولاشك أيضًا أن التوراة التى بأيدي اليهود تشتمل على الدعوة إلى التوحيد وتوصية الإسرائيليين به وتحذره من الإشراف بالله واتخاذ آلهة أخرى من دونه.

ويحاول البعض الاستدلال بذلك على أن اليهود موحدون شأنهم فى ذلك شأن المسلمين وأن ديانتهم توحيدية شأنها كشأن الإسلام.

الواقع أن البرهنة على وجود الوحداية الحققة لدى اليهود لا تكون بالنظر إلى ما ورد عنها فى الأسفار الخمسة وذلك لسببين:

السبب الأول: أن الخمسة لم تدون وتجمع إلى فى القرنين السادس أو الخامس ق.م.

وهذا يعنى أنها لا تصح مرجعًا فى تصور حالة اليهود العقيدية من بعد سيدنا موسى حتى وقوع السبى البابلى (زمن كتابة وتدوين الأسفار الخمسة)، وذلك لمدة سبعة أو ثمانية قرون ما بين عصر سيدنا موسى عليه السلام وعصر كتابة هذه الأسفار.

السبب الثانى: إنه لا بد من البحث أولاً هل استجاب اليهود لهذه الدعوة إلى التوحيد؟ وهل اعتنقوا عقيدة التوحيد كما جاءهم بها سيدنا موسى عليه السلام والأنبياء من بعده؟

ولعل الجواب عن ذلك يتأتى في النظر إلى تاريخهم المسجل في أسفارهم المقدسة، ولقد عرضنا من قبل أطرافاً في هذا التاريخ وتبين لنا تماماً أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة التوحيد استجابة حقيقية وإنما أشركوا بالله واتخذوا من دونه آلهة أخرى غير آبهين بتحذيرات أنبيائهم ولا بتهديداتهم التي أعلنوها لهم.

وإذا ما حدث وعبدوا الإله الواحد - سبحانه - فإنهم كانوا يصبغونه بصبغة القومية ويصفون عليها طابع القبلي ويتخذونه في صورة الإله القومي أو الإله القبلي الخاص بهم دون غيرهم من الناس.

قومية الإله لدى اليهود:

يذكر الدكتور صبرى جرجس أن نصوص التوراة اليهودية قد صورت الإله على أنه خاص ببنى إسرائيل وحدهم، ويتعذر علينا أن نتعقب أن نحصى عدد المرات التي تحدثت فيها التوراة عن هذا التصور، ويتساءل: ما المعنى المستخلص مما ورد بالتوراة في صدد هذا المفهوم المحدد عن الله؟

ويجيب بأنه يتلخص في أن إله إسرائيل لم يكن "الله" كما تفهمه البشرية في "ديانات التوحيد اليوم"، ولكنه كان مجرد إله قبلي خاص ببنى إسرائيل على غرار الآلهة التي كانت للحضارات الأخرى المعاصرة.

ومن هنا كان من السهل أن ينتقل بنو إسرائيل من عبادة إلههم (يهوه)^(١) إلى عبادة غيره من الأرباب المتأخين والمعاصرين كما سيتبين ذلك بعد.

(١) يذكر حبيب سعيد أن العبرانيين عرفوا الإله الذى عبدوه باسم "يهوه" إلا أنه لا يمكن الفصل بقول جازم حاسم عن التاريخ الذى بدأت فيه عبادة الله بهذا الاسم (أديان العالم ص ١٧٦)، كذلك فإنه لا يعرف على التحقيق أصل هذه الكلمة فهناك من يرجعها إلى الديانة العربية القديمة وأن يهوه كان كبير الآلهة وأحد أفراد الثالث - المقدس (يهوه - بعل - عشتاروت) (راجع تفصيل ذلك وبيان العلاقة بين الديانة الإسرائيلية وبين الديانة العربية القديمة: ديتلف نيلسن وآخرين: التاريخ العربى القديم ص ٣٣٢ - ٤٤٢ ترجمة د/ فؤاد حسنين على ملتمز الطبع والنشر: النهضة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ، وقد أدى ازدياد تقديس اليهود لهذا الاسم إلى فقدان النطق القديم لكلمة "يهوه" واستعمال كلمة عبرانية تدل على "الرب" وهى "ادوناي" وقيل أن "يهوه" ليست كلمة ولا هى مسمى، وإنما هى قراءة للأحرف العبرية (يهوه) التى ذكرتها التوراة كرمز للإله وهنالك محاولات عديدة لتفسير هذه الرموز إلى كلمات ذات معنى (بريستيد: فجر الضمير ص ٣٧٦ د/ إسماعيل الفاروقى: أصول الصهيونية ص ٦).

ويقول الدكتور صبرى جرجس "لسنا نحن الذين نقول بهذا الرأى وحدنا بل يتفق معنا الكثيرون من علماء الدين المقارن، فقد ذكر كل من فلويد وروس فى كتابهما "الأديان الكبرى التى يؤمن بها البشر" أن كثيراً من علماء اليهود أوضحوا أن قصص سفرى التكوين والخروج تدل على أنه كان لدى العبرانيين إله قبلى، ثم اعتقد اليهود عن طريق أنبيائهم وملوكهم مثل داود وأشعيا أنه هو الإله الواحد لكل الخليقة^(١).

وذكر كيلبيت فى كتابه "موجز فى تاريخ الأديان" أن إله اليهود كان إلهًا قبلًا لا يختلف كثيراً عن آلهة موآب وعمون".

وقرر موسكاتى فى كتابه "وجه الشرق القديم" أن إسرائيل كانت متأثرة بمعتقد الأقوام المحيطة بها وذكر أن عقيدة التوحيد لديهم بعد سيدنا موسى وقبل عصر الأنبياء كانت تعنى عبادة إله قومى لا يستبعد وجود آلهة غيره للشعوب الأخرى^(٢).

وينقل الدكتور محمد بحر عبد المجيد عن أولبرايت أن اليهود قد اعتقدوا فى مرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية - كالأمم التى عاشوا بينها - أن انتفاء الإله انتفاء قبلى فنظروا إليه كأفراد من أفراد القبيلة ينتمون إليه بصلة الدم فهو لهم بمثابة الأب^(٣).

ويذكر غوستاف لوبون أن بنى إسرائيل قد نظروا إلى الإله كإله خاص بهم واعتبروه ملكًا قومياً لهم - سبحانه وتعالى عما يافكون - وكان من العادات العامة بآسية حتى فى مصر حتى لدى جميع الأمم القديمة أن كان لكل مدينة ولكل قبيلة إلهها الخاص مع اعترافها بطائفة من الآلهة، فكان لموآب الإله (كموش) ولصور

(١) التراث اليهودى الصهيونى ص ٥٢-٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٣.

(٣) اليهودية ص ٦-٧.

(فينيقية) الإله (ملقارت) وللفلسطينيين الإله (داجون) ولبنى إسرائيل الإله (يهوه)^(١).

فلم يكن (يهوه) إذن سوى إله آخر من الآلهة القبلية السامية ولا يختلف عنها بشئ في نظر اليهود فجعلوه كمرдох لدى البابليين وآشور لدى الآشوريين^(٢).

ومن يتتبع نعوت الإله "يهوه" من أوائل أيام العبريين في أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم إلى أواخرها قبل عصر الميلاد المسيحي لم يتبين من تلك النعوت أنهم وسعوا أفق العبادة لهذا الإله ولا أنهم وسعوا مجال الخطوة عندهم، بل إنه ليتبين من نعوته السابقة واللاحقة أنهم كانوا يضيقون أفق عبادته ويحصرون مجال الخطوة عندهم جيلاً بعد جيل، فكان شعبه المختار في مبدأ الأمر عامّاً شاملاً لقوم إبراهيم ثم أصبح بعد بضعة قرون محصوراً مقصوراً على قوم يعقوب، ثم أصبح بعد ذلك محصوراً على قوم موسى ثم على أبناء داود (عليهما السلام) وعلى من يدينوا لعرشه بالولاء^(٣).

والقرآن الكريم يبين لنا أن سيدنا موسى قد جاء إلى بنى إسرائيل وأرسل إلى فرعون بالدعوة إلى إله العالمين رب الخلائق أجمعين، وعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه لسيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

..... وبعد ذلك يقول الله سبحانه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٦﴾ قَالَ

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦٩.

(٢) التوراة تاريخها وغايتها، ترجمة سهيل ديب ص ٢٧، والكتاب من تأليف كاتب لاهوتى أمريكى الجنسية لم يذكر المترجم اسمه.

(٣) عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٤٤، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة بدون تاريخ.

(٤) سورة الشعراء: ١٦.

لَمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٦٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾^(١).

لكن بنى إسرائيل - كما يقول الدكتور حسن ظاظا - قد حولوه مع الزمن إلى إله
وطني وحدهم وجعلوا أنفسهم بناء على هذا شعب الله المختار^(٢).

ويذكر الدكتور بركات دويدار أن اعتقاد اليهود بأن الإله خاص بهم وأنهم
شعبه المختار لا يمكن أن يتفق والدين السماوي حيث أضافوا - بزعمهم -
صفات للإله لا تليق بذاته مثل رجوعه في حكمه وندمه على فعله من أجل شعبه
المختار^(٣).

فهم في هذا متأثرون بالعقائد الوثنية التي كانت من حولهم.

ويذكر الدكتور أحمد سوسة أن اليهود بعد أن انحرفوا عن ديانة موسى عليه
السلام عبدوا الأوثان ثم ابتدعوا صورة الإله "يهوه" إلهًا خاصًا بهم، إله لا يهيمه من
العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار) على غرار مبدأ "التفريد" الذي اعتنقه
الأقوام القديمة حين كانت القبيلة أو المدينة تعبد إلهًا واحدًا من بين مجموعة الآلهة
من غير تنبذ عبادة الآلهة الأخرى^(٤).

ويذكر جرهارد فوس أن التخصصية القبلية كانت منتشرة بين شعوب الجنس
السامي وتعنى عبادة إله واحد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه القبيلة أو تلك، وهذا
لا يعنى عدم الإيمان بوجود آلهة أخرى سواء في القبائل الأخرى أو في نفس القبيلة
والتعبد لهذه الآلهة.

(١) سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٨.

(٢) الساميون ولغتهم ص ٧٦.

(٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام / الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.

(٤) مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٩٣ راجع فصل الأديان الوثنية من الباب الأول.

ويرى أن هذا لم يكن توحيداً بالمرة ولكنه كان صورة واضحة للتعبد لإله واحد مع الإيمان بوجود آلهة غيره^(١).

ومن المرجح أن اليهود قد أخذوا بمبدأ التفريد وقومية الإله من الكنعانيين وغيرهم من شعوب فلسطين ثم أثبتوه إبان تدوينها أثناء السبي البابلي وبعده أن كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص بإله واحد من بين مجموعة الآلهة^(٢).

وخلاصة الأمر: أن العقيدة الإلهية كما دان بها اليهود وجمدوا عليها إلى عصر الميلاد إنما هى عقيدة شعب مختار بين الشعوب فى إله مختار بين الآلهة وليس فى هذه العقيدة إيمان بالتوحيد ولا هى مما يتسع لديانة إنسانية أو مما يصح أن يحسبه الباحث المنصف مقدمة للإيمان بالله الذى يدعو إليه^(٣).

وكان معنى الكفر فى الديانة الإسرائيلية - فيما يقول العقاد - كمعنى الخيانة الوطنية فى هذه الأيام فكانت للشعوب آلهة يؤمن الإسرائيليون بوجودها ولكنهم يجرمون عبادتها كتحریم الانتماء إلى دولة أجنبية قرب الشعب أحق بولائه وعبادته من الأرباب الغرباء^(٤).

فالتوحيد بهذه الصورة التى لمسناها فى عبادة اليهود لإلههم (يهوه) كإله قبل وقومى خاص دون غيرهم لا يعد توحيداً، وإنما هو نوع من الشرك فى الألوهية وإن كانوا يختصون إلههم وحده بالعبادة^(٥).

ولعل اليهود تأثروا فى هذه النظرة بما كان عند البابليين والآشوريين حيث كان لدى كل من بابل وآشور بجانب الآلهة المتعددة إله قومى الطابع تتوقف أهميته

(١) علم اللاهوت الكتابى ص ١٠٥.

(٢) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٩٣.

(٣) عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٤٦.

(٤) الله: ص ١١٠ - ٢٢٥.

(٥) راجع حول ذلك د/ أحمد أبو زيد: تايلور ص ١٦٣ - ١٦٨.

عباس محمود العقاد: الله ص ٢٨ - ٢٩.

طبعًا على الموقف السياسى فكان فى آشور الإله آشور وكان فى بابل الإله مردوك^(١).

ويرى الدكتور محمد حسن هوارى أنه من المؤكد أننا نخطئ إذا ما أطلقنا على الديانة الإسرائيلية التى اتبعها الشعب اسم "ديانة توحيدية" حيث إن بنى إسرائيل لم ينكروا وجود الأرباب الأخرى^(٢).

ولذلك فقد كان من السهل على اليهود أن يشركوا مع هذا الإله القبلى أو القومى آلهة أخرى، فسجل تاريخهم التوراتى حافل بتعدد الآلهة التى اتخذوها من دون الله سبحانه.

تعدد الآلهة عند اليهود:

يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن الإسرائيليين الأولين كانوا قرييين جدًا فى تصورهم للخالق من القائلين بتعدد الآلهة من الشعوب الوثنية القديمة، ولذلك كان من السهل جدًا على الإسرائيليين الانحراف إلى الإيثار بتعدد الآلهة واتخاذ معبودات أجنبية.

ويرى فى إطار ذلك أن لفظى (يهوه) و (ألوهيم) يختلفان فيما بينهما لغويًا دلالة وعقيدة: فلفظ (يهوه) اسم علم كغيره من أسماء الأعلام التى تستخدمها اللغة حينما تريد أن تميز فردًا بعينه على سائر بنى جنسه.

لفظ (يهوه) يفيد كونه معبودًا متميزًا إلى جانب معبودات أخرى عرفها الإسرائيليون قديمًا وقدسوها، وأما لفظ (ألوهيم) فيعبر عن النوع لذلك جاءنا فى صورة الجمع للتعبير عن كثرة الآلهة وتعددتها^(٣).

(١) راجع موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ٧٥ - ٧٦، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتى ص ٢٦٠ - ٢٦٦، راجع أيضًا فصل الأديان الوثنية.

(٢) راجع: ألوهية عند بنى إسرائيل ص ٥٠٨.

(٣) اليهودية واليهودية المسيحية ص ١١.

فلم يكن (يهوه) الإله الوحيد الذى يعترف اليهود بوجوده أو يعترف هو نفسه - حسب زعمهم - بوجوده وحده.

وشاهد ذلك - كما يقال ول ديورانت - أن كل ما يطلبه فى الوصية الأولى من الوصايا العشر هو أن يكون مقامه فوق سائر الأرباب^(١).

وانشرت إلى جانب عبادته عبادة آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى أحاطت باليهود فى تاريخهم القديم.

وقد قام اليهود بعبادة هذه الآلهة الوثنية رغم التحذيرات الشديدة من فعل ذلك والتى تحتوى عليها الأسفار الخمسة ومنها على سبيل المثال ما ورد فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج "أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأننى أنا الرب إلهك إله غيور"^(٢).

"لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب"^(٣).

وحذر السفر من آلهة الشعوب التى سيختلط بها اليهود بقول:

"فإن ملاكى يسير أمامك ويحىء بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدوها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أصنامهم، وتعبدون الرب إلهكم"^(٤).

وكذلك الأمر فى سفر التثنية فبعد أن تحدث عن شعوب كنعان يقول:

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ٢٤٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ ص ٢١٧-٢١٩.

(٢) خروج ٢٠: ١-٥.

(٣) خروج ٢٣: ٢٠.

(٤) خروج ٢٣: ٢٤-٢٥.

" لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، ببتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى فيحمر غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً^(١) .

وبلغ التحذير من التعدد ما ورد في نفس السفر:

" وإذا أغواك سرًا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت، ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذى حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها، فلا ترض منه ولا تسمح له..... بل قتلاً تقتله..... ترجمه بالحجارة حتى يموت..^(٢) .

ولكن اليهود - على الرغم من هذه التحذيرات التى وجهها الرب إليهم لكى يمتنعوا عن عبادة غيره من أصنام الأمم الأخرى - ظلوا - كما يقول زكى شنودة - طوال عهودهم أو أغلبهم يتمردون على عبادة الله ويعبدون آلهة الشعوب الوثنية المخالطة أو المحيطة بهم أو المتعاملة معهم أو المسيطرة عليهم فعبدوا آلهة المصريين والكنعانيين والآشوريين والبالين والحيثيين والأموريين والآراميين والفلسطينيين والأدوميين والموابيين والعمونيين والفرزيين والحويين واليوسيين والصيدونيين والعقرونيين كما عبدوا آلهة كوثر وعوا وحماة وسفراويم وبنى سكير وغيرهم من الأمم والشعوب الكبير والصغيرة، ثم حين خضعوا أخيراً لليونان والرومان عبدوا أيضاً آلهتهم^(٣) .

من آلهة المصريين:

ففيما يتعلق بآلهة المصريين فإننا لا ندرى إلى أى زمن أو إلى أى حد احتفظ الإسرائيليون بإيمان أبيهم يعقوب عليه السلام وبالدين الذى أتى به يوسف عليه

(١) تثنية ٧: ٢-٤ .

(٢) تثنية ١٣: ٦-١٠ .

(٣) راجع: اليهود أو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط ص ٤٨٣ .

السلام وحافظوا على عبادتهم لله الواحد خلال المدة التي قضوها في مصر بعد أن تكاثروا وتضاعفوا على مر السنين.

ولاشك أنهم - فيما يقول زكى شنودة - على مقتضى ما يتضح في كل أسفار التوراة، من سرعة تحولهم عن عبادة الله في كل عصور تاريخهم، سرعان ما نسوا إله آبائهم وعبدوا المعبودات التي كان المصريون سادتهم يعبدونها^(١).

وتقدم لنا التوراة الحالية الكثير من الأدلة على أن الإسرائيليين كانوا يعبدون آلهة البلاد التي كانت تستضيفهم ومنها مصر^(٢).

وقد ذكر ذلك صراحة سفر يشوع، إذ ورد فيه أن يشوع قال للإسرائيليين... فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدتهم آبائكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الرب"^(٣).

وورد أيضًا في سفر حزقيال على لسان الرب:

" ورفعت يدي لنسل بيت يعقوب وعرفتهم نفسى في أرض مصر ورفعت لهم قائلاً أنا الرب إلهكم، في ذلك اليوم رفعت لهم يدي لأخرجكم من أرض مصر..

وقلت لهم اطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولا تتنجسوا بأصنام مصر أنا الرب إلهكم، فتمردوا على ولم يريدوا أن يسمعوا إلى ولم يطرح الإنسان منهم أرجاس عينيه ولم يتركوا أصنام مصر فقلت إنى أسكب خزيي عليهم لأتم عليهم سخطى في وسط أرض مصر"^(٤).

ويذكر علماء التاريخ أن الإسرائيليين قد تأثروا كثيرًا بسادتهم الهكسوس الذين حولوا بدورهم أن يكسبوا المصريين ويتكيفوا بالحضارة المصرية فتبينوا ثقافة البلاد

(١) اليهود ص ٢٢٦.

(٢) راجع د/ محمد مهران جـ ٧ ص ٢٦٥ من كتابه دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

(٣) يشوع ٢٤: ١٤.

(٤) حزقيال: ٢٠: ٥ - ٨.

وعبدوا آلهتها، وأكبر الظن أن الإسرائيليين عبدوا مع الهكسوس المعبود المصرى المعروف (ست) إذ قدسه الهكسوس فى صورة آسيوية وسموه "بعل"^(١).

ويذكر الدكتور الخشاب أن موسى عليه السلام كان يطلب الابتعاد بقومه والفرار بهم حتى ينأى بهم وبدينه الجديد عما يفعله المصريون وما يعتقدونه تخلصاً مما كان عليه قومه قبل رسالته من مشاركة المصريين عقائدهم وتقاليدهم^(٢).

وياستمر اليهود - حتى بعد خروجهم من مصر - فى التعلق بآلهة المصريين فقاموا بعبادة العجل الذهبى فى سيناء وأدخل يربعام (ملك إسرائيل) عبادة عجولين من الذهب فى مملكته، ولذلك فإن من أبرز آلهة المصريين التى تأثر بها اليهود هى المتمثلة فى العجول الذهبية.

عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى فى سيناء:

وردت قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى فى سيناء فى القرآن الكريم وأيضاً فى التوراة اليهودية.

ولعل من الأفضل أن نعرض لها كما صورتها تورااة اليهود ثم نتبع ذلك بما رواه القرآن الكريم كنوع من التعقيب القرآنى بما يشتمل عليه من نقد وتصحيح.

أورد سفر الخروج قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبى فى صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يراعون لأنبيائهم حرمة ولا يرجون لهم وقاراً ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم نقيصة، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ودفع قومهم إلى الشرك بالله فقد نسب هذا السفر لهارون نفسه عليه السلام أنه يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام

(١) راجع د/ أحمد محمد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ٧٦، د/ محمد بيومى مهران ج ٧ ص ٢٦٤

(٢) تاريخ اليهود القديم فى مصر ص ٦-٧.

فصنع لهم بيده - وحاشا له أن يفعل - في سيناء عجلًا من ذهب ليعبدوه من دون الله^(١).

جاء في الإصحاح الحادى والثلاثين من هذا السفر:

" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذى أصددنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبناتكم وأتونى بما فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلًا مسبوغًا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصددتك من أرض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحًا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد الرب فكبروا فى الغد وأصددوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب^(٢).

ثم يذكر السفر أن الرب أمر موسى بأن ينزل لأن شعبه قد فسد وزاغ عن الطريق الذى وصاهم به ، فعاد إليهم سريعًا^(٣)، وحينما اقترب منهم سمع يشوع^(٤) صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى صوت قتال فى المحلة فقال ليس صوت صياح النصر ولا صوت صياح الكسرة بل صوت عناء أنا سامع وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى.. ثم أخذ العجل الذى صنعه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء^(٥).

(١) راجع د/ على عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة ص ٥٢.

(٢) خروج ٣١ : ١ - ٦.

(٣) راجع ٣١ : ٧ - ٦.

(٤) كان يشوع مرافقًا له حين ذهب إلى ربه كما يذكر السفر.

(٥) خروج ٣١ : ١٧ - ٢٠.

وقد عرض القرآن الكريم لبعض تفاصيل قصة اتخاذ بني إسرائيل العجل وعكوفهم على عبادته في سورتي الأعراف وطه، فذكر أنهم اتخذوا العجل أثناء غياب موسى عنهم وذهابه لملاقات ربه ليتلقى الألواح فقال سبحانه ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(١).

وبين سبحانه كذب ما نسبته كتبه سفر الخروج إلى سيدنا هارون عليه السلام وبرأ ساحته من هذا الاتهام الظالم وذلك الافتتاب الشنيع فقرّر القرآن الكريم أن الذي قام بصنع العجل وأغراههم بعبادته وفتنهم عن دينهم رجل يسمى السامري.

فذكر القرآن الكريم أن الله قال لموسى ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾^(٢) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى^(٣) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ^(٤) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي^(٥) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ^(٦) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ^(٧).

فالسامري هو الذي أخذ منهم ما حملوه من أوزار زينة قوم فرعون - وهي الحلى التى أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم ثم اختلسوها - وصهرها وصاغ منها عجلًا له صورة العجل وبدنه وصوته إذ جعل بداخل فمه تجايف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتًا كصوت الخوار^(٨).

(١) الأعراف: ١٤٨.

(٢) طه: ٨٣ - ٨٨.

(٣) راجع اختلافات المفسرين في ذلك العجل هل صار لحمًا ودما له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقرة، على قولين (راجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٤٧، تفسير المنار جـ ٩ ص ١٧٤).

ثم بين القرآن الكريم أن هارون لم يأل جهداً في نهيمهم عن ضلالهم والعمل على رجوعهم إلى دينهم الحق ولكنهم لم يستمعوا إليه وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليلغيه ما انتهوا إليه أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشى إذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض دون أن يرقب قول موسى ويتنظر مشورته فقال سبحانه في سورة طه:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٧﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٨﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ أَفْعَصَتْ أَمْرِيَ ﴿٩٩﴾﴾^(١).

وقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسْفَا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾^(٢).

وقال في سورة طه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٢٠١﴾﴾^(٣).

ثم ذكر القرآن الكريم أن موسى توجه إلى السامري: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِي ﴿٢٠٢﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا

(١) سورة طه: ٩٠-٩٣، تعتبر تبرئة القرآن المجيد هارون عليه السلام من جريمة اتخاذ العجل ومن التقصير في الإنكار على متخذه وعابديه من قومه من أهم المواضع التي هيمن بها على الكتب التي في أيدي أهل الكتاب فصيح أغلاط محرفيها وهو يحث التراب في أفواه الطاعنين فيه وفيمن جاء به (برأهما الله تعالى) بزعمهم أنه أخذ عن التوراة فيه أن أخبار موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل.. راجع تفاصيل ذلك: تفسير المنار ج٩ ص ١٨١، د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٧٦-٧٧.

(٢) الأعراف: ١٥٠.

(٣) طه: ٩٤.

وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾.

وبين سيدنا موسى لقومه أن الله وحده أحق بعبادته: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٦).

هذا، وقد بين القرآن الكريم أن بنى إسرائيل عكفوا على عبادة العجل - مثلما ذكر سفر الخروج أنهم كانوا يرقصون حوله - ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (١٧).

وبين أيضًا أن عبادة العجل قد تمكنت من نفوسهم وأشربت في قلوبهم وأنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل من بعد ما جاءتهم البينات:

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

ولذلك توعدهم الله سبحانه على هذا الكفر بالغضب عليهم وإلحاق الذلة بهم في الحياة الدنيا:

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (٢٠).

(١) طه: ٩٥-٩٧.

(٢) طه: ٩٨.

(٣) طه: ٩١.

(٤) البقرة: ٩٢-٩٣.

(٥) الأعراف: ١٥٢.

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلهًا يحسونه، والتي ذكرها سفر الخروج في حادث العجل زاعمًا أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآثمة فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح فقرر أن الطلب كان موجهاً إلى موسى نفسه لا إلى هارون، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الإله^(١).

وهكذا تبين لنا - كما ورد في القرآن الكريم، وكما جاء في سفر الخروج - أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ما إن غاب عنهم موسى حتى سارعوا إلى اتخاذ العجل وقال بعضهم لبعض هذا إلهكم وإله موسى، ولعلمهم انتهزوا فرصة غياب موسى فحققوا ما كانوا قد أرادوه منه وطلبوه حينها وجدوا قومًا يعكفون على أصنام لهم ﴿أَجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.

يقول العقاد: "ولا يفهم من حادث من حوادث رحلة خروج بنى إسرائيل من مصر أنهم كانوا يؤثرون الفرار حرصًا على عقيدتهم (الساوية) فإنهم أسفوا على ما تعودوه من المراسم الدينية في مصر وودوا لو أنهم يعودون إليها أو يعبدونها منسوخة ممسوخة في الصحراء"^(٢).

ولذلك فإن من المحقق لدى جمهور العلماء والباحثين أن بنى إسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى إنما كانوا لما اعتادوا في مصر من الآلهة مرتدين وأنهم فعلوا ذلك بتأثير الديانة المصرية القديمة^(٣).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن وقفة موسى ضد العجل الذي اتخذها بنو إسرائيل في البرية كانت بمثابة محاولة لتخليصهم من ديانة مصر الوثنية^(٤).

(١) وهو ما ورد في الآيات (١٣٨ - ١٤٠) من سورة الأعراف التي أشرت إليها في بداية هذا الفصل. راجع أيضًا د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) مطلع النور ص ١٠٤ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٨٠.

(٣) د/ أحمد محمد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ١٢٦، د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى ج ٧ ص ٤٤٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٩.

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن اتخاذ بنى إسرائيل عجلاً مصوغاً من الذهب وعبادته من دون الله كان لما رسخ في قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية في مصر^(١).

وذهب الشيخ عبد الوهاب النجار إلى أن بنى إسرائيل لم تكن أنفس أكثرهم مرتاضة على الإيمان وأنهم كانوا ذوى جهالة ولم يستطيعوا صون عقائدهم من الزيغ فقد عاشوا في مصر وألفوا رؤية المصريين للعجل أبيس، وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل^(٢).

لكن العلماء قد اختلفوا فيما إذا كان هذا التأثير ارجعاً إلى عبادة البقرة حتحور أم إلى عجل أبيس لدى المصريين.

فمن الفريق الأول:

يذكر الدكتور أحمد يوسف أن بنى إسرائيل قد اتخذوا العجل من بعد موسى فتنة بالآلهة حتحور الذهبية وما كان لها من منزلة في النفوس إذ عبدها المصريون في صورة البقرة وكانت في عقيدتهم مرضعة ربهم ثم ربة الحب والحنان والموسيقى كما كانت لها تماثيل موهبة بالذهب حفظت بمتحف القاهرة^(٣).

ويذهب السير ليونارد ولى إلى أن الإسرائيليين عندما دخلوا منطقة جنوب سيناء ارتدءوا عن الوحداية إلى العقائد التي اكتسبوها في مصر فصاغوا العجل الذهبى تمجيداً للآلهة البقرة "حتحور"^(٤).

ويعارض الفريق الآخر هذا الاتجاه، ويذهب إلى أن اتخاذ بنى إسرائيل للعجل إنما كان بتأثير عبادة المصريين للعجل الذهبى.

(١) تفسير المنار جـ ٩ مجلد ٥ ص ١٧٣.

(٢) قصص الأنبياء ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) راجع التفاصيل في كتابه: مصر في القرآن والسنة ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٤) نقلاً عن د/ مهراڤ جـ ٧ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ راجع أيضاً التفاصيل عن عبادة حتحور جـ ٧ ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

يذكر الدكتور مهران أن الأستاذ دياكونوف يرى ذلك لأن العجل الذهبي إنما كان في صورة حيوان ذكر وليس أنثى^(١).

ويذكر ول ديورانت أن اليهود لم يتخلوا عن عبادة العجل إذ لم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ذلك لأن عبادة العجل كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمنًا طويلًا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزًا لإلههم ويتبين ذلك حينما نجدهم أخذوا يرقصون وهم عراة أمام العجل^(٢).

وجاء في القاموس أن عجل أبيس كان من آلهة مصر المقدسة وكان يتخذ صورة ثور صغير وتنحت تماثيله من ذهب، ولذلك كان بنو إسرائيل متأثرين بعبادته إذا صنعوا عجلاً من ذهب وعبدوه بعد خروجهم من مصر^(٣).

ويذكر الدكتور الخشاب أن ما فعله السامري من صنع عجل لبنى إسرائيل يعبدونه في غيبة موسى يرجع لميلهم لعبادة العجل التي ألفوها في مصر^(٤).

ويؤيد ذلك أن عبادة العجل في مصر إنما هي جد عميقة الجذور إذ أنها ترجع إلى ما قبل عصر موسى بكثير - إلى أيام الأسرة الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغلبتها عليها.

ويذهب والتر. ب امرى (١٩٠٣ - ١٩٧١ م) إلى أن العجل إنما كان في نظر القوم رمزًا للقوة في الحروب والإخصاب سواء بسواء وأن عبادته كانت على أيام الأسرة الأولى اعتمادًا على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران^(٥).

وكان عجل أبيس يعد من أشهر العجول المقدسة لدى المصريين القدماء ومن

(١) نقلاً عن المصدر السابق ج٧ ص ٤٧٤.

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص ٣٣٨.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٧.

(٤) تاريخ اليهود القديم في مصر ص ٦٥.

(٥) د/ أحمد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ١٢٧، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج٧ ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

أشهر معبوداتهم، إذ كانت له مواصفات خاصة فكان يشترط فيه أن يكون أسود الجلد فيه نقط بيضاء، وفي جبهته شامة بيضاء مثلثة، ويوم أن يعثروا عليه يعتبرون عيداً، كما أن موته يشكل حزنً عاماً ويستمر مهماً طال الزمن إلى أن يجدوا غيره^(١).

ونحن نرى الآن الرأى الصحيح الذى يتوافق مع ما ورد فى القرآن الكريم وما ذكر فى سفر الخلود أن بنى إسرائيل اتخذوا العجل الذهبى بتأثيره عبادة العجل المقدس فى مصر وليس بتأثيره عبادة البقرة^(٢).

عبادة عجلين من الذهب فى مملكة إسرائيل:

يذكر سفر الملوك الأول أن يربعام أول ملوك إسرائيل أقام عجلين من الذهب فى بيتى إيل ودان فى المملكة الشمالية.

وكان يهدف من ذلك إلى إيجاد نوع من التوازن الدينى بين مقدسات المملكة الشمالية وبين هيكل سليمان فى المملكة الجنوبية.

بالإضافة إلى أنه وجد فى ذلك وسيلة يحتفظ بها بولاء أفراد شعبه حيث كان يخشى أن يجذبهم هيكل أورشليم فيحجون إليه ويميلون إلى عدوه رجعام ملك يهوذا.

يقول السفر " وقال يربعام فى قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود، إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم رجعام ملك يهوذا ويقتلونى فاستشار الملك وعمل عجل ذهب وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هوذا آهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحداً فى بيت إيل وجعل الآخر فى بيت دان، وكان هذا الأمر خطية وكان الشعب يذهب إلى أمام أحدهما حتى إلى دان"^(٣).

(١) راجع د/ رءوف شلبى: آلهة فى الأسواق ص ٢٧٤ - ٢٧٥، المبحث الخاص بديانة مصر القديمة الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) راجع تفاصيل ذلك د/ محمد بيومى مهران ج-٧ ص ٤٧٥ - ٤٧٧.

(٣) ملوك أول ١٢: ٢٦ - ٣٠.

واستمر يربعام في إجراءات الانفصال عن يهوذا فاختر كهنته لهذين العجلين من غير اللاويين، كما امتدت عنايته بالأماكن المقدسة المقامة على المرتفعات مما دفع الكثير من اللاويين وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا، هذا فضلاً عن التغيير الذى أحدثه في "عيد المظال"، واحتفالات الحصاد الدينية من الشهر السابع إلى الشهر الثامن.

يقول السفر "وبنى بيت المرتفعات وصير كهنة من أطراف الشعب لم يكونوا من بنى لاوى، وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر كالعيد الذى في يهوذا وأصعد على المذبح، هكذا فعل في بيت إيل بذبحه للعجلين اللذين عملهما وأوقف في بيت إيل كهنة المرتفعات التى عملها، وأصعد على المذبح الذى عمل به في بيت إيل في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن في الشهر الذى ابتدعه من قلبه فعمل عيداً لبنى إسرائيل وصعد على المذبح ليوقد"^(١).

وهكذا أراد يربعام أن يكون هناك انفصال ديني بعد أن وقع الانقسام السياسى وبذلك يضمن استقرار الأوضاع في مملكته فما كان منه إلا أن صنع هذين العجلين وجعلها آلهة لشعب مملكة إسرائيل.

فكان ملوك إسرائيل إلى هذا الحد من الجرأة في اختراع الآلهة وتعيين كهنتها وإحياء معابدها القديمة.

يقول موسكاتى "وقد صحب انقسام المملكة اضمحلال دينى إذ أعاد يربعام في الشمال الهيكلين القديمين في مدينتى بيت إيل ودان ليجابه نفوذ أورشليم"^(٢).

وقد اعتبر عبادة عجلى الذهب في مملكة إسرائيل خطبة يربعام حيث إنه ارتكب

(١) ملوك أول ١٢: ٣١-٣٣، وورد في سفر أخبار الأيام الثانى قول رحبعام لشعب إسرائيل "وأنت جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة، أما طردتم كهنة الرب بنى هارون واللاويين وعلمتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضى كل من أتى ليملاً يده بثور ابن بقر وسبعة كباش صار كاهناً للذين ليسوا آلهة" أخبار ثان ١٣: ٨-٩، راجع أيضاً أخبار ثان ١١: ١٤-١٦.

(٢) الحضارات السامية القديمة ص ١٤٤-٢٨٠.

خطيئة في حق "يهوه" وظلت الأسفار التي تحكى تاريخ المملكة تنطق بعبارات التنديد والشجب التي تدين يربعام على هذه الخطية بل إن هذه الأسفار لتذكر أن هذه الخطية توارثها ملوك إسرائيل حتى سقوط السامرة ووقوع السبي الآشورى وأن خطاياهم كانت تنحصر في الغالب في أنهم ساروا وراء خطية يربعام حيث أبقوا على العجول الذهبية ولم ينزعوها^(١).

يذكر سفر الملوك الأول أن أخيا النبي قال لامرأة يربعام " اذهبي قولى ليربعام هكذا قال الرب إله إسرائيل من أجلى أنى قد رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيساً على شعبى إسرائيل وشققت المملكة من بيت داود وأعطيتك إياها.. وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظنى وقد طرحتنى وراء ظهرك لهذا أنا جالب شرّاً على بيت يربعام وأقطع ليربعام كل بائل بحائط محجوزاً ومطلقاً في إسرائيل وأنزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر حتى يفنى، من مات ليربعام تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء^(٢).

ومن المعروف أن يربعام كان قد هرب إلى مصر - حسب ما ورد بالأسفار - وقام بالثورة على رحبعام بتشجيع من مصر بل إنه حاول أن يضعف من نفوذه فشجع فرعون مصر على غزو مملكة يهوذا ومحاربة رحبعام^(٣).

وبناء على ذلك فقد ذهب العلماء إلى أن صنع يربعام لعجلى الذهب كان بتأثير من مصر والديانة المصرية القديمة.

يذكر محمد حسن هوارى أن عجل أبيس الذى قدسه المصريون يعد ضمن مجموعة مؤثرات دفعت يربعام إلى تمثل الإله في صورة "ثور"^(٤).

(١) راجع الفصل الخاص بالاتجاه الوثنى لدى بنى إسرائيل من الباب الثانى.

(٢) ملوك أول ١٤ : ٧ - ١١.

(٣) راجع اتصال اليهود بمصر في فصل قنوات الاتصال التاريخية.

(٤) الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٣٢.

وهناك من يرى أن عبادة الإسرائيليين (يهو) في أقداس "بيت إيل" "وان" في صورة "ثور" منذ أن صنع يربعام في هذين الموضعين عجوله الذهبية تعد صورة واضحة من صور العبادة الكنعانية حيث إنه في رأس شمرا كان الإله "إيل" يسمى "الثور إيل" كما كان للبعل الكنعاني علاقات مع بقرة صغيرة^(١).

ويذهب بعض العلماء إلى أن الثور كان رمز القوة والإخصاب في جميع أنحاء الشرق الأدنى وكانت العقائد الدينية في مصر وبابل شأنها في ذلك شأن الديانات القديمة عقائد تمس خصوبة الأرض عندهم مؤنثة والشمس مذكرة وكان العجل عادة يتخذ رمزاً لخصوبة الذكر حتى شاعت بين القوم الآلهة العجول^(٢).

ومن ثم يذهب غوستاف لوبون إلى أن ذلك العجل الذهبى الذى عبده اليهود والذى هو رمز الرجولة كان منتشرأ في جميع أنحاء آسيا وكان ذلك العجل من أصل كلدانى وكان بنو إسرائيل يعبدون العجول المعدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الدينية، وكان هذا هو الوجه المفضل الذى يرمون به إلى "يهوه"^(٣).

وعلى أى حال فإذا كانت عبادة الثور أو العجل منتشرة في الشرق الأدنى القديم وأدى ذلك إلى تبادل واتفاق بين شعوب الأديان القديمة فإنه لا بد م ترجيح الأثر المصرى على عبادة الإسرائيليين للعجل الذهبى في سيناء ولعجلى الذهب في مملكة إسرائيل واعتباره هو الأثر المباشر نظراً للظروف التاريخية التى سبق الحديث.

من آلهة الكنعانيين:

وفىما يتعلق بآلهة الكنعانيين فإنه كما سبق أن أشرت إلى الديانة الكنعانية كانت

(١) المصدر السابق ص ٣٣١ نقلاً عن مصادر أجنبية (أولبرايت ورينجرين).

(٢) برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الأول: الفلسفة القديمة ص ٢٥، ترجمة/ زكى نجيب

محمود - لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م.

(٣) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦١.

تعد - فيما يذكر إسرائيل ولفنسون - أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية ومن أجل ذلك تأثرت بها ديانات بابل، وورث الآراميون، والإسرائيليون هذا التأثير^(١).

وأشار الأب ديلي إلى شدة خطر الاتصال بين الإسرائيليين والكنعانيين على ديانة التوحيد ولا سيما أن الإسرائيليين كانوا حديثي عهد بالتوحيد ميالين إلى المادة، وكانت عبادة الأوثان الكنعانية مغرية فهي تتصف بالسهولة والدعارة وهي آلهة تمثلها أوثان وأنصاب تقع تحت الحواس فيرتكز عليها الفكر، وتقدم إليها القرابين وهي قريبة المقصد سهلة المنال، وهي فوق ذلك آلهة الحب والحياة والخصب وبلك تبعث الشهوات الحسية وتثير الأهواء البشرية^(٢).

عبادة اليهود للإله "بعل" الكنعاني :

وقد عبد اليهود آلهة الكنعانيين وقدموا لها القرابين، ومن أبرز هذه الآلهة الإله "بعل" الذي عبده اليهود واتخذوه من دون الله وأشركوا به في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى كانوا يرتدون تمامًا عن عبادة الرب ويعبدون بعل وحده فكانى حل محل "يهوه" رب إسرائيل.

ولكن قبل أن نبين متى وكيف عبد الإسرائيليون الإله "بعل" لابد أولاً من التعرف على هذا الإله والإشارة إليه سريعاً.

ورد في القاموس أن بعل: اسم سامى معناه "رب أو سيد أو زوج" وأنه إله كنعانى وكان ابن الإله إيل وزوج الإلهة بعلة أو عشيرة أو عنات أو عشتاروت^(٣).

ويعتبر من أبرز الآلهة الكنعانية، ولما كانت كلمة "بعل" اسماً عاماً في الأصل

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٥٣.

(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٨٧.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١٨١.

معناه "سيد" لهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصفة والبرق والمطر والأعصار كالإله هدد لدى البابليين والآراميين^(١).

يقول كوننتو " جرى بعض العلماء على اعتبار "بعل" إلهًا معيّنًا وهذا خلط يحسن أن يزول فإن اللفظ يطلق على الآلهة بوجه عام فيما عدا إطلاقه في نصوص رأس الشمر الكنعانية على الإله الأكبر بعل فيقال فيما عدا هذا الاستثناء بعل هذا الإقليم أو ذاك مثل بعل صور أو بعل لبنان بمعنى سيد صور وسيد لبنان والمهم أن هذا الاصطلاح كان يومئذ اسم جنس محتاجًا إلى وصف يحدد مدلوله^(٢).

فكانت عبادة البعل عمومية بين أهالي المشرق في الزمن القديم ولذلك ترى له أسماء عديدة، وما ذلك إلا لأن كل أمة كانت تسميه باسم يعرف به عند شعبها وكان الاسم يتبدى غالباً ببعل وينتهى باسم تلك البلاد أو المدينة الموجودة فيها نحو "بعل فغور" الذي كان يعبد المؤابيون، و "بعل بريث" الذي كان يعبد الكنعانيون، و "بعل زبوب" الذي كان يعبد الفلسطينيين، وقد عبد اليهود هذه البعول الثلاثة^(٣).

وتشير التوراة اليهودية إلى هذه الآلهة التي تنسب إلى بعل بصيغة الجمع في اللغة العبرانية وهي "البعليم" وقد يقصد بهذا اللفظ أحيانًا الآلهة الوثنية عمومًا^(٤).

وقد بدأ اليهود عبادة البعل في عصر موسى وفي عصر القضاة وازدهرت هذه العبادة في عصر الانقسام فأدخلت في المملكة الشمالية في عهد آخاب عن طريق زموحه إيزابيل الفينيقية ودخلت في المملكة الجنوبية عن طريق ابنتها "عثليا" التي تزوجت يهورام ملك يهوذا.

(١) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) الحضارة الفينيقية ص ١١٩-١٢٠.

(٣) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ج ٢ ص ٣١٥.

د/ إيفار ليسنر: الماصي الحى ص ١٠٧ ترجمة شاكور سعيد.

أنيس فريجة: ملاحم وأساطير منم أوغاريت ص ٤٧.

(٤) زكى شنودة: المصدر السابق.

وستعرض لذلك كله بالتفصيل.

عبادة بعل فغور فى عصر سيدنا موسى عليه السلام:

ورد فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد قوله "وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فغضب الرب على إسرائيل فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد غضب الرب عن إسرائيل فقال لموسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور"^(١).

وبعل فغور هو إله مؤابى وكان فى الأصل طبعاً إلهاً كنعانياً لأن المؤابيين عبدوا آلهة الكنعانيين وسمى بذلك لأنه كان يعبد فى جبل فاغور أو فغور"^(٢).

عبادة البعل فى عصر القضاة:

حينما دخل الإسرائيليون أرض كنعان واتصلوا بالكنعانيين عبدوا آلهتهم وكان الإله بعل من أبرز الآلهة الكنعانية التى عبدوها فى عصر القضاة إذا كانوا عاكفين على مذبحه يقدمون له القرابين ويدفعون عنه بكل الوسائل.

يذكر سفر القضاة أن الرب أمر قاضيههم جدعون أن يهدم مذبح البعل الذى لأبيه وأن يقطع السارية التى عنده وأن يبنى مذبحاً للرب إلهه بدلاً منه.

" فأخذ جدعون عشرة رجال من عبيده وعمل كما كلمه الرب وإذا كان يخاف من بيت أبيه وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهراً فعمله ليلاً".

فبكر أهل المدينة فى الغد وإذا بمذبح البعل قد هدم والسارية التى عنده قد قطعت فقالوا: الواحد لصاحبه من عمل هذا الأمر؟ فسألوا وبحثوا فقالوا إن جدعون ابن يواش قد فعل هذا الأمر، فقال أهل المدينة ليواش خرج لكى يموت لأنه هدم مذبح البعل وقطع السارية التى عنده".

(١) عدد ٢٥: ١-٥.

(٢) فاغور: جبل فى مؤاب يشرف على البرية (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٨٢).

ثم بعد ذلك رأوا "يدعوه حتى يقاتله بعل نفسه، لأنه هدم مذبحه، ومن ثم أطلقوا على جدعون يربعل قائلين ليقاتله البعل"^(١).

وإذا كان جدعون قد هدم مذبح البعل فإن الإسرائيليين بعد موته سرعان ما عادوا إلى عبادته ونسوا ربهم.

يقول السفر: "وكان بعد موت جدعون أن بنى إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث"^(٢) إلهًا ولم يذكر بنو إسرائيل الرب إلههم الذى أنقذهم من جميع أعدائهم"^(٣).

عبادة الإسرائيليين البعل فى عصر الانقسام:

أولاً - فى المملكة الشمالية:

١ - فى عهد آخاب:

دخلت عبادة البعل فى مملكة إسرائيل الشمالية عن طريق إيزابل الفينيقية التى تزوجها آخاب وكانت بنت اثبعل ملك الفينيقيين وتزوجها من أجل تدعيم الصلات والروابط بينه وبين الفينيقيين لكن كما يقول "كونتنتو" كان اثبعل شديد التحمس لدينه الوثنى، وكذلك ابنته إيزابيل فلما زوجها للملك آخاب اتجه نفوذها وهى ملكة جديدة إلى إحلال آلهة الفينيقيين شيئاً فشيئاً محل عبادة الله من مملكة إسرائيل"^(٤).

وتم هذا الزواج فى وسط بنى إسرائيل على نمط زواج الفينيقيين وعاداتهم مما يعد بداية لانتشار العادات والديانات الفينيقية فى البلاد"^(٥).

(١) راجع سفر القضاة ٦: ٢٥ - ٣٢.

(٢) جاء فى القاموس أن بعل بريث: معناه رب العهد وهو الاسم الذى كان يعبد به البعل فى شكيم فى زمن القضاة وكان له هيكل هناك وأحياناً كان يعرف باسم "إيل بريث" أى إله العهد (فارسي الكتاب المقدس ص ١٨٢).

(٣) سفر القضاة ٨: ٣٣ - ٣٥.

(٤) الحضارة الفينيقية ص ٧٤، راجع أيضاً: دكتور عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٢٧٣.

(٥) هوارى نقلاً عن مصدر عبرى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٤٠.

وتذكر كاترين هنرى أن خطورة هذا الزواج تمثلت فى أن فينيقية كانت دولة وثنية وقد انطبعت على حياة إسرائيل مؤثرات وثنية وتسربت إلى البلاد العادات والعبادات الوثنية بتأثير الملكة إيزابيل وتغلغلت فى إسرائيل عبادة الأوثان الكنعانية الفينيقية بدلاً من عبادة الإله الواحد^(١).

فقد كانت إيزابيل الوثنية ذات شخصية قوية وسيطرت على زوجها أخاب وكانت ضعيف الإرادة قليل العزيمة، ولأنها كانت تعبد الإله "بعل" (بعل صور - ملقارت) فقد حاولت فرض عبادته على مملكة إسرائيل ولعبت دوراً مهماً فى صبغ عابده بالصبغة الرسمية فى المملكة وأنساق وراءها أخاب فقد قام بنفسه تحت تأثيرها ببناء معبد ومذبح للبعل فى السامرة^(٢).

فشاع فى عصر أخاب وتفشى فى أيامه الانحلال الدينى والخلقى بشكل واضح بين الإسرائيليين فقد استغرقوا فى الملذات والملاهى بعد أن تركوا عبادة الرب تركاً تاماً واتخذوا البعل إلهاً واحداً للبلاد ولذلك امتاز عصره بظهور أنبياء مشهورين ونزاعهم معه^(٣).

(١) التاريخ فى الكتاب ص ٧٢ - ٧٣، راجع أيضاً صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) راجع تفاصيل ذلك: د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج١ ص ٢٠٩ - ٢١١ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠، د/ حسن أحمد محمود: العبرانيون ضمن حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٦٤، هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٣٩ - ٣٤١.

ويبدو أن عبادة البعل التى طغت على ديانة بنى إسرائيل فى عصر أخاب كانت تحمل جذور الوثنية الشعبية التى ضربت فى ديانة بنى إسرائيل ونبتت فى تاريخهم الدينى بعد دخولهم أرض كنعان، فقد استمد بنو غسرايل عبادة البعل من الثقافة الكنعانية أى أنها موروثة عن الكنعانيين الذين امتزجوا بهم عندما دخلوا البلاد ومن ثم فإن عقيدة "يهوه" تكنعت "قبل ظهور أخاب وإيزابيل وتحولت إلى عقيدة "توفيقية" بى "يهوه" و "بعل" ولكن هذه الحركة التوفيقية زادت مع ظهور إيزابيل التى حاولت إحلال عقيدة "بعل صور - ملقارت" محل عقيدة "يهوه" القديمة، ولا بد أن تكون محاولة إيزابيل قد وجدت أرضاً خصبة تتقبل أفكارها ومن المرجح أن الجو لم يكن قد خلا من نسمات عبادة البعل التى تسربت إلى أوساط شعبه فى أزمنة سابقة نتيجة الاحتكاك بالكنعانيين أهل البلاد الأصليين.

راجع روبنسون: تاريخ إسرائيل: نقلاً عن محمد على.

حسن هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٤١ - ٣٤٢، ٥١٣ - ٥١٤.

(٣) بطرس البستاني: دائرة المعارف مجلد ٣ ص ٤٨٢.

د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٤٥.

وإن كان هناك من يذهب إلى أن الشعب الإسرائيلي قد سبق في عصر أخاب وإيزابيل إلى عبادة توفيقية، أى إلى إشراك بعل مع يهوه وأن النبيين إيليا واليشع حاربوا هذا الإشراك^(١).

ولعل الأرجح أن الشعب قد استغرق تمامًا في عبادة البعل أول عصر أخاب حتى إذ ما أرسل الرب الأنبياء بدأوا يحاربون هذه العبادة وقف الإسرائيليون موقفًا وسطًا فقاموا بالتوفيق بين عبادتي يهوه وبعل.

وقد بلغ من تأثير عبادة البعل على الإسرائيليين وانتشارها بينهم أن بلغ عدد الذين كانوا يزعمون أنهم أنبياءه من اليهود في عهد أخاب أربعمئة وخمسين نبيًا غير أربعمئة آخرين كانوا منتشرين في السواري الوثنية التي أقامها اليهود وكان هؤلاء جميعًا يتمتعون برعاية الملكة إيزابيل ويأكلون على مائدتها^(٢).

وقد حدثت مواجهة بين مدعى النبوة وبين النبي إيليا وكانت نهاية الصراع بين النبي إيليا وبين عبادة البعل.

يذكر سفر الملوك الأول أن الرب أرسل إيليا إلى أخاب فلما رآه قال له أخاب أأنت هو مُكِّدِّر إسرائيل فقال إيليا لم أكْدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وسيرك وراء البعليم.

فالآن أرسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل الأربع مئة والخمسين وأنبياء السواري الأربع مئة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل^(٣).

ويذكر السفر أن جميع بنى إسرائيل وجميع مدعى النبوة أتوا إلى جبل الكرمل بعد أن أرسل إليهم أخاب.

(١) هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٤٢.

(٢) ملوك أول ١٨: ١٩، زكى شنودة اليهود ص ٤٨٦.

(٣) ملوك أول ١٨: ١-٢، ١٧-١٩.

وهنا تقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال " حتى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه، ولكن الشعب - كما يقول السفر - لم يحبه بكلمة^(١).

ثم بدأت المواجهة أو المباراة حينما طلب منهم إيليا إحضار ثورين وأن يقدموا ثورًا كمحرقة للبعل على أن يقدم هو ثورًا آخر للرب سبحانه ولينظر أيهما يرسل نارًا تلتهم المحرقة الرب أم البعل.

ففعل ذلك أنبياء البعل وأخذوا يدعون البعل ولكنه لم يستجب لهم لكن إيليا بمجرد أن دعا الرب سبحانه استجاب له ونزلت نار من السماء والتهمت المحرقة، فأعلن الشعب أن الرب هو الإله وبناء على أمر إيليا قاموا بقتل أنبياء البعل الكذابين!.

وحينما أخبر أخآب إيزابيل بما فعله إيليا توعدته وهددته بالقتل فهرب إلى الجنوب وطلب من الله - كما ورد في السفر - الموت لنفسه!!! ولكن الله أرسل له ملاكًا ليشجعه ثم بعثه ليصبح ياهو ملكًا على إسرائيل^(٢).

لكن انتصار إيليا على أنبياء البعل الكذبة لم يكن معناه القضاء على تلك العبادة تمامًا فربما يكون قد ألحق بها ضربة بالغة بوجه عام إلا أنها لم تكن مميتة فقد استمرت إيزابيل على قوتها حتى اضطرت إلى الهرب وهذا يعكس مدى استمرار نفوذها في المملكة.

ويذكر محمد حسن هوارى أن تجربة إيليا قد نجحت - بلا شك - ولكن بصورة مؤقتة في مقاومة البعولية، وأن عبادة البعل عادت بعها إلى الحياة من جديد^(٣).

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير - ولكن بحذر شديد - إلى أن إيليا هذا ربما يكون هو النبي إلياس عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، حيث إن

(١) ملوك أول ١٨: ٢٠-٢١.

(٢) راجع ملوك ١٨: ٢٢-٤٦، ملوك أول ١٩: ١-١٦ راجع أيضًا قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤

(٣) الألوهية عند بني إسرائيل ص ٣٤٧-٣٤٨.

قصة هذا النبي الكريم تشير إلى أنه نعى على قومه عبادة ودعوة البعل وتركهم ربهم أحسن الخالقين.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٨) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٩) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٠) فَكَذَّبُوهُ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَخِضِينَ (٢١) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٢٢) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٢٣) سَلَّمَ عَلَى إِيَّاسِينَ (٢٤) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٥) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٢٦).

٢ - فى عهد اخزيا بن آخاب:

يذكر سفر الملوك الأول أن أخزيا بن آخاب عمل الشر في عيني الرب، وسار في طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام الذى جعل إسرائيل يخطئ، وأنه عبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعله أبوه (٢).

وهذا مما يدل على استمرار عبادة البعل بعد موت آخاب، بل إن أخزيا طلب الشفاء أثناء مرضه من البعل دون الرب (٣).

يذكر سفر الملوك الثاني أن "أخزيا سقط من الكوة التى، فى عليته التى فى

(١) الصافات: ١٢٣-١٣٣، راجع تفسير القرطبي ج٩ ص ١١٥-١١٩، وسيد قطب فى ظلال القرآن مجلد ٥ ص ٢٩٩٧-٢٩٩٨، راجع أيضًا د/ محمد بيومى مهران ج٨ ص ٩١٣، مهندس أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٥١-٥٧ الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.

(٢) ملوك أول ٢٢: ٥٢-٥٣.

(٣) كان بعزببول إله عقرون (إحدى مدن الفلسطينيين الخمس) ثم حرفة اليهود إلى "بعل زبوب أو بعزببوب" ومعناه "بعل الأقدار" أو إله الذباب وتسمى هذا الاسم اعتقاداً من عابديه فى قدرته على جلب هذه الحشرات لهم ودفع أذاها عنهم وهى حشرات كانوا يعتبرونها أرواحاً حارسة للأمراض معينة ومن هنا ندرك السبب الذى من أجله أرسل أخزيا لاستشارة هذا البعل (راجع أنيس فريجة: ملاحم وأساطير من أوغاريت ص ٤٧-٤٨، قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٣-٦٣٣، لودز: إسرائيل ص ١٠٩-١١٠، نقلاً عن هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٧).

السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض فقال ملاك الرب لإيليا قم اصعد لقاء رسل ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون، فلذلك هكذا قال الرب إن السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت" (١).

وحدث فعلاً أنه مات ولم يتم شفاؤه كما ذكر السفر (٢).

٣ - فى عهد يهورام بن أخاب:

يذكر سفر الملوك الثانى أن يهورام عمل الشر فى عينى الرب ولكن ليس كأبيه وأمه فإنه أزال تمثال البعل الذى عمله أبوه إلا أنه لصق بخطايا يربعام ولم يجد عنها. (٣).

ويذكر رينجرين أن يهورام قد اتخذ فى بداية ملكه كثيرًا من الإجراءات التى كانت نتيجة لما بذله إيليا من جهود فى سبيل محاربة البعل فأزال يهورام رموزًا معينة لعبادة البعل وبدا واضحًا أنه لم يعتزم اتباع السياسة الدينية التى سار عليها أبوه من قبل (٤).

ويبدو أن سياسته الدينية كانت متمشية مع الحركة التوفيقية التى سادت البلاد منذ عصر يربعام (بين يهوه وعجلى الذهب)، وبين (يهوه والبعل) ثم حاول هو التخفيف من هذه التوفيقية، فإزالته لتمثال البعل كانت نوعًا من التطهير الدينى لكن من الواضح أنه لم يقض تمامًا على عبادة البعل فى مملكة إسرائيل (٥).

(١) ملوك ثان ١: ٢ - ٤.

(٢) راجع سفر الملوك الثانى: ١: ٥: ١١٧.

(٣) ملوك ثان ٣: ٢ - ٣.

(٤) هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٥١.

(٥) روبنسون: تاريخ إسرائيل نقلاً عن المصدر السابق ص ٣٥٢.

ثورة ياهو على عبادة البعل:

يذكر سفر الملوك الثانى أن ياهو بعد أن تولى الحكم قام بمذبحة مروعة قضى فيها على عبدة البعل وأزال تماثيلهم وتبين الطريقة التى احتال فى تنفيذها أن عبادة البعل كانت لا يزال لها تأثير كبير فى نفوس الإسرائيليين.

يقول السفر " ثم جمع ياهو كل الشعب وقال لهم إن أخاب قد عبد البعل قليلاً وأما ياهو فإنه يعبد كثيراً والآن فادعوا جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته، لا يفقد أحد لأن لى ذبيحة عظيمة للبعل،.. وقد فعل ياهو بمكر لكى يفنى عبدة البعل، وقال ياهو قدسوا اعتكافاً للبعل فنادوا به وأتى جميع عبدة البعل ودخلوا بيت البعل الذى امتلأ من جانب!! فقال ياهو للذى على الملابس أخرج ملابس لكل عبدة البعل فأخرج لهم ملابس".

" ودخل ياهو إليهم وقال لهم فتشوا وانظروا لثلا يكون معكم هاهنا أهد من عبي الرب، ودخلوا ليقربوا ذبائح ومحرقات".

وأمر رجاله أن يدخلوا عليهم بعد أن ينتهوا من تقريب محرقاتهم ليقتلوهم وفعلاً قضوا عليهم جميعاً ثم انطلقوا إلى بيت البعل " وأخرجوا تماثيله وأحرقوها وكسروا تماثيل البعل وهدموا بيته وجعلوه مزبلة إلى هذا اليوم"^(١).

ويذكر السفر أن ياهو استأصل عبادة البعل من مملكة إسرائيل^(٢).

وبالرغم من ذلك فإن هناك من يذكر أن عبادة البعل لم تح تماماً من المملكة وإنما استمرت أيضاً بعد هذه المذبحة^(٣).

ثانياً - دخول عبادة البعل إلى المملكة الجنوبية:

لقد سبق أن أشرت إلى أن يهورام بن يهوه شافاط (ملك يهوذا) تزوج من عثاليا بنت أخاب من إيزابيل.

(١) راجع ملوك ثان: ١٠: ١٨ - ٢٧.

(٢) ملوك ثان ١٠: ٢٨.

(٣) راجع هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

وإذا كانت أمها قد أدخلت ديانتها لوثنية إلى المملكة الشمالية فإن عثليا - بعد أن تزوجت من يهورام أدخلت دينها الوثني - كما يقول كونتنو - في مملكة يهوذا وأحلت عبادة البعل محل عبادة يهوه^(١).

ويذكر صموئيل شولتر أن تغييرات عنيفة طرأت على الجو الديني في مملكة يهوذا بعد موت يهوه شافاط ذلك لأن عثليا كانت من المؤيدين لعبادة البعل مثل أمها إيزابيل فقد عملت على تصعيد ممارسة عبادة الأوثان في أورشليم وفي سائر أنحاء يهوذا فاستخدمت الأشياء لمكرسة المحفوظة في الهيكل في أغراض خاصة بالبعل وعينت كاهناً أعلى البعل في أورشليم ولا شك أن سفك الدماء والاضطهاد الذي حدث بسبب عبادة البعل في المملكة الشمالية أبا حكم ياهو لها فرصة سانحة لكي تثبت هذه العبادة في يهوذا في هذه الفترة^(٢).

فقد كان لها تأثير كبير على زوجها يهورام الذي انقاد لها واتبع سياسة أبيها أخآب.

جاء في سفر الملوك الثاني والأخبار الثاني عنه ما نصه:

"وسار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت آخآب لأن بنت آخآب كانت له امرأة وعمل الشر في عيني الرب"^(٣).

وفي سفر الأخبار ورد أن إيليا أرسل إليه قائلاً:

"هكذا قال الرب من أجل أنك لم تسلك في طريق يهوه شافاط أبيك وطريق آساملك يهوذا بل سلكت في طريق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنا بيت آخآب وقتلت أيضاً إخوانك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك،

(١) الحضارة الفينيقية ص ٧٤، راجع أيضاً د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) العهد القديم يتكلم ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) ملوك ثان ٨: ١٨، أخبار ثان ٢١: ٦.

هوذا يضرب الرب شعبك وبيتك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة وإياك بأمراض كثيرة بداء أمعائك حتى تخرج أمعائك بسبب المرض يوماً فيوماً^(١).

وحينما مات يهورام تولى ابنه اخزيا فسار على نفس سياسة أبيه تجاه عبادة البعل وكان هذا بتأثير أمة عثليا بنت آخاب أيضاً.

يقول عنه سفر الأخبار الثاني " وهو أيضاً سلك في طريق بيت آخاب لأنه أمه كانت تشير عليه بفعل الشر، فعمل الشر في عيني الرب مثل بيت آخاب، لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإباديته فسلك بمشورتهم^(٢)."

وحينما علمت أمه بمقلته على يد ياهو قامت فأبدات جميع النسل الملكي من بيت يهوذا وأعلنت نفسها ملكة على يهوذا لمدة ست سنوات^(٣).

ويبدو أن عثليا - كما يقول رينجرين - كانت تبسط سلطانها ونفوذها على البيت المالكي حتى بعد موت زوجها يهورام وكانت تتمتع بنفوذ قوى وهيمنة أوسع مما تتمتع به الملكة الزوجة - زوجة ابنها اخزيا - ولم يكن موت زوجها سبباً في إضعاف قوته أو تحجيم نفوذها^(٤).

ثم حدث في السنة السابعة من حكمها أن استدعى الكاهن يهويا داع قواد الجيش والكهنة واللاويين وشيوخ الشعب إلى أورشليم وقاموا بتنصيب يهوآش ملكاً على يهوذا وأقسموا له يمين الولاء^(٥).

ويذكر السفر " أن عثليا لما سمعت صوت الشعب يركضون ويمدحون الملك دخلت إلى الشعب في بيت الرب ونظرت وإذا الملك واقف على منبره، فشقت ثيابها

(١) أخبار ثان ٢١: ١٢-١٥.

(٢) أخبار ثان ٢٢: ٣-٥ راجع أيضاً سفر الملوك الثاني ٨: ٢٧.

(٣) ملوك ثان ١١: ٣، أخبار ثان ١٢٢: ١٠، ٢٢.

(٤) نقلاً عن هوارى: الألوهية عند بني إسرائيل ص ٣٧٥.

(٥) راجع سفر الملوك الثاني ١: ١١-١٢، أخبار الأيام الثاني ٢٣: ١-١١.

وصرخت خيانة خيانة فأمر يهويا داع قواد الجيش بقتلها فأخرجوها من بيت الرب وقتلوهما مع من اتبعها^(١).

ويذكر السفر "أن جميع الشعب دخل إلى البيت البعل وهدموا مذبحه وكسروا تماثيله تمامًا وقتلوا كاهن البعل أمام المذبح"^(٢).

وهكذا وجدنا أ، عبادة البعل قد دخلت المملكتين في عصر الانقسام عن طريق امرأتين فينيقيتين (إيزابل الأم في الشمال، وعثليا الابنة في الجنوب) وكان لهما دور كبير في التأثير على اليهود ونشر عبادة البعل بينهم.

عبادة اليهود للآلهة الآشوريين:

لقد سبق أن تبين لنا كيف خضع اليهود للآشوريين ووقعوا تحت قبضتهم وكيف حدث تخريب السامرة ووقع السبي الآشوري، وقد كان لهذا الخضوع وذلك السبي أثرهما على الديانة الآشورية.

ذلك أن الملوك الآشوريين - والبابليين من بعدهم - لكى يوطدوا سلطتهم على الأقاليم الخاضعة لهم كانوا يقومون بإدخال دين الإمبراطورية الرسمية في عواصم هذه الأقاليم إلى جانب الأديان المحلية وكانوا يفرضون عبادة الأرباب الآشوريين على شعوب تلك الأقاليم^(٣).

وكانوا يعتبرون ذلك علامة على سيادتهم وتفوقهم فكان مألوفاً أن نرى من يقدر سفر شجرة خضراء أو أجمة خضراء أو قرص الشمس المجنح الذى يرمز إلى الإله آشور^(٤).

(١) ملوك ثان ١١: ١٣-١٦، أخبار الأيام الثاني ٢٣: ١٢-١٥.

(٢) ملوك ثان ١١: ١٨، أخبار ثان ٢٣: ١٧.

(٣) نوث نقلا عن د/ مهراڤ جـ ص ١٠٣٤، د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٥٢٢.

(٤) روبنسون: تاريخ إسرائيل نقلا عن هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٨٥.

وقد سبق أن أشرت أيضًا إلى استنجد (آحاز ملك يهوذا) بالملك الآشورى رغم معارضة أشعيا النبى.

إذا حاول أشعيا أن يثنيه عن ذلك وأخذ يشجعه إلا أن آحاز كان قد فقد الثقة فى نفسه وفى ربه (يهوه)!! كذلك.

ومن ثم قرر أن يستدعى قوات آشور لحمايته ثم أرسل الهدايا من خزائن المعبد إلى " تجلات " " بلاسر " سائلاً إياه بل وملحاً فى سؤاله أن ينقذه من ملكى دمشق والسامرة على شريطة أن يكون " عبداً وابناً"^(١).

وهنا بدأت الاتصالات اليهودية الآشورية التى نشأ عنها دخول لأشكال من العبادات الأجنبية إلى المملكة الجنوبية إذ قدس اليهود الآلهة الآشورية وأخذوا عنهم الكثير من التعاليم الدينية، وأدخل آحاز بدءاً معينة على طقوس وشعائر المعبد فى أورشليم^(٢).

يقول روبنسون " وظل السلطان الآشورى فى الجنوب سائداً بل أن مظاهر العبادة قد حورت وكان ذلك من مقتضيات الخضوع لآشور، فمن الواضح أن ضرباً من العبادات الآشورية قد أدخل إلى أورشليم ولعل من ذلك تمجيد الأجرام السماوية"^(٣).

وقد ذهب آحاز إلى دمشق مع غيره من الملوك الخاضعين لآشور لتقديم فروض الولاء لملك آشور (تغلاث فلاسر) ، وهناك رأى مذبحاً وثنياً فأعجب به وأراد أن يقيم مثله فى معبد أورشليم، فأرسل إلى كهنته يوصيهم بذلك.

(١) راجع سفر الملوك الثانى ١٦: ٧-٨، تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١٢٢ كوك: نقلاً عن د/ مهران جـ ص ٩٣٧، قاموس الكتاب المقدس ص ٢، راجع فصل فترات السبى من الباب الثانى، راجع د/ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص ٢١-٢٣.

(٢) د/ عبد المجيد زايد: الشرق الخالد ص ٣٨١ محمد على هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٨٥.

(٣) روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١٢٢، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ ص ٧٠، د/ سامى سعيد الأحمد: الأسس التاريخية ص ٢٢.

يقول سفر الملوك الثانى "وسار الملك آحاز للقاء تغلاث فلاسر ملك آشور، ورأى المذبح الذى فى دمشق وأرسل الملك إلى أوربا الكاهن شبه المذبح وشكله حسب كل صناعته فبنى أوربا الكاهن مذبحًا حسب كل ما أرسل الملك آحاز من دمشق، فلما قدم الملك من دمشق رأى المذبح فتقدم إليه وأصعد عليه وأوقد محرقة وسكب سكيبه ورش دمه ذبيحة السلامة التى على المذبح^(١)."

وترى كاترين هنرى أن هذا المذبح الوثنى قد أقامه الآشوريون فى دمشق لعبادة ملكهم الذى حسبوه إلهًا ولعل الآشوريين أرادوا أن يشاركوا صنائعهم فى عبادتهم فأمرؤا آحاز أن يقيم مثل هذا المذبح فى أورشليم فأخذوا نموذجًا منه وأقامه فى الهيكل^(٢).

وربما ظن البعض أ، هذا المذبح كان آراميا حيث كان فى دمشق عاصمة الآراميين لكن هذا غير صحيح لأنه لا يوجد ما يبرر استعارة آحاز لأى عنصر من عناصر عبادة دولة مقهورة ومدمرة.

بالإضافة إلى أنه كانت لديه بواعث أقوى جعلته يحاكي نمطًا من المذابح الآشورية بل ربما كان مضطرًا إلى أن يدخل عنصرًا ما من عناصر العبادة الآشورية^(٣).

من آلهة البابليين:

وفىما يتعلق بآلهة البابليين فقد سبق أن أشرت إلى أن اليهود الذين سبوا إلى بابل قد استهوتهم الديانة البالية فعبدوا آلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية حتى ذكر ول ديورانت أن طائفة منهم مطردة الزيادة أخذت تعبد الآلهة البالية وتآلف الأساليب

(١) ملوك ثان ١٦: ١٠-١٣.

(٢) التاريخ فى الكتاب ص ٧٨. راجع أيضًا روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١٢٢.

(٣) محمد على حسن هوارى: الألوهية عند بنى إسرائيل ص ٣٨٦.

الشهوانية الشائعة في العاصمة القديمة (بابل) حتى إذا كان الجيل الثاني من أبنائهم كانت ذكرى أورشليم قد محيت من أذهانهم^(١).

تموز وعشروت:

ومن الآلهة البابلية التي عبدها اليهود الآلهان (تموز وعشروت) وكانت عبادة الإلهة (تموز) تتضمن طقوساً داعرة يزاول فيه الرجال والنساء الدعارة في هيكله وكانت النسوة تبكين مرة كل سنة حزناً على موته في الأسطورة التي كانوا يتداولونها عنه^(٢)، وكان اليهود يفعلون كل ذلك في عبادة تموز داخل هيكل أورشليم نفسه^(٣).

وعبد اليهود الآلهة (عشروت) التي كانت تعبدها أغلب الشعوب الوثنية مع البابليين وكانوا يعتقدون أنها ملكة السماوات وآلهة القمر، وأنها زوجة الإله (تموز) وأخته في الوقت نفسه، وكانوا يبنون هياكلها فوق التلال والمرتفعات ويحيطونها بالأشجار الخضراء وكانت عبادتها كعبادة تموز تتضمن طقوساً داعرة، وتنطوي على كثير من معالم الخلاعة فكانت النساء يزاولن الدعارة في هيكلها ليلاً ويقمن بتطريز الخيام لهيكلها نهاراً وغذ كانت تميل إلى العلاقة الجنسية كانت كاهناتها عاهرات يمارسن هذه العلاقة كطقس ديني كما كان المأبونون الذكور يمارسون العلاقات الشاذة مع أمثالهم من الذكور إكراماً لها.

وقد أدخلت عبادتها في إسرائيل في بداية عصر الانقسام وظلوا يعبدونها في كل مراحل تاريخهم القديم^(٤).

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ٣٦٢ راجع السبي البابلي في فترات السبي والاضطهاد.

(٢) كان الإله تموز يعد إله الأرض السفلى عند البابليين وكانوا يتصورون أنه يموت سنوياً ثم يعود إلى الحياة مع السنة الجديدة وتقول الأسطورة أنه بينما كان يموت في الأرض السفلية توقفت الحياة على ظهر الأرض ثم اخترقت عشترت (عشروت) الدنيا السفلية ومنحته الشفاء (راجع تفاصيل هذه الأسطورة ول ديورانت): قصة الحضارة المجلد الأول ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٣) راجع حزقيال ٨: ١٣ - ١٤، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢، زكي شنودة: اليهود ص ٤٨٤ - ٥٨٥، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ ص ١٢٦.

(٤) راجع سفر الملوك الثاني ١١: ٥، ٣٣ / ٢٣: ١٣، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الولى ص ٦٧، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ ص ١٢٨، وديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ ص ٣١٥ جـ ٢، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٨، زكي شنودة: اليهود ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

هذا وقد مارس اليهود البغاء الدينى، أو ما يسمى بالعهر المقدس تأثيراً بالبابليين^(١)، ومارسوا طقوسه الخليعة وتوجد شواهد كثيرة تدل على ذلك من كتابهم المقدس^(٢).

كان كهنة اليهود يمارسون هذا البغاء فارتكبوا أقر أنواع العبادة الوثنية وسط الغابات وعلى المرتفعات ومارسوا الطقوس الشهوانية فكانوا يضاجعون النساء في خيمة الاجتماع وفي المعبد وشاع هذا بين أفراد الشعب^(٣).

من آلهة العمونيين والمؤابيين:

وقد عبد اليهود أيضًا كلاً من الإله "مولك" أو "ملكوم" العمونى والإله "كموش" المؤابى وقدموا لهم لقرايين البشرية:

فالإله "مولك"^(٤) أو "مولوك"^(٥) هو فى الأصل إله الكنعانيين وكانوا يعتبرونه إله النهار أو إله جهنم ثم عبده العمونيون حتى اشتهر عنهم وأطلقوا عليه "ملكوم"^(٦) وظل الجميع يرهبونه ويعلمون على استرضائه بتقديم أطفالهم ضحايا له وكانوا يقيمون له صنماً ضخماً من النحاس المجوف ذا ذراعين ممدودين ويوقدون فى داخله النار حتى إذا اشتد احمرار الذراعين من فرط الحرارة ألقوا عليهما أطفالهم،

(١) عاموس ٢: ٧-٨، حزقيال ٨: ١٤، ميخا ١: ٧ تثنية ٢٣: ١٨، جرهاردوس: علم اللاهوت الكتابى ص ٤١٢ د/ فيليب حتى / تاريخ سورية ج١ ص ١٢٦ د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٣٩.

(٢) راجع تفاصيل الحديث عن البغاء المقدس لدى البابليين: ول ديورانت قصة الحضارة مجلد ١ ج ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣) راجع تفاصيل ذلك: صموئيل الأول ٢: ٢٢-٢٦، د/ ف. ماير: حياة صموئيل ص ٢٧، زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص ١٥٢-١٥٣.

(٤) لاويين ١٨: ٢١.

(٥) أعمال الرسل: ٧: ٤٣.

(٦) ملوك أول ١١: ٥، صفنيا ١: ٥.

فتشويهم النار شيا وهمم بينذاك يدقون اللطبول ليحجبوا صوت صراخ أولئك الأطفال الأبرياء.

وكانوا يفعلون ذلك في أورشليم وفي مختلف أماكن بلادهم وأشهرها مكان يسمى "توفة"^(١) ومعناه بالآرامية "مكان الحريق"^(٢).

وكان الإله "كوش": إله المؤابيين قد عبده اليهود أيضًا وأطلقوا اسمه على شعبه فقالوا "شعب كموش" أو أمة كموش^(٣)، وكانت طقوس عبادت تشبه من كل الوجوه عبادة الإله (مولك)، فكانوا يقدمون له الأطفال ضحايا له، والظاهر أن كموش كان يتصل بملكوم إله العمونيين اتصالاً وثيقاً^(٤).

من آلهة اليونانيين:

وفيما يتعلق بعبادة اليهود لآلهة اليونانيين فإن أنطيوخوس الرابع^(٥) - كما سبق أن أشرت - كان يتبع السياسة التقليدية للأسرة السلوقية التي اعتبرت "الهيلينية" القاسم المشترك الذي سيلتقى عنده جميع رعاياهم ولكن انطيوخوس ذهب أبعد من هذا وبلغ منه أن أعلن نفسه إلهًا أو الإله الظاهر (تيوس ابيفانس) وقرن نفسه بهذه المناسبة بالإله (زفس أليمبيوس)^(٦).

والإله "زفس" يعد رئيس الآلهة عند اليونان وكان متسلطا على جميع الآلهة

(١) كان هذا المكان يقع شرقي الوادي الذي تاخم جنوب غربي أورشليم وكان يسمى وادي هنوم أو وادي ابن هنوم أو وادي بني هنوم. راجع كتابي بالتفصيل "القرابين البشرية".

(٢) راجع أشعياء: ٣٠: ٣٣ أمريا ٧: ٣١، ٣٢: ٣٥، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٦، ٩٣٤ - ٩٣٥، ٧٢١، زكي شنودة: اليهود ص ٤٨٣ - ٤٨٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والسرق ج٣ ص ٧٠.

(٣) عدد ١: ٢٩، ارميا ٤٨: ٤٦.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٧ زكي شنودة لليهود ص ٤٨٦.

(٥) صاحب أكبر اضطهاد ديني لليهود في العصر اليوناني (راجع الفصل الأول من الباب الثاني).

(٦) د/ فيليب حتى تاريخ سورية ج١ ص ٢٦٧.

الوثنية وقد هدف الحكام اليونانيون إلى تعميم عبادته في العالم كله فأقاموا له معابد وتمثال في كل المدن الهامة تقريباً^(١).

وقد كان أنطيوخوس يعتمد على معاونيه من اليهود فشجع اعتبار "يهوه" مساوياً للإله (زفس) وأقام له مذبحة في هيكل أورشليم بعد أن جردوه من كل كنوزه^(٢).

وكما سبق أن ذكرت - عند الحديث عن الاضطهاد اليوناني - أن الكثيرين من اليهود قد مالوا إلى الوثنية وعبدوا الآلهة اليونانية وقدموا الذبائح إلى كبيرهم الإله "زفس"^(٣).

من آلهة الرومان:

وفيما يتعلق بآلهة الرومانيين فإن الرومان بعد أن استولوا على البلاد ظلوا يعممون عبادة الإله اليوناني "زفس" بعد أن سموه "جوبيتر" الروماني^(٤).

وكذلك فإن هيرودس حينما تولى الحكم كان كل همه منصرفاً - كما سبق أن رأينا^(٥) - إلى تملق الرومان والتزلف إليهم، فأقام هياكل وثنية لعبادة الإمبراطور الروماني في أورشليم ذاتها، وبعد موته تابعه أبناؤه في سياسة التملق للرومان وإقامة الهياكل لعبادة أباطرتهم ومتابعتهم في كثير من عاداتهم وتقاليدهم الوثنية متجاهلين أحكام الشريعة، وكان يساندتهم في ذلك كثير من طوائف اليهود ولاسيما طائفة الصدوقيين والهيرودسيين^(٦).

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٦.

(٢) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ج١ ص ٢٦٧ موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٩٧.

(٣) راجع الفصل الخاص بفترات الاضطهاد: الاضطهاد اليوناني.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٦.

(٥) راجع الاضطهاد الروماني في الفصل الخاص - بفترات السبي والاضطهاد.

(٦) زكي شنودة: اليهود ص ٢٩٠.

وقد استمر اليهود في العهد الروماني كما كانوا في كل عهودهم التاريخية موسومين بالضلال والانحلال والنفاق واضمحلال الأخلاق، إذ كانوا يتظاهرون باحترام الشريعة اليهودية مدعين الحرص على أحكامها، والتزمت في تطبيق هذه الأحكام بينما هم - كما يقول زكي شنودة - في حقيقتهم - كما كانوا على الدوام - عبيد شهواتهم وعباد أصنام^(١).

تعقيب:

وهكذا، تبين لنا من هذه الأمثلة القليلة أن اليهود لم يعبدوا إلهًا واحدًا ولكنهم اتخذوا من دونه وأشركوا معه آلهة أخرى من معبودات الأمم الوثنية التي اختلطوا بها^(٢).

ويصف ارميا كثرة الآلهة التي عبدها اليهود في مملكة يهوذا فقط بقوله " لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعت مذابح للخزي مذابح للتبخير للبعل"^(٣).

وبيّن أنهم في ذلك يعيدون سيرة آبائهم الأولين:

" وقال الرب لي توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم قد رجعوا إلى آثام - آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامي وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها"^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) يبدو أن الإسرائيلي كان ميالاً إلى التقليد وسرعة التأثر بالوثنيين فسفر الأخبار الثاني يذكر أن أمصيا ملك يهوذا بعد أن هزم الأدوميين أتى بألهتهم وجعلهم له آلهة وسجد أمامها وإن غضب الرب قد حمى عليه وأرسل إليه نبياً فقال له لماذا طلبت آلهة الشعب الذين لم ينقوا شعبهم منك (أخبار ثان ٢٥: ١٤ - ١٦).

راجع جورج قزم: تعدد الأديان وأنظمة الحكم ص ٦١ - ٧١ دار النهار للنشر بيروت - ١٩٧٩.
راجع أيضاً رأى العلماء اليهود أنفسهم في التوحيد لدى اليهود وقولهم بأن - اليهود غير موحدين التوراة تاريخها وغايتها ص ٧٩ - ٨٢.

(٣) أرميا ١١: ١٣.

(٤) أرميا ١١: ٩ - ١٠.

وخاطب حزقيال أورشليم على لسان الرب مبيّنًا تأثرها بالشعوب الوثنية بقوله:
" في رأس كل طريق بنيت مرتفعاتك ورجست جمالك وفرجت رجلك لكل عابر
وأكثر زناك وزنيت مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك
لأغاظتى، فهذا أذا قد مددت يدى عليك ومنعت عنك فريضتك وأسلمتكم لمرام
مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتى ينجلن من طريقك الرذيلة.

وزنيت مع بنى آشور، إذ كنت لم تشبعى فزنيت بهم ولم تشبعى أيضًا، وكثرت
زناك في أرض كنعان إلى أن الكلدانيين وبهذا أيضًا لم تشبعى.

ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذا فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة،
ببنائك - قبتك في رأس كل طريق وصنعك مرتفعات في كل شارع، ولم تكونى
كزانية بل محتقرة الأجر، أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجيينت مكان زوجها، لكل
الزوانى يعطون هدية.

أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هدايك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا
بك.

وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يزن وراءك بل أنت تعطين أجره
ولا أجره تعطى لك فصرت بالعكس^(١).

وليسمح لى القارئ بأن أنقل له وصف حزقيال لانحراف المملكتين معا عن
عبادة الإله الواحد وشبه عبادتهما للإلهة الأخرى بخيانة زوجتين لزوجهما وسماهما
أهوله وأهوليبة:

ورد في الإصحاح الثالث والعشرين ما نصه:

" وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم كانت امرأتان ابنتا أم واحدة، وزننا
بمصر، فى صباهما زنتا، هناك دغدغت ثديها، وهناك تزعزعت ترائب عذريتها

(١) حزقيال ١٦: ٢٥ - ٣٤.

واسمها أهولة الكبيرة وأهولية أختها، وكانتا لى وولدتا بنين وبنات، واسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهولية.

وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبيها آشور الأبطال، كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل، فدفعت لهم عقرها لمختارى بنى آشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم.

ولم تترك زناها من مصر أيضًا لأنهم اجعوها فى صباه وزغزغوا ترائب عذرتها وسبكوا عليها زناها.

لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بنى آشور الذين عشقتهم، هم كشفوا عورتها، أخذوا - بنيتها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكمًا.

فلما رأت أختها أييهولية ذلك أفسدت فى عشقتها أكثر منها وفى زناها أكثر من أختها عشقت بنى آشور.. كلهم شبان شهوة،.. وزادت زناها وما نظرت إلى رجال مصورين على الحائط صور الكلدانيين مصورة، منطقين بمناطق على أحقائهم عمائمهم مسدولة على رءوسهم، كلهم فى المنظر رؤساء مركبات شبه بنى باب الكلدانيين أرض ميلادهم.

عشقتهم عند ملح عينيها إياهم، وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين، فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب، ونجسوها بزناها فتنجست بهم وجفتهم نفسها، وكشفت زناها وكشفت عورتها جفتها نفسى كما جفت نفسى أختها، وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر، وعشقت معشوقهم الذين لحمهم كلحم الحمير، ومنيهم كمنى الخيل، وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك.

لأجل ذلك يا أهولية.. هاأنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك وآتى عليك من كل جهة، بنى بابل وكل الكلدانيين ومعهم كل بنى آشور.. فأسلم لهم الحكم.. فيحكمون عليك بأحكامهم....

فعل بك هذا لأنك زנית وراء الأمم لأنك تنجست بأصنامهم.

في طريق أختك سلكت فادفع كأسها ليدك، إنك تشرين كأس أختك العميقة الكبيرة.. تمتلئين سكرًا وحزنًا كأس التحير والخراب كأس أختك السامرة^(١).

ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن القرآن الكريم بعد أن بين فساد اعتقاد الذين أوتوا الكتاب فذكر أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق^(٢)، أخبرنا سبحانه وتعالى بشئ من ذلك فقال:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٣).

ويهمنا هنا الإشارة إلى قول اليهود ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وإلى اتخاذ أخبارهم أربابًا من دون الله:

١ - قول اليهود ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾:

يذكر المفسرون أن اليهود كلهم لم يقولوا بهذا القول، وإنما قاله بعضهم ولهم في ذلك أقوالاً منها مثلاً ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جماعة من اليهود

(١) حزقيال ٢٣: ١ - ٣٣.

(٢) وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَبِيرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

(٣) التوبة: ٣٠ - ٣١.

أتوا رسول ﷺ وهم سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى، ومالك ابن الصيف، وقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم أن عزيزاً ابن الله فنزلت هذه الآية^(١).

وينسب الإمام ابن حزم هذا القول إلى إحدى فرقهم وهى فرقة الصدوقية أو الصدوقيين وذكر أنهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزيز هو ابن الله تعالى عن ذلك وأنها كانوا بجهة اليمن^(٢).

وذكر هرشيرج أن بعض يهود اليمن كانوا يعتقدون أن عزرا أو عزيزاً ابن الله^(٣).

ويذكر الفخر الرازى أن هذا المذهب كان فاشياً فى اليهود ثم انقطع، فحكى الله عنهم، ولا عبرة بإنكار اليهود لك فإن حكاية الله عنهم أصدق، وتعد دليلاً قاطعاً على أن بعضهم على الأقل - وبخاصة يهود المدينة - زعموا هذا الزعم، وراج بينهم، وقد كان القرآن يواجه اليهود مواجهة واقعية ولو كان فيما يحكيه من أقوالهم مالا وجود له بينهم لكان هذا حجة لهم على تكذيب ما يرويه رسول الله ﷺ ولما سكتوا عن - استخدام هذا على أوسع نطاق^(٤).

ويذكر المفسرون أن السبب الذى لأجله قال اليهود هذا القول ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فأنساهم الله تعالى التوراة - ونسخها من صدورهم فتضرع عزيز إلى الله وابتهل إليه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه به فلما جربوه وجدوه صادقاً فيه فقالوا ما تيسر هذا لعزير إلا أنه ابن الله^(٥).

(١) راجع الفخر الرازى: التفسير الكبير ج١٦ ص ٣٢.

(٢) الفصل ج١ ص ٦٩.

(٣) نقلاً عن أحمد عوف: عزيز وعزرا فى القرآن الكريم والعهد القديم ص ١٢.

(٤) التفسير الكبير ج١٦ ص ٣٣، راجع أيضاً سيد قطب: فى ظلال القرآن مجلد ٣ ص ١٦٣٥.

(٥) راجع الطبرى والرازى وابن كثير وغيرهم فى تفسير هذه الآية.

وذكروا في ذلك روايات غريبة وعجيبة منها على سبيل المثال ما نقله ابن كثير عن السدى أن العمالة!!! لما غلبت على بنى إسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقى العزيز يبكى على بنى إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه، ثم قيل له اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصل ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فإذا الشيخ فقال له افتح فمه ففتح فمه فألقى فيه شيئاً عظيماً كهيئة الحجرة العظيمة ثلاث مرات فرجع عزيز وهو من أعلم الناس بالتوراة!!، فقال يا بنى إسرائيل قد جئكم بالتوراة فقال يا عزيز ما كنت كذاباً فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلماً وكتب التوراة بأصبعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزيز فاخبروه فوجدوا ما جاد به صحيحاً فقال بعض جهلتهم، إنما صنع هذا لأنه ابن الله^(١).

ومن الواضح أن هذه الرواية وأمثالها من الخرافات والمبالغات ونقلها المفسرون عن الإسرائيليات^(٢).

وقد تابع المفسرون في ذلك اليهود في قولهم أن عزرا قد ألهم التوراة بعد ضياعها وأن اليهود أحضروا نسخاً وطابقوا بينها وبين نسخة عزرا فوجدوها صحيحة، وتبين لنا فيما سبق بطلان هذا القول حيث أن التوراة الحالية المنسوبة إلى عزرا تخالف توراة موسى المنزلة وتشتمل على تناقضات ومبالغات وتحريفات كثيرة^(٣).

وإن كان هذا لا يمنع أن يكون اليهود قد عظموا عزرا وقدسوه ولعل الإمام المهتدى - السموأل بن يحيى المغربى (وكان يهودياً فأسلم) يكون أكثر دراية بهذا الموضوع من غيره فهو يقول:

" ولم يك نحفظ التوراة فرضاً ولا سنة كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٣٤٨.

(٢) راجع تفصيل ذلك: تفسير المنار مجلد ٥ جـ ١٠ ص ٢٨٨.

(٣) راجع الفصل الخاص بفقدان وتحريف اليهود للتوراة المنزلة.

من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم أحرق هيكلكم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن.

ولذلك بالغوا في تعظيم (عزرا) هذا، غاية المبالغة، وزعموا أن النور - إلى الآن - يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتابًا يحفظ دينهم^(١).

وهكذا فإن اليهود قد عظموا عزرا بعد أن أوهمهم بكتابة التوراة المنزلة مع أنه قام بتأليفها وتلفيقها من مصادر مختلفة.

هذا وقد ذهب عدد من العلماء والباحثين إلى أن عزرا الذي كتب التوراة وعظمه اليهود هو نفسه عزيز المذكور في القرآن الكريم والذي قال عنه اليهود أنه ابن الله.

وذكروا أن كلمة عزيز هي تعريب للاسم العبري والآرامي عزرا.

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن يهود العرب هم الذين صغروا اسم عزرا بالصيغة العربية للتجب وصرفوه وعنههم أخذ المسلمون، مثلما قلبت العرب اسم "يسو" إلى "عيسى"^(٢).

وتشير دائرة المعارف العبرية العامة إلى أن العرب يعرفون عزرا باسم العزيز^(٣).

ورجح د/ أحمد عوف هذا الرأي وبحث هذه النقطة بشئ من التفصيل^(٤).

لكن الإمام السموأل يذهب إلى أن عزرا هذا ليس هو (العزيز) كما يظن لأن العزيز هو تعريب (العازار)^(٥).

(١) إفحام اليهود ص ١٣٩ - ١٤٠، إمام الحرمين: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ص ٣١ النشار: مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٩٧٨.

(٢) لتفسير المنار ج ١٠ ص ٢٨٢.

(٣) نقلاً عن عزيز وعزرا ص ١١.

(٤) عزيز وعزرا في القرآن الكريم في العهد القديم ص ١٥٢.

(٥) راجع تفصيل الكتاب هذا الرأي: إفحام اليهود ص ١٥٢.

وقد ارتضى الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى رأى السموأل فذكر أنه كلام مقبول حيث أنه رجل متضلع فى اللغتين العبرية والعربية ومتبحر فى علوم التوراة والقرآن الكريم، وهو كلام فصل فى هذه النقطة، وأن علماءنا المثبتين كانوا يرون ذلك ولا يخلطون بين الرجال لاسيما وأن الخلط فى هذه الحالة خطير جدًا لأنه بين رجل صالح (العازار) وبين فاسق جاهل فارغ هو عزرا الوراق رئيس الكتبة المنشقين الذين حرفوا التوراة^(١) ومهما يكن من أمر فإن اليهود قد قالوا إن عزيرا هو ابن الله وسواء أكان هو عزرا أم غيره فإن ما يعنينا هنا أن القائلين بهذا خرجوا من دائرة الإيمان الحقيقى بالله وأن هذا القول قد باعد بينهم وبين عقيدة التوحيد.

فالقرآن الكريم قد وضعهم مع النصارى القائلين بأن المسيح ابن الله فى سلة واحدة، وقال عنهم " ذلك قولهم بأفواههم " ويراد به القول الذى لا يعضده برهان هما هو إلا لفظ يفوهون به^(٢).

ويذكر القرطبى أن أهل المعانى قالوا أن الله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً كقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(٣) ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾^(٤) ﴿ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ لَهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(٥).

ويذكر الشيخ رشيد رضا أنه لا يبعد أن يكون بعض المتقدمين على عصر البعثة المحمدية من اليهود قد قالوا أن عزيرا ابن الله يمثل قول فيلون الفيلسوف اليهودى الإسكندرى المعاصر للمسيح " إن لله ابنا هو كلمته التى خلق بها الأشياء، وخاصة

(١) هامش إفحام اليهود ص ١٥٣.

(٢) الفخر الرازى ج ١٦ ص ٣٥.

(٣) آل عمران: ١٦٧.

(٤) الكهف: ٥.

(٥) الفتح: ١١.

أن من المعلوم أن بعض النصارى الذين قالوا أن المسيح ابن الله كانوا من اليهود^(١).

ويرى الفخر الرازى أن الله سبحانه لما حكم فى الآية المتقدمة على اليهود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله شرح ذلك فى الآية وذلك بأن نقل عنهم أنهم أثبتوا لله ابنا ومن جوز ذلك فى حق الإله فهو فى الحقيقة قد أنكر الإله.

وأيضاً بين تعالى أنهم بمنزلة المشركين فى الشرك وإن كانت طرق القول بالشرك مختلفة لأنه لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبوداً فإذا حصل هذا المعنى فقد حصل الشرك^(٢).

لكن يقال إن قول النصارى المسيح ابن الله قد اشتهر عنهم وصار من عقائدهم الأساسية أما اليهود فلا يقولون بذلك الآن والجواب أن الآية القرآنية تسمح لنا بأن نفهم أن اليهود فى قولهم "عزيز ابن الله" والنصارى فى قولهم "المسيح ابن الله" كانوا معاً يضاهئون قول الذين كفروا من قبل.

وكان المفسرون يرون أن المقصود بالذين كفروا هم مشركوا مكة حيث لم تكن الآثار قد كشفت بعد عن ديانات المصريين وغيرهم ممن قالوا ببنوة البشر لله، وأخذ العلماء يقارنون الآن - بين قول النصارى (المسيح ابن الله) وبين قول المصريين والهنود والبابليين بمثل ذلك فى آلهتهم.

ومن أجل ذلك ينبغى علينا أن لا نحكم الآن حكماً جازماً ونقول أن اليهود كانوا يقولون ببنوة عزيز على وجه مخالف لقول المسيحيين (المسيح ابن الله) فربما تظهر الاكتشافات - وثائق تبين حقيقة هذا القول الذى صدر من اليهود.

ولنا أن نفهم الآن اليهود فى قولهم (عزيز ابن الله) كانوا يضاهون قول الذين كفروا وأنهم بذلك خرجوا عن العقيدة الصحيحة وصاروا مثل الكفار فى تصورهم

(١) تفسير المنار ج ١٠ ص ٢٨٨.

(٢) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٤.

لإله، بالإضافة إلى ما ستلقيه علينا الآية التالية بأهم اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله وأنهم بذلك مشركون.

٢ - اتخذ اليهود أحبارهم أرباباً من دون الله:

المقصود بالأحبار عند اليهود العلماء أو الفقهاء أو الكهنة أو ما يسمونهم الآن بالحاخامات ويراد بهم على وجه الإجمال رجال الدين الذين لهم حق التشريع فيحللون ويحرمون ويغيرون ويبدلون.

يذكر الإمام الفخر الرازي أن الله سبحانه وصف اليهود والنصارى في هذه الآية^(١) بضرب آخر من الشرك^(٢).

ويهمنا هنا أن نشير إلى اليهود فإذا كانوا قد قالوا "عزيز ابن الله" كما ورد في الآية السابقة فإنهم هنا اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله.

وقد بيّن سبحانه وتعالى أنهم باتخاذهم الأحبار أرباباً من دون الله يكونون قد أشركوا به حيث أنهم لم يؤمروا إلا بعبادة إله واحداً لا إله إلا هو وما داموا قد عصوا هذا الأمر واتخذوا الأحبار أرباباً من دون الله فإن الله سبحانه قد صرح بشركهم فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

يذكر الفخر الرازي أن الأكثرين من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم^(٣).

وينقل الحافظ ابن كثير عن كل من الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه لما بلغت دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام - وكان قد تنصر في الجاهلية - ثم حدث أن قدم على رسول الله ﷺ فدخل وهو يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: فقلت: أنهم لم يعبدوهم فقال

(١) الآية رقم ٣١ من سورة التوبة والتي أشرت إليها في بداية هذا البحث.

(٢) التفسير الكبير ج١٦ ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق ج١٦ ص ٣٧.

رسول الله ﷺ: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام - فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم^(١).

ونقل أيضًا عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما بمثل هذا^(٢).

وكذلك نقل القرطبي في تفسيره^(٣).

وذكر الفخر الرازي عن الربيع أنه قال قلت لأبي العالية كانت تلك الربوبية في بنى إسرائيل؟ فقال أنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأخبار فكانوا يأخذون - بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى^(٤).

وحاصل الكلام كما يقول الرازي أن تلك الربوبية يحتل أن يكون المراد منها أنهم قبلوا أنواع الكفر فكفروا بالله فصار ذلك جاريًا مجرى أنهم اتخذوهم أربابًا من دون الله ويحتمل أنهم أثبتوا في حقهم الحلول والاتحاد^(٥).

ولعل اتحاذ اليهود أبحارهم أربابًا من دون الله يتجلى أعظم ما يتجلى في تقديسهم للتمود وتفضيلهم ما جاء فيه من أقوال أبحارهم على أحكام الله أن وجدت لديهم.

فالتلمود يعتبر في نظر اليهود كتابًا مقدسًا كالتوراة (الأسفار الخمسة) لكن إذا أمعن الإنسان النظر، رأى أن اليهود أو بعضهم يعتبرون التلمود أفضل من التوراة ولهم في ذلك أقوال واضحة وصريحة فوق ما هي عليه من شطط.

ومن ذلك مثلاً قولهم أنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة

(١) راجع تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٩.

(٣) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٢٠.

(٤) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٧.

(٥) المصدر السابق ج ١٦ ص ٣٨.

فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء بشريعة موسى أو دعوة بعض أحبارهم إلى الانتباه لأقوال - الحاخامات أكثر من الانتباه لشريعة موسى .

بل لقد ذهب الغلو ببعضهم إلى حد القول بأن من قرأ في التوراة بدون المشنا والجمارا (أى التلمود) فليس له إله .

ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت أما من يحتقر أقوال التوراة فإنه لا ينال عقاباً .

وجاء في كتاب يهودى اسمه (كرافت) مطبوع فى سنة ١٥٩٠ م .

أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، لأن أقوالهم هى قول الله الحى، فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس فصدقه .

وجاء فى إحدى صفحات التلمود أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وأنه وقع خلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله - جل سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - مما اضطر معه سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بخطئه كما يزعمون .

وقال أحد علماء اليهود " مخافة الحاخامات هى مخافة الله " .

وقد زعم أحد حاخاماتهم " أن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها فى السماء !! .

وذكر فى التلمود أن الحاخامات المتوفين مكلفون بتعليم المؤمنين فى السماء .
ووردت فى التلمود العبارات الآتية :

من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية، وقال الحاخام مناخم فى أقوال الحاخامات المناقض بعضها لبعض إنها كلام الله مهما وجد فيها من تناقض فمن لم يؤمن بها أو قال أنها ليست أقوال الله فقد أخطأ فى حقه تعالى .

وذكر في كثير من كتب اليهود أن أقوال الحاخامات المناقضة بعضها لبعض منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جنهم وبئس المصير.

فهم يعتقدون أن لحاخاماتهم سلطة إلهية وأن كل أقوالهم صادرة من الله وبذلك فإنهم معصومون من الخطأ^(١).

بل لعل مصارعة يعقوب للرب - في زعمهم - هي التي أكدت الانتصار الإنسانى على الله - سبحانه - في أذهانهم^(٢).

وهكذا يتبين لنا من هذه الأقوال أن اليهود يعظمون أحبارهم ويرفعون أقوالهم فوق درجة الوحي الإلهي - إذا وجد لديهم - والكلام النبوي أن توفر عندهم، ونستعيز بالله من هذا التطاول الشديد على الله وعلى أنبيائه.

ومن المعروف أن التلمود يحتوى على عقائد وشرائع وعبادات اليهود، وأنهم ينقادون تمامًا لتعليم التلمود وما يحتوى عليه.

وعلى ذلك هم قد اتخذوا أحبارهم أربابًا من دون الله ونسوا ما أمرهم به من أن يعبدوا إلهًا واحدًا وصدق الله تعالى وتنزه سبحانه عما يشركون.

* * *

(١) راجع هذه الأقوال وغيرها في كتاب "روهلنج" عقائد اليهود على حسب التلمود ص ٥٠ - ٥٣ وهو الجزء الأول من كتاب "الكنز المصود في قواعد التلمود، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله - دار القلم دمشق ١٩٨٧ م.

وكتاب د/ صبرى جرجس: التراث اليهودي الصهيوني ص ٩١ وإسرائيل والتلمود ص ٦٥، ومن التلمود ص ١٩ - ٢٣، هدية منبر الإسلام أغسطس ١٩٦٧ م، واليهودية ص ٢٧٤، وخطر اليهودية ص ٧٤.

(٢) إسرائيل والتلمود ص ٦٥ - ٦٦.

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث

obeikandi.com

أهم نتائج البحث

١ - بيّن لنا القرآن الكريم أن الرسالة التي جاء بها الأنبياء إلى بنى إسرائيل كانت قائمة على توحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة شأنها في ذلك شأن سائر الرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد "صلى الله عليه وسلم"، فقد كان دينهم جميعاً هو الإسلام حيث أنه الدين المقبول عند الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

٢ - أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، وأمره أن يحكم بينهم بما أنزل فيه من الحق وأن لا يتبع أهواء الذين أوتوا الكتاب، ومن ثم فإن القرآن الكريم هو الحكم الفيصل في عقائد أهل الكتاب.

٣ - من الخطأ أن نطلق على اليهودية أنها ديانة سماوية حيث أنها دين اليهود وهى غير مطابقة مع ما جاء بها سينا موسى عليه السلام، ومن ثم فهى ليست دين موسى وإنما دينه هو الإسلام.

٤ - من خلال استقراء تاريخ اليهود تبين لنا أنهم عاشوا أغلب فترات تاريخهم في تفكك شامل وفوضى كاملة وتفرق شديد، وأن الفترة التي توحدوا فيها كانت في عهدي داود وسليمان عليهما السلام إلا أنها سرعان ما انتهت وعاد اليهود إلى حياة الانقسام والشقاق والتطاحن.

٥ - تبين لنا من خلال البحث أن اليهود قضوا أغلب فترات تاريخهم تحت سياط الرق والاستعباد ورزحوا تحت نير التعذيب والاضطهاد وشربوا من كأس الذل والهوان فقد اضطهدوا أثناء مقامهم بمصر، وعانوا مرارة التيه والبؤس في البرية واستذلوا في عصر القضاة، ثم وقعوا تحت قبضة الآشوريين حتى قضوا على المملكة السامية وكان السبي الآشوري.

ثم تسلط عليهم البابليون حتى أسقطوا المملكة الجنوبية ووقع السبي البابلي.

ثم انتقلوا إلى حكم الفرس ومن بعدهم إلى الاضطهاد اليوناني ووقع الشتات الهليني ثم كان الاضطهاد الروماني والشتات الأخير.

٦ - ظهر لنا أيضًا من البحث أن اليهود قد اختلطوا بالشعوب الوثنية - سواء في حالة السلم أو الحرب - وتزاوجوا معهم وانخرطوا فيهم، وتأثروا بهم فعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم، وهذا يعكس سرعة انقيادهم للوثنيين وشدة تقليدهم للآخرين.

٧ - تبين لنا أيضًا فقدان اليهود وتضعيهم للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، ثم حين عثروا على أجزاء منها قاموا بإخفاء بعضها وحرفوا بقية الأجزاء وأخذوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله.

٨ - تبين لنا أيضًا أن الأسفار الخمسة في صورتها الحالية ليست هي التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وأن نسبة هذه الأسفار إلى سيدنا موسى نسبة خاطئة وباطلة وقد برهن على بطلانها كثير من العلماء القدامى منهم والمحدثين المسلمين منهم وغير المسلمين.

٩ - تبين لنا أيضًا أن عزرا الكاتب هو الذي قام - بمساعدة عدد من الكهنة -

بتأليف هذه الأسفار الخمسة وتجميعها من مصادر مختلفة، ووثائق مباحنة، وجمع أيضًا بعض أسفار العهد القديم.

١٠ - تين لنا أيضًا أن نسبة بقية أسفار العهد القديم إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة، وأن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعـم بلا دليل، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها وإذا ما كتبوا جزء منها فإنه قد حرف أو زيد عليه وتم تبديله، فليس هناك أدنى ثقة في تلك النسبة المزعومة، بل إن كثيراً من هذه الأسفار لا يعرف مؤلفوها ولا زمن تأليفها.

١١ - تين لنا أيضًا أن اليهود بطبيعتهم المادية كانوا يميلون إلى الوثنية ويغلب عليهم الاتجاه الوثني، ولذلك فإنهم كانوا سرعان ما ينجذبون إلى الوثنية وينزعون إليها بكل جوارحهم وأفئدتهم ويعكفون على طقوسها طيلة أيامهم وكانوا يستمسكون بها تمسكًا عجيبًا ويدافعون عنها بشتى الوسائل فاستغرقوا في أغلب عهودهم في حياة وثنية كاملة.

١٢ - تين لنا أيضًا أن اليهود كتبوا تاريخهم بأيديهم وخلعوا عليه صفة التقديس لكن علماء الآثار والمؤرخين سرعان ما كشفوا بطلان هذه الدعوى وفضحوا ما في هذا التاريخ من زعم وزيف وتحريف وتزوير وبينوا ما اشتمل عليه من تناقض ووثنية.

وكشف العلماء عن تأثير اليهود في كتابة أسفارهم بآداب وأفكار وعقائد الشعوب الوثنية القديمة، حيث تأثروا اليهود في كتابة بعض المزامير بالأدب المصرى القديم، وكذلك الأمر في سفرى الأمثال ونشيد الإنشاد، وإن كان الأخير قد استقى بجانب المصدر المصرى بالمصدرين البابلى واليونانى، وأما سفر الجامعة فقد تأثر كاتبه بالثقافة اليونانية، مع ملاحظة أن نسبة هذه الأسفار إلى داود وسليمان عليهما السلام نسبة باطلة، وهذا هو ما انتهى إليه نقاد الكتاب المقدس، وانتهيت كذلك إلى صحته بعد نقد النصوص الواردة فيها، وما اشتملت

عليه من الغزل الداعر، والكلام الماجن، والفسق المكشوف وخاصة سفر نشيد الإنشاد.

١٣ - تبين لنا أيضًا أن التوراة السماوية كانت تشتمل على قصص الخلق والغواية والطوفان، لكن اليهود خلطوا بين نصوص الوحي الخاصة بهذه القصص وبين ما اطلعوا عليه من الثقافات الوثنية القديمة سواء في كنعان أو في بابل فشوهوا النصوص الأصلية لهذه القصة حتى زالت عنها صفة الوحي واعتراها كثير من التناقضات والاختلافات واشتملت على أفكار وعقائد وتصورات وثنية.

١٤ - ثبت لنا بالأدلة القاطعة من خلال نصوصهم الصريحة انحراف اليهود عن تنزيه الذات العلية الذي جاء به الوحي واتجهوا إلى التشبيه والتجسيم.

فتصوروا الله سبحانه في صورة حسية ووصفوه بصفات بشرية لا تليق بذاته المقدسة ونسبوا إليه من الأقوال والأفعال ما لا يمكن النطق به وهو ما عرضنا له بالتفصيل في هذه الرسالة، ومن ثم فإن اليهود مجسمون مشبهون واتجاههم إلى التجسيم والتشبيه واضح في نصوصهم وفي تصوراتهم.

١٥ - تبين لنا أيضًا أن اليهود لم يستجيبوا في أغلب تاريخهم القديم - لدعوة التوحيد التي جاء بها الأنبياء أنهم تصوروا الله بصورة قبلية فاتخذوا إلهًا قبلًا أو قوميًا خاصًا بهم مع الاعتراف بآلهة أخرى للشعوب الوثنية.

ومن ثم كان من السهل أن يتخذوا آلهة هذه الشعوب وأن يعبدوها من دون الله فعبدوا آلهة المصريين والكنعانيين، والأشوريين، والبابليين وغيرهم.

١٦ - أن الله سبحانه وتعالى قد أعلن عن كفرهم وشركهم في كثير من آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(١)

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾^(١).

﴿ وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾^(٢).

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٣).

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤).

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) البقرة: ٩٣.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) التوبة: ٣١.

obeikandi.com

فهرس
المصاور والمراجع

obeikandi.com

أهم المصادر والمراجع^(١)

لقد قمت بتقسيم المراجع والمصادر حسب مؤلفيها إلى مؤلفين مسلمين ومؤلفين غير مسلمين متبعاً في هذا الترتيب الأبجدي^(٢).

ويدخل في ذلك المطبوعات والمخطوطات والكتب المؤلفة بالعربية إلى جانب المترجمة إليها من اللغات الأخرى:

- القرآن الكريم.

- السنة النبوية الشريفة.

أولاً - مؤلفون مسلمون:

إبراهيم خليل أحمد:

١ - إسرائيل فتنة الأجيال (العصور القديمة): نشر مكتبة الوعي العربى، القاهرة ١٩٦٩ م.

٢ - إسرائيل والتلمود: دراسة تحليلية: نشر مكتبة الوعي العربى، القاهرة ١٩٨٣ م.

أبكار السقاف:

٣ - إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: نشر عالم الكتب القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.

(١) هناك مصادر لم أثبتتها في هذه القائمة ورأيت الاكتفاء بإيرادها بين ثنايا الكتاب.

(٢) اعتمدت في هذا الترتيب على شهرة المؤلف سواء كانت هذه الشهرة راجعة إلى اسمه أو لقبه أو كنيته.

د/ أحمد بدوى:

٤ - فى موكب الشمس: الجزء الثانى فى تاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م. لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة.

د/ أحمد شلبى:

٥ - اليهودية: رقم (١) من سلسلة مقارنة الأديان مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م.

د/ أحمد فخرى: (أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم بآداب القاهرة).

٦ - الأدب المصرى القديم: بحث ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية الفرعونية - دار النشر والتوزيع - مكتبة النهضة المصرية: وزارة الثقافة والإرشاد القومى الإدارة العامة للثقافة.

٧ - دراسات فى تاريخ الشرق القديم - ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

٨ - مصر الفرعونية: موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م - ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣م.

د/ أحمد عبد الحميد يوسف:

٩ - مصر فى القرآن والسنة - العدد ٣٧٣ من سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر أكتوبر ١٩٧٣م.

مهندس: أحمد عبد الوهاب:

١٠ - إسرائيل حرفت الأنجيل والأسفار المقدسة - مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

١١ - فلسطين بين الحقائق والأباطيل - الناشر مكتبة وهبة القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٢ - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام: الناشر مكتبة وهبة رقم (٢) من سلسلة دراسة في الأديان الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

الباجي: (الشيخ الفقيه على بن محمد علاء الدين الباجي الشافعي ت ٧١٤هـ).

١٣ - على التوراة: تحقيق د/ أحمد حجازي السقا دار الأنصار القاهرة: الطبعة الأولى بمصر ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

بحر: (د/ محمد بحر عبد المجيد): أستاذ اللغات الشرقية بآداب عين شمس ووكيل الكلية سابقاً.

١٤ - اليهودية: ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت القاهرة.

د/ بدران محمد بدران:

١٥ - التوراة: العقل، العلم، التاريخ توزيع دار الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

د/ بركات عبد الفتاح دويدار:

١٦ - الحركة الفكرية ضد الإسلام: الطبعة الثانية ١٩٨٠م، دار التراث العربي للطبع والنشر - القاهرة.

١٧ - الوجدانية مع دراسة في الأديان والفرق رقم (١) من سلسلة في ميدان العقيدة: الناشر: مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.

ابن تيمية (الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية):

١٨ - جامع الرسائل تحقيق د/ محمد رشاد سالم.

١٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح مكتبة المدنى.

٢٠ - الصفدية تحقيق د/ محمد رشاد سالم.

د/ جمال حمدان:

٢١ - اليهود انثروبولوجيا: العدد (١٦٩) من المكتبة الثقافية فبراير ١٩٦٧،
بإشراف د/ محمد شكرى عياد: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة.

د/ جواد على:

٢٢ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الجزء الأول نشر: دار العلم
للملايين بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد الطبعة الثانية ١٩٧٦، وساعدت جامعة
بغداد على نشره.

الجوينى: (الإمام حجة الإسلام أبو المعالى إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ).

٢٣ - شفاء العليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل تقديم وتحقيق
وتعليق د/ أحمد حجازى السقا، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ/
١٩٧٩م.

حامد عبد القادر:

٢٤ - الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها، مراجعة وتعليق د/ عونى
عبد الرؤوف: دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة سنة ١٩٨١م.

٢٥ - الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها، مراجعة وتعليق د/ عونى
عبد الرؤوف: دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة سنة ١٩٨١م.

٢٥ - زرداشت الحكيم: حياته وفلسفته رقم (١) من سلسلة قادة الفكر فى
الشرق والغرب نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة ١٩٥٦م.

٢٦ - قصة الأدب الفارسى: الجزء الأول ويشمل تاريخ الأدب الفارسى من
مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية: ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر القاهرة
١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

ابن حزم: (الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ت ٤٥٦هـ).

٢٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: نسخة من خمسة أجزاء في مجلد واحد
نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٣٢١هـ وطبعة مكتبة السلام العالمية.

د/ حسن محمود:

٢٨ - العبرانيون: بحث ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم مكتبة مصر
بالقاهرة بدون تاريخ.

د/ حسين ذو الفقار صبرى:

٢٩ - إنما الأمور بأصولها: بحث في مجلة العدد ١٥١ سنة ١٩٦٩م.

٣٠ - توراة اليهود بين أصول متشعبة وسعى إلى انعقاد بحث في المجلة: العدد
١٥٧ من السنة الرابعة عشرة يناير ١٩٧٠م.

٣١ - آله موسى في توراة اليهود: بحث في المجلة العدد ١٦٣ من السنة الرابعة
عشر يوليو ١٩٧٠م.

د/ حسين فوزى النجار:

٣٢ - أرض الميعاد: دراسة علمية للوعد الإلهى لبنى إسرائيل بأرض الميعاد على
ضوء الكتب (الساوية) دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

حسن عمر حمادة:

٣٣ - آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظيمة التوراتية اليهودية وبين
الاستكشافات الأثرية العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، نشر وتوزيع دار
قتيبة - دمشق.

٣٤ - مخطوطات البحر الميت (قصة اللفائف الكتابية والنحاسية التوراتية في
كهوف قمران) دار منارات للنشر عمان - الأردن الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

حفنى ناصف (عصام الدين حفنى ناصف):

٣٥ - الأسطورة والوعى: دار العالم الجديد ١٩٧٦ م.

٣٦ - محنة التوراة على أيدي اليهود: مطبعة الرسالة بمصر الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

٣٧ - اليهودية فى العقيدة والتاريخ: دار العالم الجديد القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٧ م.

الحفنى: (د/ عبد المنعم الحفنى).

٣٨ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية نشر مكتبة مذبولى - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.

حماية: (د/ محمود على حماية).

٣٩ - ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان: دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

الخشاب: (د/ محمد عبد المحسن الخشاب) عضو المجمع العلمى المصرى.

٤٠ - تاريخ اليهود القديم فى مصر المجلد ٦٢ من رسائل المجمع العلمى المصرى - القاهرة ١٩٨٥ م.

الدباغ: (تقى الدباغ)

٤١ - آلهة فوق الأرض: دراسة مقارنة المجلد ٢٣ من مجلة سومر العراقية - بغداد ١٩٦٧ م، ص ١٠١ - ١٢٣.

٤٢ - البية الطبيعية والإنسان:

بحث ضمن كتاب حضارة العراق: الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ م.

دراز (د/ محمد عبدالله دراز):

٤٣ - الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: مطبعة السعادة بمصر
١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

دروزة: (محمد عزة دروزة).

٤٤ - تاريخ بنى غسرايل من أسفارهم: طبعة جديدة من منشورات المكتبة
العصرية للطباعة والنشر - صيدا بيروت ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م.

٤٥ - تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأطوار والأدوار والأقطار الجزء الثالث
١٣٧٨ - ١٩٥٩، الجزء الرابع ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ المطبعة العصرية للطباعة والنشر
صيدا لبنان.

٤٦ - عبرة من تاريخ فلسطين: منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت
١٩٧٨ م.

الرازى: (العلامة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن حسين الرازى).

٤٧ - التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب: نسخة فى ستة عشر مجلداً تحتوى على
اثنين وثلاثين جزءاً الطبعة الثالثة درا إحياء التراث العربى بيروت.

الدكتور رءوف شلبى:

٤٨ - آلهة فى الأسواق (دراسة فى الأهواء والنحل القديمة) مكتبة الأزهر
للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٤٩ - الدعوة الإسلامية فى عهدىها المكى: مناهجها وغاياتها درا القلم - الكويت،
الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

٥٠ - "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء" نشر مكتبة الأزهر القاهرة الطبعة
الأولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

الشيخ رحمت الله الهندي (١٢٢٣ - ١٣٠٨هـ).

٥١ - إظهار الحق: تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد حجازي السقا دار التراث العربى للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

والطبعة الجديدة دراسة وتحقيق وتعليق د/ محمد أحمد ملكاوى طبع وتشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض المملكة العربية السعودية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

الشيخ رشيد رضا: (محمد رشيد رضا).

٥٢ - تفسير القرآن الحكيم المسمى (تفسير المنار) نسخة من اثني عشر جزءاً في ست مجلدات نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.

د/ رشيد الناضورى: (أستاذ كرسى التاريخ القديم بجامعة الإسكندرية).

٥٣ - المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى: مصر، سومر، فلسطين، عيلام، المغرب، دار مكتبة الجامعة العربية - بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

الزغبى: (د/ فتحى محمد الزغبى).

٥٤ - غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا ١٩٨٤م وقد تم نشرها بنفس العنوان ١٩٨٨م.

٥٥ - القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهودية ١٤١٠هـ / ١٩٩١م.

- تنزيه نبي الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود فى العهد القديم والإسرائيليات - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

الزخشري: (أبو القاسم جار الله محمود الزخشري).

٥٦ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: نسخة من

أربعة أجزاء في أربعة مجلدات شركة مكتبة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٢هـ/
١٩٧٢م.

أبو زهرة: (الشيخ محمد أبو زهرة).

٥٧ - محاضرات في مقارنات الأديان: القسم الأول: الديانات القديمة طبع ونشر
دار الفكر العربي بدون تاريخ.

د/ سامي سعيد الأحمد: (أستاذ التاريخ القديم بكلية آداب بغداد).

٥٨ - الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية: العدد (١) من سلسلة منشورات
تاريخية مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٩م.

٥٩ - سلاسل بابل الحديثة (٥٢٦ - ٥٣٩ ق.م) بحث ضمن القسم الأول:
العراق القديم من كتاب العراق في التاريخ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣م.

٦٠ - السومريون وتراثهم الحضاري: العدد رقم (٣) من منشورات الجمعية
التاريخية العراقية بغداد ١٩٧٥م.

٦١ - العصر البابلي القديم: بحث ضمن القسم الأول: العراق القديم من كتاب
العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٣م.

سعفان: (د/ كامل سعفان).

٦٢ - اليهود تاريخاً وعقيدة سلسلة كتاب الهلال، عدد إبريل ١٩٨١م.

سليم حسن:

٦٣ - مصر القديمة: الجزء الخامس: السيادة العالمية والتوحيد - مطبعة دار
الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨م.

٦٤ - مصر القديمة: الجزء السابع (عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث مطبعة دار
الكتب المصرية ١٩٥٠م).

٦٥ - مصر القديمة: الجزء التاسع: نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة على تاريخ العبرانيين مطبعة جامعة فؤاد الأول مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٢ م.

سليمان مظهر:

٦٦ - قصة الديانات: دار الوطن العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ.

الإمام المهتدى السموال بن يحيى المغربى ت ٧٥٠ هـ.

٦٧ - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤيا النبی صلى الله عليه وسلم تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد عبد الله الشرقاوى الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م دار الهداية القاهرة.

سوسة (د/ أحمد سوسة).

٦٨ - تاريخ حضارة وادى الرافدين الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد بدون تاريخ.

٦٩ - مفصل العرب واليهود فى التاريخ: منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق الطبعة الخامسة دار الحرية للطباعة بغداد توزيع الدار الوطنية للتوزيع ١٩٨١ م.

سيد قطب:

٧٠ - فى ظلال القرآن: نسخة فى ست مجلدات: دار الشروق بيروت القاهرة، الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٧١ - خصائص التصور الإسلامى ومقوماته دار الشروق القاهرة/ بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

الشامى (د/ رشاد عبد الله الشامى).

٧٢ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية العدد ١٠٢ من سلسلة

عالم المعرفة إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت - رمضان
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

أبو شهبة (د/ محمد بن محمد أبو شهبة).

٧٣ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير الكتاب الرابع في السنة
الرابعة عشرة من سلسلة البحوث الإسلامية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ).

٧٤ - الملل والنحل: نسخة من جزئين بتحقيق محمد سيد كيلاني مكتبة ومطبعة
مصطفى الحلبي ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

شوقي عبد الحكيم:

٧٥ - الفولكلور والأساطير العربية دار ابن خلدون الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

الطبري: (أبو جعفر بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ).

٧٦ - تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن حققه وعلق حواشيه محمود
محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر الطبعة
الثانية، والطبعة الكاملة نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

طه باقر:

٧٧ - ديانة البابليين والآشوريين: بحث في المجلد الثاني من مجلة سومر - بغداد
١٩٤٦م من ص ١ - ١٩، ومن ص ١٧٩ - ١٩٦.

٧٨ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: الجزء الأول الوجيز في تاريخ حضارة
وادي الرافدين: منشورات دار البيان بغداد (٥٣) دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة
الأولى ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٧٩ - ملحمة كلكاش وقصص أخرى عن كلكاش والطوفان دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام العراقية بغداد.

طه باقر وبشير فرنسيس:

٨٠ - الخليفة وأصل الوجود المجلد الخامس من مجلة سومر بغداد ١٩٤٩ من ص ١-٣٦ وص ١٧٥-٣١٤.

٨١ - ملحمة جلجامش والطوفان: المجلد السادس من مجلة سومر بغداد ١٩٥٠ ص ٣٢-٨، ١٤٣-١٩١.

ظاظا (د/ حسن ظاظا).

٨٢ - إسرائيل كفصيلة خاصة من فصائل المعسكر الاستعماري بحث من كتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل بالاشتراك مع د/ عائشة راتب و د/ محمد فتح الله الخطيب.

الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية القاهرة ١٩٧١م.

٨٣ - الساميون ولغاتهم: مطبعة المصرى الإسكندرية ١٩٧١م.

٨٤ - الشخصية الإسرائيلية: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٨٥ - الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه).

الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٥م، والطبعة الجديدة بعنوان الفكر الديني اليهودي دار القلم دمشق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

ظفر الإسلام خان:

٨٦ - تاريخ فلسطين القديم (١٢٢٠ق.م - ١٣٥٩م) منذ أول غزو يهودى حتى آخر غزو صليبي دار النفائس الطبعة الرابعة ١٩٨٤ بيروت.

٨٧ - التلمود تاريخه وتعاليمه: دار النفائس - بيروت للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الثانية ١٩٧٢ م.

عامر سليمان:

٨٨ - جوانب من حضارة العراق القديم بحث ضمن القسم الأول:

العراق القديم من كتاب العراق في التاريخ دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٣ م.
عبد الله التل:

٨٩ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية الطبعة الثانية دار القلم
بالقاهرة بدون تاريخ.

عبد الحكيم ذا النون:

٩٠ - تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية دار الكتاب العربي -
سورية الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

عبد الرزاق أحمد قنديل:

٩١ - الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي: دار التراث بالقاهرة بالاشتراك
مع مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

عبد الحميد زايد:

٩٢ - الشرق الخالد: مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور
حتى عام ٣٢٣ ق.م نشر دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٧ م.

٩٣ - القدس الخالدة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م.

د/ عبد العزيز صالح (عميد كلية الآثار الأسبق وأستاذ تاريخ مصر والشق
القديم بجامعة القاهرة).

٩٤ - الشرق الأدنى القديم: الجزء الأول: مصر والعراق الطبعة الرابعة مكتبة
الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م.

عبد العزيز عبد الحق حلمي:

٩٥ - مقدمة كتاب الرد الجميل للإمام الغزالي نشر مجمع البحوث الإسلامية
القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

عبد الكريم الخطيب:

٩٦ - الله ذاتا وموضوعاً: الكتاب الأول من سلسلة قضية الألوهية بين الفلسفة
والدين دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

عبد المنعم أبو بكر:

٩٧ - ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم مكتبة مصر - القاهرة بدون
تاريخ.

عبد الراجحي:

٩٨ - الشخصية الإسرائيلية: دار المعارف ١٩٦٨م مطبعة م. ب. الإسكندرية.

عجاج نويهض:

٩٩ - بروتوكولات حكماء صهيون: المجلد الثاني (الجزء الثالث والرابع) الطبعة
الأولى دار الجليل للنشر عمان ١٩٨٤م.

عجبية (د/ أحمد على عجبية):

١٠٠ - الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه: رسالة ماجستير بكلية أصول
الدين بطنطا ١٩٨٥م.

عصفور (د/ محمد أبو المحاسن عصفور).

١٠١ - معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

العقاد (عباس محمود العقاد).

١٠٢ - الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية دار المعارف بمصر الطبعة السادسة
١٩٦٩م.

١٠٣ - إبراهيم أبو الأنبياء: منشورات المكتبة العصرية: بيروت صيدا ١٩٨١م.

١٠٤ - إبليس: بحث في تاريخ الخير والشر وتميز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم دار نهضة مصر ١٩٨٥م.

١٠٥ - الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

١٠٦ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: دار نهضة مصر طبعة جديدة بدون تاريخ.

١٠٧ - الضحية في مقارنة الأديان: بحث في مجلة منبر الإسلام العدد ١٢ السنة ٢٠ ذى الحجة ١٣٨٢هـ مايو ١٩٦٣م.

١٠٨ - مطلع النور أو طوابع البعثة المحمدية دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٠م.

عوف (عبد الرحمن على عوف).

١٠٩ - عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية ١٩٧٤م.

عياد (د/ محمد كامل عياد).

١١٠ - تاريخ اليونان: الجزء الأول: الطبعة الثالثة دمشق ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

غلاب (محمد غلاب).

١١١ - الفلسفة الشرقية: الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ.

د/ فاروق إسماعيل:

١١٢ - الوثنية مفاهيم وممارسات: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥م.

الفاروقى (د/ إسماعيل راجى الفاروقى):

١١٣ - أصول الصهيونية فى الدين اليهودى نشر معهد الدراسات العربية العالية
١٩٦٣ / ١٩٦٤.

د/ فاضل عبد الواحد على:

١١٤ - ثم جاء الطوفان: بحث فى المجلد الواحد والثلاثين من مجلة سومر بغداد
١٩٧٥ م ص ٣ - ٣٧.

١١٥ - حضارة بلاد وادى الرافدين (أصالتها وتأثيرها فى بلدان الشرق الأدنى
القديم) بحث ضمن كتاب العراق فى التاريخ القسم الأول: العراق القديم دار
الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م.

١١٦ - السومريون والأكاديون: بحث ضمن القسم الأول: العراق القديم من
كتاب العراق فى التاريخ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣ م.

د/ فؤاد حسنين على:

١١٧ - إسرائيل عبر التاريخ الجزء الأول: نشر دار النهضة العربية مطبعة الرسالة
بدون تاريخ.

١١٨ - التوراة عرض وتحليل طبعه ١٩٤٦ م.

١١٩ - التوراة الهيروغليفية: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة بدون
تاريخ.

١٢٠ - فلسطين العربية: معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث
والدراسات الفلسطينية ١٩٧٣ م.

١٢١ - المجتمع الإسرائيلى حتى تشريده: نشر معهد الدراسات العربية العالية
١٩٦٦ مطبعة الرسالة القاهرة.

١٢٢ - من الأدب العبرى: نشر معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣ م.

١٢٣ - اليهودية واليهودية المسيحية: معهد البحوث والدراسات العربية
١٩٦٨م.

فؤاد محمد شبل:

١٢٤ - إخناتون رائد الثورة الثقافية: العدد (١) من سلسلة قادة الفكر: الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٢٥ - دور مصر في تكوين الحضارة: العدد ٢٧٠ من سلسلة المكتبة الثقافية
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء):

١٢٦ - تاريخ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر الجزء الأول من المجلد الأول
طبعة ١٩٣٥م، نسخة قديمة بدار الكتب تحت رقم ٥٩٠٢.

د/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله:

١٢٧ - اليوم الآخر بين الأديان الثلاثة: اليهودية، المسيحية والإسلام: رسالة
ماجستير بكلية أصول الدين بطنطا ١٤٠٧هـم ١٩٨٧م، وقد تم نشرها في كتاب
بنفس العنوان بدار الوفاء ١٩٩١م.

فوزي رشيد:

١٢٨ - المعتقدات الدينية: بحث في الديانة العراقية القديمة ضمن كتاب حضارة
العراق - الجزء الأول، دار الحرية للطباعة - بغداد.

القرافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ت ٦٨٤هـ):

١٢٩ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: تقديم وتحقيق وتعليق
د/ بكر زكي عوض: رقم (١) من سلسلة مقارنة أديان كلية أصول الدين القاهرة
١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي):

١٣٠ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام.

تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد حجازى السقا - دار التراث العربى، القاهرة ١٩٨٠م.

١٣١ - الجامع لأحكام القرآن: نسخة من عشرين جزءاً في عشرة مجلدات طبعة وزارة الثقافة المصورة عن طبعة دار الکت بنشر دار الکتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ):

١٣٢ - تفسير القرآن العظيم نسخة من أربعة أجزاء في أربعة مجلدات طبعة عيسى الحلبي القاهرة بدون تاريخ.

د/ محمد أحمد محمود حسن:

١٣٣ - مصر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة: دار المعارف ١٩٨٠م.

١٣٤ - اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة وإلى اليوم مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٥م.

محمد إسماعيل على السيد:

١٣٥ - مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: دراسة في إطار القانون الدولي العام الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥م.

محمد بديع شريف:

١٣٦ - مدخل لدراسة مطاعم اليهود في فلسطين قديماً وحديثاً معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣م.

محمد جابر عبد العال الحينى:

١٣٧ - فى العقائد والأديان (الديانات الكبرى المعاصرة) سلسلة دراسات إسلامية: الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ١٩٧١م.

محمد حسنى عبد الحميد:

١٣٨ - أبو الأنبياء إبراهيم الخليل: طبع ونشر دار سعد بمصر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

د/ محمد شفيق غربال:

١٣٩ - تكوين مصر: وزارة الإرشاد القومى نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.

محمد صبرى:

١٤٠ - التلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع نشر مؤسسة دار الهلال ١٩٧٤م.

د/ محمد عبد القادر محمد:

١٤١ - الديانة فى مصر الفرعونية: دار المعارف بدون تاريخ.

١٤٢ - الساميون فى العصور القديمة: دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٨م المطبعة العالمية.

المسىرى (د/ عبد الوهاب محمد المسيرى):

١٤٣ - الأقليات اليهودية بين التجارة والإدعاء القومى معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥م.

مصطفى حمزة:

١٤٤ - تاريخ اليهود العبرانيين منذ أقدم الأزمنة حتى قيام مملكة داود أو أصل اليهود ومبادئ الأشياء، الجزء الأول - دار فجر الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

د/ مصطفى كمال عبد العليم:

١٤٥ - اليهود في مصر في عصرى البطالة والرومان مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعونى: الطبعة الأولى ١٩٦٨م، ملتزم الطبع والنشر مكتبة القاهرة الحديثة.

منى ناظم محمد الدبوسى:

١٤٦ - فكرة الخلاص عن اليهود: منذ فترة العهد القديم حتى العصر الحديث رسالة دكتوراه بقسم اللغات الشرقية بآداب عين شمس ١٩٨٣م.

١٤٧ - المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الإسرائيلية رقم (١) من سلسلة (نحن وهم) سلسلة ثقافية قومية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر بدولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبى).

مهران (د/ محمد بيومى مهران):

١٤٨ - دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة: بحث فى مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض العديد من الخامس ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٣٨٣ - ٤٥٥.

١٤٩ - دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزءان السابع والثامن: إسرائيل: الكتابان الأول والثانى: التاريخ الإسكندرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

الجزءان التاسع والعاشر: إسرائيل: الكتابان الثالث والرابع (الحضارة) الإسكندرية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٥٠ - النبوة والأنبياء عند بنى إسرائيل، مطبعة الرشاد - الإسكندرية ١٩٧٨م.

المودودى (الإمام أبو الأعلى المودودى):

١٥١ - الحجاب نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

موريس بوكاي^(١):

١٥٢ - القرآن الكريم التوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - دار المعارف - الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م.

- ما أصل الإنسان؟: إجابات العلم والكتب المقدسة: قام بترجمته إلى العربية ونشره مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
النجار (الشيخ عبد الوهاب النجار):

١٥٣ - قصص الأنبياء: مكتبة دار التراث - القاهرة بدون تاريخ المطبعة العربية الحديثة.

الشيخ نسيب وهيب الخازن:

١٥٤ - من الساميين إلى العرب: منشورات مكتبة الحياة بيروت لبنان بدون تاريخ.

الشار (د/ على سامي النشار وعباس الشربيني):

١٥٥ - الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية الناشر: منشأة المعارف الإسكندرية.

نصحي (د/ إبراهيم نصحي):

١٥٦ - تاريخ مصر في عصر البطالة: الجزء الأول: الطبعة السادسة: القاهرة ١٩٨٤، الجزء الثاني: الطبعة الخامسة ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١ م.

نعناع (محمود نعناع):

١٥٧ - المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل من ظهور إبرام حتى سقوط يهوذا مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م.

(١) كتب المؤلف هذا الكتاب ونشره قبل أن يعلن إسلامه مؤخرًا، وقد وضعته بين المؤلفين المسلمين باعتبار ما هو عليه الآن.

الهاشمى (محمد فؤاد الهاشمى):

١٥٨ - اليهود من الكتب المقدسة: العدد ٧٢ من سلسلة دراسات فى الإسلام التى تصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية السنة السابعة ١٥ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ - يونية ١٩٦٧ م.

هنداوى (إبراهيم موسى هنداوى):

١٥٩ - الأثر العربى فى الفكر اليهودى نشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣ م.

هوارى (محمد على حسن هوارى):

١٦٠ - الألوهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبى البابلى: رسالة دكتوراه بقسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣ م.

وافى (د/ على عبد الواحد وافى):

١٦١ - الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى: دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩ م.

١٦٢ - الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام - دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٤ م.

١٦٣ - غرائب النظم والتقاليد والعادات - دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٤ م.

١٦٤ - فقه اللغة دار نهضة مصر القاهرة.

١٦٥ - الطوطمية أشهر الديانات البدائية: العدد رقم ١٩٤، من سلسلة أقرأ فبراير ١٩٥٩ م - دار المعارف بمصر.

١٦٦ - اليهودية واليهود (بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى) دار نهضة مصر للطبع والنشر بدون تاريخ.

دكتور يحيى هاشم حسن فرغل:

١٦٧ - الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة: دار المعارف ١٩٨٤م.

١٦٨ - الفكر الإسلامى فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة: الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مطبعة الجبلاوى القاهرة.

ثانيًا: مؤلفون غير مسلمون:

١٦٩ - الكتاب المقدس: أى كتب العهد القديم والعهد الجديد طبعة البروتستانت التى أصدرتها دار الكتاب المقدس فى العالم العربى بدون تاريخ.

١٧٠ - الكتاب المقدس: العهد العتيق والعهد الجديد:

طبعة الأساقفة الكاثوليك منشورات دار المشرق توزيع المكتبة الشقية بيروت ١٩٨٦م وتحتوى هذه الطبعة على مقدمة لكل سفر.

١٧١ - الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة طبعة الآباء اليسوعيين منشورات دار المشرق وبيروت، توزيع المكتبة الشرقية بيروت إشراف جمعيات الكتاب المقدس المشرق ١٩٨٦م.

وتحتوى هذه الطبعة على مدخل إلى الكتاب المقدس، ومدخل إلى العهد القديم ومقدمة وشروح لكل سفر.

١٧٢ - التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية) ترجمة الكاهن السامر: أبو الحسن إسحاق الصورى، نشرها وعرف بها د/ أحمد حجازى السقا، الناشر: دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٧٣ - قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص
ومن اللاهوتيين.

هيئة التحرير: د/ بطرس عبد الملك، و د/ جون ألكساندر طمسن، والأستاذ
إبراهيم مطر.

من منشورات مكتبة المشعل في بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في
الشرق الأوسط الطبعة السادسة ١٩٨١ م.

كاتب مسيحي لاهوتي أمريكي الجنسية (لم يذكر المترجم اسمه).

١٧٤ - التوراة تاريخها وغايتها: ترجمة وتعليق سهيل ديب دار النفائس بيروت
الطبعة الثانية ١٣٩٧ / ١٩٧٧ م.

أرمان (أدولف أرمان):

١٧٥ - ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ترجمة
ومراعاة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد أنور شكرى ملتزم الطبع والنشر شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر بدون تاريخ، بإشراف وزارة المعارف
العمومية: إدارة الثقافة تاعامه.

استانلى كاسون:

١٧٦ - اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها: ترجمة عبد الحافظ معوض، بحث ضمن
المجلد الثانى من تاريخ العالم الذى نشره جون هامرتون، وأشرفت على ترجمته إلى
العربية فى سبعة مجلدات إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية: مكتبة النهضة
المصرية: الطبعة الثانية بدون تاريخ.

الأب إسحاق الساكا:

١٧٧ - معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى (العرب الآراميين،
العبرانيين) العدد ٩١ من مجلة العربى - يونيو ١٩٦٦ / صفر ١٣٨٦ هـ الكويت.

أندريه إيماروجانين أوبوليه:

١٧٨ - الشرق واليونان القديمة: المجلد الأول من كتاب تاريخ الحضارات العام بإشراف موريس كروزيه.

ترجمة: فريد م. داغر، وفؤاد ج. أبو ريجان منشورات عويدات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م.

١٧٩ - روما وإمبراطوريتها: المجلد الثاني من كتاب تاريخ الحضارات العام بنفس الإشراف والترجمة والطبعة والناشر.

أندريه بارو:

١٨٠ - بلاد اشور: نينوى وبابل: ترجمة وتعليق دكتور عيسى سلمان، وسليم طه التكريتي: منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية سلسلة الكتب المترجمة (٧٧) ١٩٨٠ م - دار الرشيد للنشر.

١٨١ - سومر: فنونها وحضارتها: ترجمة وتعليق: دكتور عيسى سلمان، وسليم طه التكريتي: دار الحرية للطباعة بغداد وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية بغداد ١٩٧٨ م.

أنيس فريجة:

١٨٢ - ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا) نشر الجامعة الأمريكية - بيروت لبنان ١٩٦٦ م.

أورسيل (ماسون أورسيل):

١٨٣ - الفلسفة في الشرق: ترجمة د/ محمد يوسف موسى: دار المعارف بمصر ١٩٤٧ م.

أولبرايت (وليم. ف. أولبرايت):

١٨٤ - آثار فلسطين: ترجمة د/ زكى اسكندر، د/ محمد عبد القادر محمد، مراجعة د/ سعاد ماهر.

الكتاب الحادى عشر من سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ /
١٩٧١م.

إيفارليسنر:

١٨٥ - الماضى الحى: (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة) ترجمة شاكى إبراهيم سعيد
مراجعة د/ محمد أبو المحاسن عصفور: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

إيليف (ج. هـ. إيليف):

١٨٦ - فارس والعالم القديم: بحث ترجمة محمد صقر خفاجة، ضمن كتاب
تراث فارس الذى أشرف على نشره أزج. أبرى - راجع الترجمة د/ يحيى الخشاب -
نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩م.

بارو (هـ. بارو):

١٨٧ - الرومان: ترجمة عبد الرازق يسرى راجعه د/ سهير القلماوى - العدد
٦١٢ من سلسلة الألف كتاب بإشراف الهيئة العامة للكتب والأجهزة التعليمية
بوزارة التعليم العالى ملتزم الطبع والنشر: دار نهضة مصر ١٩٦٨م.

بترى (سيرو. م. فلندرز بترى):

١٨٨ - الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة: ترجمة وعلق عليه وقدم له حسن محمد
جواهر، وعبد المنعم عبد الحليم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

براناتيس (الأب آى. بى براناتيس):

١٨٩ - فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية) إعداد زهدى الفاتح - دار
النفائس - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

برتراندرسل:

١٩٠ - (الفلسفة القديمة) الكتاب الأول من تاريخ الفلسفة الغربية ترجمة زكى

نجيب محمود، ومراجعة د/ أحمد أمين الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٩١ - (الفلسفة الكاثوليكية) الكتاب الثانى من تاريخ الفلسفة الغربية ترجمة زكى نجيب محمود، مراجعة د/ أحمد أمين - لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٦٨ م - القاهرة بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم.

برستيد (جيمس هنرى برستيد: أستاذ تاريخ الشرق فى جامعة شيكاغو):

١٩٢ - انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) نقله إلى العربية د/ أحمد فخرى ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى يوليو ١٩٥٥ م.

١٩٣ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى: ترجمة د/ حسن كمال، راجعه وصححه محمد حسنين الغمراوى بالطبعة الأولى ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩ م - مطبعة الأميرية بالقاهرة بإشراف وزارة المعارف العمومية.

١٩٤ - العصور القديمة: ترجمة داود قريان - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م).

١٩٥ - فجر الضمير: ترجمة د/ سليم حسن، مراجعة الأستاذ عمر الإسكندرى، والأستاذ على أدهم - نشر مكتبة مصر ورقم (١٠٨) من سلسلة الألف كتاب ١٩٨٠ م.

البستانى (المعلم بطرس البستانى):

١٩٦ - دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن وطلب) المجلدان الثالث والحادى عشر دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.

بنيامين فريدمان:

١٩٧ - يهود اليوم ليسوا يهودًا: ترجمة زهدى الفاتح: دار النفائس الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م بيروت.

د/ بولس بولس عياد (أستاذ مساعد للآثار المصرية والشرق القديم بجامعة كلورادو الأمريكية):

١٩٨ - الآراميون في مصر: منذ بداية ظهورهم في القرن السابع ق.م حتى اختفائهم في القرن الثاني ق.م مطبعة دار العالم العربى القاهرة ١٩٧٥م.

بولس حنا مسعد:

١٩٩ - همجية التعاليم الصهيونية: منشورات المكتب الإسلامى بيروت ١٩٦٩م.

تيودور جياناكوليس:

٢٠٠ - اليونان: شعبها وأرضها ترجمة محمد أمين رستم مراجعة د/ عز الدين فريد: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ونيويورك ١٩٦٣ - مكتبة النهضة المصرية.

ل. توماس هولد كروفت:

٢٠١ - الأسفار التاريخية: تعريب أدبية شكرى يعقوب، مراجعة القس سمير صادق أبسخيرون (الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية) دار الجيل للطباعة القاهرة ١٩٨٥م.

توملين (أ.و.ف. توملين):

٢٠٢ - فلاسفة الشرق: ترجمة عبد الحميد سليم مراجعة على أدهم: دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

توينبى (أرنولد توينبى):

٢٠٣ - تاريخ البشرية: الجزء الأول نقله إلى العربية د/ نقولا زيادة: الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥م.

ثروت أنيس الأسيوطى (أستاذ فى فلسفة القانون: نيويورك) (أستاذ مساعد بجامعة القاهرة).

٢٠٤ - نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية بنو إسرائيل: الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ.

جرجى زيدان:

٢٠٥ - العرب قبل الإسلام: طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د/ حسين مؤنس دار الهلال بدون تاريخ.

جرندى (ج. ب. جرندى):

٢٠٦ - الفرس إمبراطورية الشاه الأعظم: ترجمة عبد الفتاح صدقى، بحث ضمن المجلد الثانى من كتاب تاريخ العالم بإشراف ونشر جون هامرتون.

جلانفيل داونى:

٢٠٧ - أنطاكية القديمة: ترجمة وتقديم د/ إبراهيم نصحى، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ١٩٦٧ م.

د/ جورج بوست:

٢٠٨ - فهرس الكتاب المقدس وهو قاموس يستدل به من ألفاظ الكتاب المقدس على مواضيع آياته من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط الطبعة الخامسة ١٩٨١ م.

جورج رو:

٢٠٩ - العراق القديم: ترجمة وتعليق حسين علوان حسين مراجعة د/ فاضل

عبد الواحد على العدد ١٢٧ من سلسلة الكتب المترجمة منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٤ م.

جورج قرم:

٢١٠ - تعدد الأديان وأنظمة الحكم: دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة/ دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٩ م.

جون. أ. هامرتون:

٢١١ - العصر اليوناني المتأخر/ ترجمة الأستاذ فؤاد اندراوس ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم.

جينبير (شارل جينبير):

٢١٢ - المسيحية نشأتها وتطورها: ترجمة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود - دار المعارف ١٩٨١ م.

حبيب سعيد:

٢١٣ - أديان العالم: صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية طبعة ١٩٧٧ القاهرة.

٢١٤ - خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام: صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٥٩ م مطبعة النيل المسيحية.

٢١٥ - المدخل إلى الكتاب المقدس: صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بدون تاريخ المطبعة الفنية الحديثة.

حبيب فارس:

٢١٦ - صراع البرئ في بوق الحرية: ثلاثة أجزاء في مجلد واحد القاهرة يونيو ١٨٩١ م (دار الكتب ٢٧٨٨ تاريخ).

حتى (د/ فيليب حتى):

٢١٧ - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين: الجزء الأول ترجمة د/ جورج حدادا وعبد الكريم رافق إشراف د/ جبرائيل جبور نشر دار الثقافة بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت - القاهرة - بغداد - نيويورك ١٩٥٨ م.

٢١٨ - تاريخ العرب (مطول):

الجزء الأول ترجمة الدكتور (إدورد جرجى، د/ جبرائيل جبور دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٤٩ م.

٢١٩ - تاريخ لبنان من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة د/ أنيس فريجة مراجعة د/ نقولا زيادة إشراف د/ جبرائيل جبور دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م.

٢٢٠ - العرب (تاريخ موجز): دار العلم للملايين إعداد جبرائيل جبور الطبعة الرابعة ١٩٦٨ م.

٢٢١ - موجز تاريخ الشرق الأدنى: ترجمة د/ أنيس فريجة دار الثقافة بيروت لبنان مطبعة الغريب بيروت بدون تاريخ.

دريوتون (ايتين دريوتون وجاك فلندييه):

٢٢٢ - مصر: ترجمة عباس بيومي راجعه محمد شفيق غبريال (بك) وعبد الحميد الدواخلي نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

دونالد ر. دولي:

٢٢٣ - حضارة روما: ترجمة جميل يواقيم الذهبي، فاروق أبو زيد راجعه د/ صقر خفاجة دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٩ م.

دى بوج (و.ج دى بوج):

٢٢٤ - تراث العالم القديم: الجزء الأول ترجمة زكى سوس مراجعة د/ يحيى الخشاب، ودكتور صقر خفاجة العدد (٥٥٧) من سلسلة من الألف كتاب نشر دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع القاهرة ١٩٦٥م بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى.

ديلا بورت (ل. ديلا بورت):

٢٢٥ - بلاد ما بين النهرين (الحضارات البابلية والآشورية) ترجمة محرم كمال مراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر - العدد ٣٥ من سلسلة الألف كتاب إشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز.

الأب ديلي (الأستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية):

٢٢٦ - تاريخ شعب العهد القديم: ترجمة الأب جرجس ماردينى المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧١م.

ديورانت (ول وإيريل ديورانت):

٢٢٧ - قصة الحضارة (٢): الشرق الأدنى: الجزء الثانى من المجلد الأول، ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر أنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٦١م.

٢٢٨ - قصة الحضارة (٦) حياة اليونان: الجزء الأول من المجلد الثانى ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

٢٢٩ - قصة الحضارة (٧) الجزء الثانى من المجلد الثانى: حياة اليونان ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

٢٣٠ - قصة الحضارة (٨) الجزء الثالث من المجلد الثاني حياة اليونان: ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

٢٣١ - قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية: لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م.

٢٣٢ - قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م.

٢٣٣ - قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع: عصر الإيمان: ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥ م.

رالف لتون:

٢٣٤ - شجرة الحضارة: الجزء الثاني: ترجمة د/ أحمد فخرى - نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ونيويورك، مكتبة الأنجلو المصرية.

روبنسون (تيودور. هـ. روبنسون): الحائز على الدكتوراه في اللاهوت وأستاذ اللغات السامية في كلية الجامعة بكارديف.

٢٣٥ - إسرائيل في ضوء التاريخ: تصور الأيام الأولى من تاريخ الأمة اليهودية مستقاة من الكتاب المقدس والمصادر المعاصرة: بحث ضمن المجلد الثاني من كتاب تاريخ العالم نشره جون هامرتون.

روز (هـ. ج. روز):

٢٣٦ - الديانة اليونانية القديمة: ترجمة رمزي عبده جرجس مراجعة د/ محمد سليم سالم - نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٦٥ م - العدد رقم ٥٦٩٠ من سلسلة الألف كتاب.

روهلنج:

٢٣٧ - عقائد اليهود على حسب التلمود الجزء الأول من كتاب الكنز المرصود

في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله دار القلم دمشق، ودار العلوم بيروت
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

سبينوزا (باروخ سبينوزا):

٢٣٨ - رسالة في اللاهوت والسياسة: ترجمة وتقديم دكتور حسن حنفي مراجعة
دكتور فؤاد زكريا دار وهدان للطباعة والنشر بدون تاريخ طبعة مصورة عن طبعة
الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ستورات جونز:

٢٣٩ - روما وأسباب عظمتها فيما بعد: ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ
العالم ترجمة عثمان نويه.

سهيل ميخائيل ديب:

٢٤٠ - التوراة بين الوثنية والتوحيد: دار النفائس - بيروت الطبعة الثانية
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

يونيرون (سير. ج. سونيرون):

٢٤١ - كهان مصر القديمة: ترجمة زينب الكردي مراجعة د/ أحمد بدوي: الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

سيريل بايلي:

٢٤٢ - ديانة اللاتين ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم ترجمة محمد بكير
خليل بإشراف جون هامرتون.

شنودة (زكي شنودة المحامي):

٢٤٣ - المجتمع اليهودي: مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون تاريخ.

٢٤٤ - العصر الفرعوني: الجزء الرابع من موسوعة تاريخ الأقباط - الطبعة الأولى ١٩٦٦م مطبعة أطلس القاهرة.

٢٤٥ - العصر اليوناني: الجزء الخامس من موسوعة تاريخ الأقباط - الطبعة الأولى ١٩٦٦م مطبعة أطلس القاهرة.

٢٤٦ - الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية.

اليهود قبل المسيح مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٣م، ثم نشر للمؤلف هذا الجزء بنفس صفحاته تحت عنوان (اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة: كتابهم المقدس) الطبعة الأولى ١٩٧٤م. واطلعت على النسختين معاً.

شولتز (صموئيل شولتز):

٢٤٧ - العهد القديم يتكلم: ترجمة أدبية شكرى يعقوب مطبعة السلام القاهرة: نشر معهد المراسلة الدولي في بروكسيل ببلجيكا ١٩٨٤م.

د/ صبرى جرجس:

٢٤٨ - التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى: نشر عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٩٧٠م، القاهرة مطبعة نخيمر.

عاموس عبد المسيح:

٢٤٩ - دراسة فى عاموس: تعريب القس حارث قريضة دار الثقافة المسيحية الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

غوستاف لوبون:

٢٥٠ - اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى: نقله إلى العربية عادل زعير عيسى - البابى الحلبي وشركاه القاهرة ١٩٧٠م.

فارنل (لويس. فارنل):

٢٥١ - ديانة اليونانيين: ترجمة دريني خشبة ضمن المجلد الثانى من تاريخ العالم بإشراف جون هامرتون.

فرانسوا دوماس:

٢٥٢ - آلهة مصر: ترجمة زكى سوس: العدد رقم (١٠) من سلسلة الألف كتاب الثانى (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م).

فرانكفورت وآخرين:

٢٥٣ - ما قبل الفلسفة: الإنسان فى مغامراته الأولى: ترجمة جبرا إبراهيم جبرا: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م بيروت.

فرويد (سيجموند فرويد):

٢٥٤ - اليهودية فى ضوء التحليل النفسى (موسى والتوحيد) ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى - نشر وتوزيع الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٨ م.

فريزر (جيمس فريزر):

٢٥٥ - الفولكلور فى العهد القديم (التوراة):

الجزءان الأول والثانى ترجمة د/ نبيلة إبراهيم - الطبعة الثانية ١٩٨٢ م دار المعارف.

فوس (جرهاردوس فوس):

٢٥٦ - علم اللاهوت الكتابى: الإعلان الإلهى فى العهدين القديم والجديد: ترجمة د/ عزت زكى - الطبعة الأولى، دار الثقافة القاهرة ١٩٨٢ م، دار الجيل للطباعة.

كاترين هنرى:

٢٥٧ - التاريخ فى الكتاب: خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد: صدر عن دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر مطبعة النيل المسيحية بدون تاريخ.

كريمر (صموئيل نوح كريمر):

٢٥٨ - الأساطير السومرية: بحث ضمن كتاب أساطير العالم القديم الذى قام بتقديمه ونشره أيضًا ترجمة د/ أحمد عبد الحميد يوسف مراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢٥٩ - من ألواح سومر: ترجمة طه باقر مراجعة وتقديم د/ أحمد فخرى: نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة الخانجى بالقاهرة بدون تاريخ.

ابن كمونة (سعيد بن منصور بن كمونة اليهودى) القرن السابع الهجرى:

٢٦٠ - تنقيح الأبحاث للملثالث: اليهودية، المسيحية، الإسلام - توزيع دار الأنصار، القاهرة.

كونتنتو (ج. كونتنتو):

٢٦١ - الحضارة الفينيقية: ترجمة د/ محمد عبد الهادى شعيرة، راجعه د/ طه حسين من سلسلة المراجع الجامعية: إدارة الثقافة وزارة التربية والتعليم بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

الناشر: شركة مركز كتب الشرق الأوسط القاهرة بدون تاريخ.

كيتو (هـ. د. كيتو):

٢٦٢ - الإغريق: ترجمة عبد الرازق يسرى راجعه محمد صقر خفاجة، ملتزم

الطبع والنشر دار الفكر العربى ١٩٦٢م، بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى.

لانىجر (وليم لانىجر):

٢٦٣ - موسوعة تاريخ العالم الجزء الأول: أشرف على الترجمة د/ مصطفى زيادة: نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية.

ليواوينهايم:

٢٦٤ - بلاد ما بين النهرين: ترجمة سعدى فيض عبد الرزاق: دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام بغداد الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

ماير (د. ف. ب. ماير):

٢٦٥ - حياة إبراهيم (أو طاعة الإيمان): ترجمة القمص مرقس داود، ملتمزم النشر مكتبة المحبة - القاهرة ١٩٨٠م.

٢٦٦ - حياة أرميا (الكاهن والنبي) ترجمة القمص مرقس داود - مكتبة المحبة القاهرة ١٩٨١م.

٢٦٧ - حياة إيليا وسر قوته: نفس المترجم والناشر - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٨٠م.

٢٦٨ - حياة داود (الراعى - المرنم، الملك) نفس المترجم والناشر القاهرة ١٩٨٠م.

٢٦٩ - حياة صموئيل النبى: نفس المترجم والناشر الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٩م.

٢٧٠ - حياة يشوع وأرض الموعد: نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٨١م.

٢٧١ - حياة يعقوب: نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٨٠م.

٢٧٢ - حياة يوسف: نفس المترجم والناشر طبعة ١٩٧٨م.

متى هنرى:

٢٧٣ - تفسير هوشع، تعريب القمس مرقس داود - دار الثقافة المسيحية، طبعة ثانية منقحة ١٩٨٠ م.

٢٧٤ - نشيد الإنشاد: نفس المترجم مكتبة المحبة الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.
د/ مراد كامل:

٢٧٥ - الكتب التاريخية فى العهد القديم: نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م.

٢٧٦ - مصر ومجدها الغابر: ترجمة محرم كمال مراجعة د/ نجيب ميخائيل - العدد رقم (١٠٠) من سلسلة الألف كتاب نشرته لجنة البيان العربى ١٩٥٧ م.

المسلى (و.أ. ل. المسلى) (دكتوراه فى اللاهوت وأستاذ العبرية):

٢٧٧ - سقوط أورشليم وأهميته العالمية: بحث ضمن المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون.

مكارىوس (شاهين بك مكارىوس):

٢٧٨ - تاريخ الإسرائيليين: مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ م.

القس: منيس عبد النور:

٢٧٩ - إبراهيم السائح الروحى: دار الثقافة القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٩ م
مطبعة القاهرة الحديثة.

موسكاتى (سبيتينو موسكاتى):

٢٨٠ - الحضارات السامية القديمة: ضمن سلسلة روائع الفكر الإنسانى، ترجمة وزاد عليه: دكتور السيد يعقوب بكر، راجعه: دكتور محمد القصاص - نشر دار الرقى بيروت ١٩٨٦ م.

دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم:

٢٨١ - مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الأول: مصر الكتاب الأول: الطبعة الثانية ١٩٥٧م - مطبعة الإسكندرية الكتاب الثاني ١٩٥٨ - دار المعارف بمصر.

٢٨٢ - مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الثالث: الشرق الأدنى القديم: سورية (الفينيقيون والكنعانيون، الإسرائيليون، والفلسطينيون، الآراميون) دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

٢٨٣ - مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الرابع: الحضارة المصرية القديمة - الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢٨٤ - مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الخامس: الشرق الأدنى القديم: وادي الرافدين - بلاد الحثيين فارس: الطبعة الأولى ١٩٦٣م - دار المعارف: الإسكندرية.

٢٨٥ - مصر والشرق الأدنى القديم: حضارات الشرق القديم: العراق، فارس: ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بالإسكندرية - الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

نيلسن (د/ تيلف نيلسن):

٢٨٦ - الديانة العربية القديمة ضمن كتاب التاريخ العربى القديم ترجمه واستكماله د/ فؤاد حسنين على، راجعه د/ زكى محمد حسن طبع، ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - بإشراف وزارة التربية والتعليم قسم الترجمة إدارة الثقافة العامة بدون تاريخ.

هلير (ف.م. هلير):

٢٨٧ - مجمل تاريخ العالم: ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة - دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر المطبعة التعاونية بدمشق بدون تاريخ.

هووك (صموئيل هنرى هووك):

٢٨٨ - منعطف المخيلة البشرية (بحث فى الأساطير) ترجمة: صبحى حديدى،
الطبعة الأولى ١٩٨٣م - الناشر دار الحوار للنشر و التوزيع: سورية.

ولز (هـ. ج. ولز):

٢٨٩ - معالم تاريخ الإنسانية: المجلد الثانى فى تاريخ الإغريق والرومان ومن
عاصروهما، ويحتوى على الكتابين الرابع والخامس، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد
- الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٩٠ - موجز تاريخ العالم: ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون
نجا، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨م.

ولفنسون (إسرائيل ولفنسون):

٢٩١ - تاريخ اللغات السامية: طبعة دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى
١٩٨٠م.

وهيب كامل:

٢٩٢ - هيرودوت فى مصر (القرن الخامس ق.م) قام بنقل هذا الكتاب من
اليونانية: طبع ونشر دار المعارف بمصر.

وورثى (م.ب. تشارلز وورث):

٢٩٣ - الإمبراطورية الرومانية: ترجمة رمزى عبده جرجس، راجعه د/ محمد
صقر خفاجة - العدد رقم ٣٦٠ من سلسلة الألف كتاب طبع ونشر دار الفكر
العربى ١٩٦١م.

معاجم:

٢٩٤ - القاموس المحيط وللفيروز آبادى: نشر مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة
الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٩٥ - لسان العرب لابن منظور: طبعة جديدة نشرتها دار المعارف حديثاً في ست مجلدات.

٢٩٦ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: جزآن نشر مجمع اللغة العربية - القاهرة (التراث للجميع).

٢٩٧ - معجم العلوم الاجتماعية: تصدير ومراجعة د/ إبراهيم مذكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

٢٩٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث بالقاهرة، توزيع مكتبة المعارف بالرياض.

٢٩٩ - المعجم الوسيط: قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار - مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٨٠م - نشر دار الدعوة.

تعريف بالمؤلف

- ١ - ولد في ٢ / ٩ / ١٩٥٧ م بقرية شونى مركز طنطا محافظة الغربية ج. م. ع.
- ٢ - تلقى تعليمه الابتدائى وحفظ القرآن الكريم بالقرية ثم التحق بالأزهر بطنطا فى العام الدراسى ١٩٦٩ / ١٩٧٠ م.
- ٣ - حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الثانوى فى العام الدراسى ١٩٧٥ م / ١٩٧٦ وجاء ترتيبه الثانى - بتوفيق الله - على مستوى الجمهورية.
- ٤ - فاز بلقب الالب المثلث الأول على مستوى الكلية والثالث على مستوى الجامعة عام ١٩٨٠ م.
- ٥ - حصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا فى العام الدراسى ١٩٧٩ / ١٩٨٠ م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وكان ترتيبه الأول (بتقدير ممتاز) - بفضل الله - مدة سنوات الدراسة الأربع.
- ٦ - صدر قرار بتكليفه معيدًا فى قسم مقارنة الأديان بالكلية بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٨٠ م.
- ٧ - حصل على تقدير جيد جدًا فى مرحلة الدراسات العليا وكان ترتيبه الأول فى السنة الأولى عام ١٩٨١ م وفى السنة الثانية عام ١٩٨٢ م.
- ٨ - حصل على درجة التخصص (الماجستير) بقسم مقارنة الأديان من كلية

أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ٢٥ يناير ١٩٨٥م بتقدير "ممتاز"، وكان له شرف الحصول على أول ماجستير تمنحه الكلية.

٩ - صدر قرار رئيس الجامعة بتعيينه مدرّساً مساعداً بقسم مقارنة الأديان بالكلية في ١٦ / ٢ / ١٩٨٥م.

١٠ - حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) بقسم العقيدة والفلسفة، وكان له شرف الحصول على أول دكتوراه تمنحها الكلية.

١١ - صدر قرار مجلس الجامعة بتعيينه مدرّساً بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ١٧ / ١٠ / ١٩٨٧م.

١٢ - قام - بتوفيق الله - بأداء خطبة الجمعة في مسجد المعمورة الجامع بالإسكندرية منذ شهر سبتمبر ١٩٨١م إلى سبتمبر ١٩٩٠م.

١٣ - أعيّر إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية في سبتمبر ١٩٩٠م.

١٤ - حصل على درجة "أستاذ مساعد" بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا في ٦ / ١١ / ١٩٩١م.

١٥ - وافقت اللجنة العلمية الدائمة لقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر على ترقيته إلى درجة "أستاذ" في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٦م، ثم وافق مجلس الجامعة على ذلك في ١ / ١ / ١٩٩٧م.

١٦ - أعيّر إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت بدولة الكويت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣م.

١٧ - أعيّر إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٣م.

١٨ - تولى رئاسة قسم أصول الدين بجامعة الشارقة مع بداية عام ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م.

كتب وبحوث للمؤلف

أولاً: الكتب:

- ١- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية، المسيحية، المجوسية) أول رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا (يناير ١٩٨٥) ثم طبعت في كتاب بنفس العنوان عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٢- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية: أول دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا (أغسطس ١٩٨٧ م) ثم طبعت في كتاب بنفس العنوان في عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م نشر دار البشير بطنطا.
- ٣- القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، ومعه نص كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود "للحاخام ناوفيطوس، مطابع غباشى بطنطا ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٤- تنزيه نبي الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٥- قصة الذبيح عند أهل الكتاب والمسلمين "عرض ونقد" دار البشير بطنطا ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٦- (فلسفة الأخلاق عند مسكويه: دراسة تحليلية مقارنة لأهم مصادرها وأبرز جوانبها ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥).
- ٧- دراسات ونصوص في العقيدة الإسلامية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٨- ملل ونحل قديمة ومعاصرة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٩- مباحث ونصوص في الفلسفة الإسلامية: الجزء الأول مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م - بحوث في العقيدة الإسلامية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ ن.

١٠- دراسات في التصوف الإسلامي: الجزء الأول: المقدمات والمراحل ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١١- دراسات في العقيدة الإسلامية: الجزء الأول المقدمات الطبعة الأولى ١١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٢- دراسات ونصوص في العقيدة الإسلامية: الجزء الرابع (السمعيات) ٢٠٠٠م.

١٣- الثقافة الإسلامية (تعريفها - مصادرها - مجالاتها - تحدياتها) كتاب شاركت في تأليفه الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، نشر مؤسسة الرسالة بيروت دار البشير - الشارقة (الطبعة الأولى) ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

ثانيًا: البحوث:

١- خلق النبي العظيم: من دلائل نبوته وبراهين رسالته، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا جامعة الأزهر العدد الثاني (١٤١٠ / ١٩٩٠).

٢- بشرية الرسل بين شبهات المنكرين للنبوة وضرورتها والرسالة (بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد السادس: (١٤١٥ / ١٩٩٥).

٣- عصمة النبي سليمان بن داود مما رماه به اليهود، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد السابع (١٤١٦ / ١٩٩٦).

٤- شبهات حول عصمة الملائكة والرد عليها، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد السابع (١٤١٦ / ١٩٩٦).

٥- رياضة الصبيان وتهذيب أخلاقهم بين الفيلسوفين: بروسن اليوناني ومسكويه المسلم، بحث منشور في العدد الثامن من حولية كلية أصول الدين بطنطا (١٤١٧ / ١٩٩٧).

٦- شبهات حول عصمة الخليل إبراهيم عليه السلام والرد عليها (الشبهتان: الأولى والثانية) العدد التاسع من حولية كلية أصول الدين (١٤١٨ / ١٩٩٨).

٧- شبهات حول عصمة الخليل إبراهيم عليه السلام والرد عليها (الشبهة الثالثة) العدد العاشر من حولية كلية أصول الدين (١٤٢٠ / ١٩٩٠).

٨ - مقدمات في علم العقيدة بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد الحادي عشر (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

- ٩- تاريخ علم العقيدة: نشأته وتطوره، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد الحادى عشر (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٠- أهم مصادر مسكويه فى فلسفة الأخلاق (المصدر الأول: فلاسفة اليونان: أفلاطون/ أرسطو/ جالينوس) نشر كلية الآداب جامعة المنوفية العدد الثانى فبراير ٢٠٠٢م - مركز الخدمة للاستشارات البحثية.
- ١١- مسكويه ودوره فى علم الأخلاق: نشر كلية الآداب جامعة المنوفية العدد الأول يناير ٢٠٠٢م، مركز الخدمة للاستشارات البحثية.
- ١٢- قوى النفس وفضائلها عند مسكويه ومدى تأثيره فى ذلك بفلاسفة اليونان، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بالمنصورة (العدد الثامن ٢٠٠٢م).
- ١٣- خصائص التصوف فى القرنين: الثالث والرابع الهجريين من خلال المحاسبى والجنيد، حولية كلية أصول الدين بالمنصورة (العدد الثامن ٢٠٠٢م).
- ١٤- مدى تأثير مسكويه بالشريعة الإسلامية فى فلسفته الأخلاقية، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بالزقازيق (العدد الرابع عشر ٢٠٠٢م).
- ١٥- الذبيح عند اليهود والنصارى (عرض ونقد) حولية كلية أصول الدين بطنطا (العدد الثالث عشر ٢٠٠٢م).
- ١٦- الذبيح عند المسلمين (عرض ونقد) حولية كلية أصول الدين بطنطا (العدد الثالث عشر ٢٠٠٢م).
- ١٧- دور العقاد فى الدفاع عن الإسلام وإظهار حقائقه (بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الدولى السادس ٢٠٠١ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).
- ١٨- تصحيح الصورة المشوهة للمرأة المسلمية فى الغرب (بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الدولى السابع ٢٠٠٤ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).
- ١٩- دور الاستعمار الغربى فى تخلف العالم الإسلامى (بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الثامن ٢٠٠٣ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).
- ٢٠- بحث بعنوان: "أهداف علم الكلام بين الدفاع عن العقائد وإثباتها فى القديم والجديد" وشاركت به باسم جامعة الشارقة فى المؤتمر الدولى التاسع للفلسفة الذى عقد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - بمصر فى الفترة من ٢٠-٢١

إبريل ٢٠٠٤م، وقد شاركت في أعمال المؤتمر بالحضور والمناقشة وإلقاء البحث ومناقشته وتم نشره في الكتاب الخاص بأعمال المؤتمر (٢٠٠٥).

٢١- بحث بعنوان "دور الغزالي في إحياء وتجديد التصوف السني" بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الدولي العاشر ٢٠٠٥ كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

٢٢- منزلة الغزالي في علم الأخلاق من خلال كتابه "إحياء علوم الدين" حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع طنطا العدد الخامس عشر ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٣- "مدى تأثير مسكويه بالأدب الفارسي في حكمته الأخلاقية" بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع طنطا العدد الخامس عشر ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٤- "جهود العلماء المعاصرين في نقض مزاعم المستشرقين والمنصرين حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش" بحث مقدم للمؤتمر السنوي كلية الشريعة - جامعة الشارقة بعنوان (الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية) مايو ٢٠٠٥. وتم طبعه ونشره ضمن أعمال المؤتمر في كتاب أصدره مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة (١٤٢٧ / ٢٠٠٦) سلسلة النشر العلمي (٣٦).

٢٥- الصلة بين الفلسفة الإسلامية وبين علم الكلام والأصول: بحث منشور بحولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع طنطا العدد السادس عشر (١٤٢٦ / ٢٠٠٦).

٢٦- مرحلة الزهد في التصوف الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني مركز أبحاث جامعة المنوفية ٢٠٠٧.

٢٧- من استدلالات القرآن الكريم على البعث والرد على منكره حولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر طنطا ٢٠٠٧.

٢٨- الصداقة والسعادة عند مسكويه ومدى تأثيره في ذلك بأفلاطون وأرسطو حولية كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٦.

٢٩- جهود الدكتور دراز في الحوار مع الآخر (مؤتمر كلية الشريعة جامعة الشارقة إبريل ٢٠٠٧).

٣٠- منهج الغزالي في البحث عن الحقيقة والوصول إلى اليقين بحث مقدم لمؤتمر كلية دار العلوم جامعة القاهرة إبريل ٢٠٠٧.

٣١- مشكلات أولية حول الفلسفة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية (بحث مقبول للنشر بمركز أبحاث جامعة المنوفية).

٣٢- دور الغزالي الفيلسوف في أسلمة العلوم الفلسفية بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين المنعقد بكلية الآداب والعلوم بالاشتراك مع كلية الشريعة جامعة الشارقة في الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ مارس ٢٠٠٨م.

٣٣- دور الإمام الغزالي في النهوض بالأمة ومناقشة دعوى مسؤوليته عما أصابها من تخلف وجود. بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ٢٩ / ٣٠ إبريل ٢٠٠٨.

كتب وبحوث تحت الطبع - بعون الله توفيقه :

- موقف الإمام ابن تيمية من التصور الفلسفي للملائكة.
- حواء من جور الأديان إلى عدل الإسلام.
- الأخلاق عند الإمام الغزالي بين الفلسفة والتصوف.
- البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة واعتبارها من دلائل نبوته.
- موسوعة "أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم".
- النبى أيوب - عليه السلام - بين العهد القديم والقرآن الكريم.
- رياضة الصبيان وتهذيب أخلاقهم عند الإمام الغزالي (دراسة مقارنة).
- حقيقة الملائكة والإيمان بهم وأصنافهم والتفاضل بينهم وبين الأنبياء.
- التحقيق التام في ملة الخليل عليه السلام.